# المسكوت عنه
# في السّودان

أحمد محمود كانم

# المسكوت عنه في السّودان

ISBN 9789773120122

الطبعـة الأولـى: 2022 منشورات ويلوز - جوبا

جميـع حقـوق النشـر محفوظـة للناشـر، ولا يحـق لأي شـخص أو مؤسسـة أو جهـة، إعـادة إصـدار هـذا الكتـاب، أو جـزء منـه، أو نقلـه، بـأي شـكل أو واسـطة مـن وسـائط نقـل المعلومـات، سـواء أكانـت إلكترونيـة أو ميكانيكـة، بمـا في ذلـك النسـخ أو التسـجيل أو التخزيـن أو الاسـترجاع، دون إذن خطّـيّ مـن الناشر.

All copyrights are reserved to the publisher, and no person, institution or entity has the right to reissue this book, or part of it, or transfer it, in any form or medium of information transmission, whether electronic or mechanical, including copying, recording or storing Or, without written permission from the publisher

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي النَّاشر

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

جنوب السودان، جوبا، كاتور، مربع ٨ جوار مركز جيران

www.willowshouse.net
www.jubabok.com
gatawillow@gmail.com
willowshouse3@gmail.com
+211927302302

أحمد محمود كانم

# المسكوت عنه في السّودان

تأمـــــــــــلات
في واقــع مرحـــــلة
ما بعد ثورة ديسمبـــر
على ضوء ما جرى قبلها

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

# إهداء

إلى روحيْ شقيقيَّ محمد أحمد محمود «درشو»

وإبراهيم محمود اللّذَين اغتالتهما أيادي الظلم والجبروت.

**أحمد**

# تمهيد

بادئ ذي بدء، يجب أن أعترف أنني لم ولن أستطع أن أحصي كل المسكوت عنه في الساحة السياسية السودانية مهما أتيحت لي من مصادر ومراجع.. ذلك لأن ما خبأتها مآزر الليالي ومطابخ المكر والدهاء من دسائس وأسرار طوال السبعة عقود التي تلت خروج المستعمر البريطاني من الأراضي السودانية، لم تخرج منها للعلن سوى ما نفذت من خلال منافذ الغرابيل السميكة، وهي لا تساوي أمام الكم الهائل مما أخفيت إلا ربع الربع.

وقد حاولتُ جاهدًا تناول الجزء الأخير من المسكوت عنه في فترة ما قبل اشتعال جذوة ثورة ديسمبر التي نجحت في اقتلاع رأس النظام الإسلاموي الشمولي، وما تلت السقوط من خبايا تحاشى معظمُ الكتابِ تناولَها، إما لشح المصادر الموثوقة التي من خلالها تكتمل ملامح الصورة المخفية؛ وإما لارتباط المسكوت عنه بحاملي السوط والخنجر في وجه من يحاول إماطة اللثام عما أريد له الكتمان.

فكان لزامًا علينا سحب الغطاء عن وجوهٍ لطالما حسبها العامة من الشعب السوداني ملائكية، بينما هي في واقع الأمر تتفوّق بما خفي عنها من أفعال على الشيطان الرجيم.

إذ عكفتُ على البحث المضني لعامين وبضعة أشهر أحاول لملمة المسكوت عنه حتى يحيط القارئ والأجيال القادمة بما جرى للأسلاف، فكان هذا السِفرُ الذي بين يديك.

«المسكوت عنه في السودان»

وهو تأملات وقراءة من زوايا مختلفة في دفاتر الشأن السوداني قبل ثورة ديسمبر وفي أثنائها وبعدها.

وقد عمدتُ إلى أن أختصر محتواه في عشرين فصلًا، على أن تتناول أبرز ما سكتت عنه الأقلام والألسن، مستعينًا في ذلك -بعد الله- بمصادر ذات ثقة، أوردتُ بعضَها في هوامش الكتاب للأمانة العلمية والدقة في النقل.

فحمل الفصل الأول عنوان: الإنقاذ على ذات خطى نظام مايو نحو السقوط المحتوم في مقارنة بين نهايات النظامين. ليحمل الفصل الثاني عنوان: المعزول في آخر سنوات حكمه الذي وقفت خلاله على جوانب من أيام التخبط الذي مارسه الرئيس المعزول بغية الخلود في عرش الرئاسة.

يليه الفصل الثالث الذي جاء تحت عنوان: العنف لغة المفلسين، ليرسم الوجه الحقيقي للسياسة النظام البائد

المتبعـة في قهـر الخصـوم والمغضـوب عليهـم.

ثـم توغلـتُ في الفصـل الرابـع إلى جـراح الوطـن الـتي لا تـزال لينـة تـنزف، فدخلـت نحـو دارفـور «دارفـور الجـرح النـازف» وكيـف نبعـت وتطـورت الميليشـيات المسـلحة للقضـاء عـلى الحـركات المسـلحة هنـاك.

ليعقبـه الفصـل الخامـس الـذي توقفـتُ فيـه عـلى إحـن ومحـن طـلاب دارفـور وطالباتـه في الخرطـوم في ظـل النظـام السـابق.

ليجـيء الفصـل السـادس كاشـفًا عـن دوافـع اسـتكباش أبنـاء دارفـور ودلالاتهـا.

ووقـف الفصـل السـابع عـلى النزاعـات القبليـة الـتي باتـت خناجـر مسـمومة في كبـد السـودان، وتلـك الأسـلحة الخطِـرة الـتي مـا عتمـت تداعـب أنامـل بعيـدة عـن عـين القانـون.

وقـد جـاء الفصـل الثامـن ليسـلط الأضـواء عـلى جانـب مـن أنـين النازحـين.

ومثلـه سـلط الفصـل التاسـع الضـوء عـلى بعـض أشـجان اللاجئـين السـودانيين وأحزانهـم في مختلـف بقـاع وجودهـم بـدول الاسـتضافة المؤقتـة.

ثـم أخـذ الفصـل العـاشر يتعمـق في المرحلـة الـتي تلـت الإطاحـة بالبشـير.

ليقـف الفصـل الحـادي عـشر عـلى دهالـيز المجلـس الانتقـالي أو اللجنـة الأمنيـة الـتي أراحـت صانعهـا.

ويواصـل الفصـل الثـاني عـشر ليكشـف عـن مـاذا يريـد العسـكر ومـاذا يخططـون.

ليـأتي الفصـل الثالـث عـشر ويحلـق طويـلًا حـول مجـزرة فـض الاعتصـام، وكيـف ولمـاذا وأيـن ومـن خطـط لهـا حـتى حـدث مـا حـدث؟

ثـم أعقبـه الفصـل الرابـع عـشر بتنـاول التوقيـع عـلى الوثيقـة الدسـتورية، والمجلـس السـيادي، والتشـكيل الـوزاري الأول للحكومة الانتقاليـة.

ثـم محـاولات الحكومـة الانتقاليـة للبحـث عـن الاسـتقرار وتوقيـع اتفاقيـة جوبـا للسـلام في الفصلـين الخامـس عـشر والسـادس عـشر.

ليـأتي الحديـث عـن العدالـة الـتي لـم تتحقـق بعـد في الفصـل السـابع عـشر ومـا رافقتهـا مـن خلـط لأوراق الأولويـات في تطبيقهـا.

وقـد كشـف الفصـل الثامـن عـشر والتاسـع عـشر والعـشرون عـن مكامـن الخطـر والتحديـات الخفيـة الـتي تواجـه وتقـوض تقـدم الثـورة السـودانية، ومـن هـم أصدقـاء الثـورة والآخـرون.

وقـد أفـردتُ لغـير المسـكوت عنـه كتابًـا يـؤرخ للثـورة السـودانية والمسـيرة النضاليـة في السـودان سـيرى النـور في العـام المقبـل ليكمـل مـا لـم يتـم تناولـه في هـذا الكتـاب.

ختامًا خالص شكري وامتناني لكل من ساهم في مراجعة هذا العمل من الأساتذة الأكاديميين والزملاء في العمل الصحفي والمصادر، الذين لم يبخلوا عليّ لحظة بما لديهم من جهود ومعلومات ووقت.. أرجو أن أكون قد أرويت قليلًا من ظمأ الباحثين عن الحقيقة والمعلومة الأكيدة.

ودمتم بخير.

**أحمد محمود كانم**

# الفصل الأول

## « الإنقاذ على ذات خطى نظام مايو نحو السقوط المحتوم »

# بداية النهاية

يتبـدّى بشـكل واضـح لـكل مـن تابـع أو عـاش مجريـات الحـراك الشـعبي الـذي انطلـق في ١٣ ديسـمبر ٢٠١٩ مـن مدينـة الدمازيـن وامتد ليشـكل بدايـة لنهايـة أمـد سياسـات المؤتمـر الوطـني الارتجاليـة المهترئـة، ومـا تبعتـه مـن أسـاليب قمعيـة لـوأد إرادة الشـعب بقعقعـة الرصـاص، إن هـذه العصابـة تـكاد تتعمـد السـير عـلى ذات المنعرجـات الـتي سـلكها نظـام الرئيـس السـوداني الأسـبق جعفـر محمـد نمـيري الـتي انتهـت بـه إلى سـلة مزبلـة التاريـخ مذمومًـا مدحـورًا.

وكأن التاريـخ يعيـد نفسـه عندمـا تحملنـا عقـارب الزمـن إلى الـوراء لتحـط بنـا الرحـال في صبيحـة يـوم الثلاثـاء الموافـق ١٩٨٥/٤/٢، غداة تنـادى أنصـار الاتحـاد الاشـتراكي لمسـيرة مؤيـدة لبقـاء الدكتاتـور نمـيري ردًّا عـلى المظاهـرات السـلمية الشـعبية الـتي اندلعـت في ٢٦ مـارس مـن العـام ذاتـه، لـذات الأسـباب الـتي أشـعلت المظاهـرات الحاليـة.

وقـد أرادت قيـادات الاتحـاد الاشـتراكي أن تؤكـد للرئيـس نمـيري -الموجـود آنـذاك في أمريـكا- أنهـا ليسـت مقـصرة في أداء عملهـا الرامـي إلى قمـع الاحتجاجـات المشـتعلة بـكل السـبل.

يقـول الكاتـب صـلاح عبـد اللطيـف في كتابـه الممحـور باسـم «عـشرة أيـام هـزت السـودان» الـذي احتـوى عـلى أهـم أحـداث ثـورة أبريـل الـتي جـزت شـتلة نظـام نمـيري: «في يـوم الثلاثـاء امتـلأت سـاحة الشـهداء خلـف القـصر الجمهـوري بمكـبرات الصـوت وسـيارات تحمـل أعضـاء الاتحـاد الاشـتراكي تحـت اسـم «جماهـير التحالـف»، كانـت المسـيرة معـدة سـلفًا تضـم في داخلهـا عـشرات مـن رجـال الأمـن، وقـد بـدوا واضحـين للعيـان بزيهـم المعـروف ونظراتهـم الـتي تكشـف عـن تحـد سـافر وشـكوك نحـو الآخريـن، ومئـات آخـرون مـن هـواة المسـيرات الذيـن ينضمـون إليهـا أيًّـا كان اتجاههـا، ومئـات جـاؤوا يسـمعون مـاذا سـتقول السـلطة المتمثلـة في الاتحـاد الاشـتراكي...»

ويضيـف الكاتـب: «وجـاءت كلمـة الرئيـس الـتي أرسـلها عـبر جهـاز «الفاكـس ميـل» وقرأهـا عـلى الجماهـير نائـب رئيـس الجمهوريـة الرشـيد الطاهـر عـلى نحـو مـا يـلي: «وأنـا هنـا في واشـنطن ظللـت أتابـع بالثقـة واليقـين تصديكـم الشـجاع وصمودكـم الراكـز لفلـول الخيانـة وواجهـات العمالـة» -لاحـظ نفـس نغمـة البشـير في مسـيرة الأربعـاء- ثـم قـال: «إن انتصـار ثـورة مايـو إنمـا هـو انتصـار لإرادة الشـعب المسـتمدة مـن إرادة الخالـق عـز وجـل ومـن يناهـض إرادة الشـعب إنمـا ينكـر إرادة الله الغالبـة الغلابـة».

وكأن البشير يحاول تحفيظ جنوده الواقفين أمامه بزيهم المدني تصريحات نميري عندما قال: القرار يعود للشعب.. وأنا أحكُمُ بإرادة الشعب.. وما إلى ذلك.

لكن الأمر الذي لم يتوقعه نميري وجماهيره هو أن تلك المسيرة إنما أتت لتشهد على سقوط آخر ورقة كانت تستر عورة نظامه العاري، وهي ما دفعت الشعب السوداني نحو الإصرار على كنس حكومة مايو، فقويت العزائم حتى أسقطتها بعد أربعة أيام فقط من تلك المسيرة الوداعية التي أسدلت بها ستار ستة عشر عامًا من الاستبداد والترويع والتجويع.

والناظر لما قام به نظام المؤتمر الوطني في أواخر أيامه يلحظ بوضوح أوجه الشبه بينه وأواخر أيام نظام مايو.

فعندما يلتقي الفريق أمن صلاح قوش بممثلي الصحف والفضائيات ويطلق بالونة سيناريو مسرحية عملاء إسرائيل واستهداف أبناء دارفور، إنما يفعل ذلك مقلدًا سلفه اللواء أمن عمر محمد الطيب النائب الأول لرئيس الجمهورية إبان حكم نميري الذي عقد مؤتمرًا صحفيًّا خاطب من خلاله الشعب السوداني بذات اللغة التي استخدمها قوش، بيد أن اللواء عمر كان قد رمى التهمة على من أسماهم ب«الفلاتة» و«الشماسة» المحركين من قبل بعض الجماعات المدعومة خارجيًّا حسب قوله.. ليهيئ بذلك لنفسه المبررات لإبادة العاصفة البشرية من المتظاهرين الذين تدفقوا كالسيل الجارف على كل طرقات مدن الخرطوم، مرددين هتافات «تسقط تسقط طغمة مايو»

«عميل عميل يا نميري». وبعد أن حصد الرصاص سبعة قتلى و٧٩ من الجرحى وسط المتظاهرين، ارتفعت الحناجر بالهاتفات «لن ترتاح يا سفاح» و«القصاص بالرصاص»* فارتعدت أوصال الطغمة الحاكمة لتسلك طرقًا أخرى في التصدي للحراك كما حدث بالضبط في نهاية عمر الإنقاذ.

وعندما يحاول البشير تبرير العنف الذي يقوم به ضد الشعب الذي لا يملك سوى سلاح الإرادة المتعطشة للتحرر من قيود الذل والجوع والخوف بالآيات القرآنية والتصريحات التي تدينه من حيث يدري أو لا يدري، إنما يسلك ذات المسلك الذي كان عليه الرئيس نميري الذي وجد من الدين أقصر سلم لامتطاء ظهر الشعب، شأنه في ذلك شأن كل من نبذه أهل الأرض فيحاول استبقاء سلطته بتخدير الشعب بالتشبث بالغيبيات وإيهام البسطاء منهم بأنه باقٍ بإرادة أهل السماء.

إن ما لا يدركه الطغاة على اختلاف أزمانهم وأنظمتهم هو أن الشعوب أكثر ذكاء من كل ألاعيبهم، وقد عرف الشعب السوداني باكرًا من هم أولئك الغوغاء الذين خرجوا في الساحة الخضراء لمراقصة رئيسهم والتهليل وراءه، إما طمعًا ولهثًا وراء بعض المصالح الضيقة، وإما تجابنًا وخوفًا مما بأيدي بوليس النظام من القنابل المسيلة للدموع.

وما الهتافات الهستيرية اللا إرادية التي غطت سماء الساحة

[1] صلاح عبد اللطيف - عشرة أيام هزت السودان. ط أولى دار الهلال للطباعة والنشر. ص33

الخـضراء نهـار الأربعـاء 9 ينايـر ٢٠١٩ عقـب تصريـح البشـير الخـاص بتسـليم السـلطة للشـباب إلا آيـة مـن آيـات الكـره الخفـي الـلا شـعوري الـذي يكنـه لـه أتباعـه المصلحجيـون.

وبـدلًا مـن إظهـار تضامـن الشـعب مـع نظامه عـرف القـاصي والـداني حقيقـة الوهمـة الـتي يعيشـها البشـير وعصابتـه، ومـدى مراحـل الانحطـاط والعزلـة الـتي وصلـت إليـه حكومـة الإنقـاذ.

# التاريخ يعيد نفسه

في السابق بإمكانك أن تتحايل على «الزول» السوداني باسم الدين تارة، أو أن تستحلب تعاطفه بشعارات رنانة ناعمة تارة أخرى، أو تشعل حماسه بقصة التصدي للمؤامرات الخارجية وشيء من هذا القبيل، ولكن ليس بعد أن يكتشف حقيقتك، كما أنه من تاسع المستحيلات أن يذعن المواطن السوداني للتهديد والوعيد مهما كان الثمن وأيًّا كان الشخص المهدِد ومقدراته.

وإذا ما ألقينا نظرة عابرة لبعض صفحات تاريخ السودان وسلطنا الأضواء على جانب من نهاية حقبة الرئيس السوداني الأسبق المشير/ جعفر محمد نميري التي حملت نفس الملامح والشبه، نجد أن التاريخ يعيد نفسه، والدكتاتورية على مر العصور في استنساخ مستمر مع ارتدائها ذات الأقنعة.

فحسبما أورده صلاح عبد اللطيف في كتابه «عشرة أيام هزت السودان» «عُقد مساء ١ أبريل ١٩٨٥ بنادي الخريجين بالخرطوم بحري اتفاق بين ممثلين لعدد من النقابات المهنية على الإضراب

السياسي حتى سقوط النظام، وحدد لبداية تنفيذه يوم الأربعاء ٣ أبريل 1985.

كما تقرر تسيير موكب للقصر الجمهوري بقيادة نقابة الأطباء يوم الأربعاء ٣ أبريل لتسليم مذكرة لرئاسة الجمهورية».

«وفي محاولة منه لإظهار حجم شعبيته -كما يفعله نظام الإنقاذ والمجلس العسكري من بعده- قام الاتحاد الاشتراكي الحاكم يوم الثلاثاء ٢ أبريل بتنظيم ما أسماه بموكب الردع بساحة الشهداء خلف القصر الجمهوري.. حيث كانت المشاركة الجماهيرية ضعيفة والحضور الرسمي طاغيًا. خاطب الموكب الرشيد الطاهر بكر، وزير العدل والنائب العام، مبررًا الغلاء بالظروف التي يمر بها الاقتصاد العالمي كله. كما ادعى اللواء بابكر عبد الرحيم، الأمين العام للاتحاد الاشتراكي بالإنابة، أن جماهير الاتحاد الاشتراكي «قادرة على الرد الحاسم على كل معتد في كل زمان ومكان ولن تسمح بأية تنظيمات أخرى موازية للاتحاد الاشتراكي». خاطب التجمع أيضاً أبو القاسم محمد إبراهيم داعيًا لإصلاحات في أجهزة الاتحاد الاشتراكي.

بعد انكشاف ظهره في مسيرة الردع فشل اللواء عمر محمد الطيب مدير جهاز الأمن ونائب رئيس الجمهورية عند اجتماعه مساء الثلاثاء ٢ أبريل بقيادة القوات المسلحة في إقناعها بإعلان حالة الطوارئ. ولكن قرر الاجتماع منع موكب الأطباء في اليوم التالي وأصدر بابكر علي التوم، معتمد الخرطوم، بيانًا حذر فيه المشاركين بالمساءلة وفق قانون العقوبات.

خلال الفترة من ٣١ مارس حتى الثالث من أبريل انضمت أكثر من ٣٠ نقابة عامة لدعوة العصيان المدني والإضراب السياسي العام حتى إسقاط النظام [د. أحمد التجاني، نقيب أطباء مستشفيات الخرطوم، نقلًا عن: جادين، ٢٠٠٢، ص ٦٨]. ضمت هذه النقابات الأطباء والمحامين والصيارفة والمهندسين وأساتذة جامعة الخرطوم وموظفي المصارف وموظفي التأمينات. وفي الفترة ما بين ١ إلى ٣ أبريل ١٩٨٥ ازداد صدور منشورات النقابات والأحزاب واتسع نطاق تداولها. كما كان لإذاعة لندن دور بارز في هذه الفترة في نشر أخبار الانتفاضة داخل السودان.

فكانت النتيجة أن شهد يوم الأربعاء ٣ أبريل مسيرة هادرة للقوى النقابية ابتداءً من مستشفى الخرطوم وبتجاوب منقطع النظير من المواطنين، إذ اكتظ شارع القصر وما حواليه بعشرات الآلاف من المتظاهرين. قرأ المحامي عمر عبد العاطي، النائب العام عقب الانتفاضة، نص مذكرة «التجمع النقابي لإنقاذ الوطن» الموجهة لرئيس الجمهورية والمطالبة بتنحيه عن السلطة. وعند المقارنة مع موكب الاتحاد الاشتراكي في اليوم السابق اتضح جليًّا مدى ضخامة المعارضة الجماهيرية للنظام.

في مساء الأربعاء ٣ أبريل امتدت المظاهرات الشعبية العفوية من وسط العاصمة إلى الأحياء السكنية واستمرت نهارًا وليلًا حتى الساعات الأولى من الصباح. كما أعلن القضاة أنهم سينظمون موكبًا يوم السبت ٦ أبريل يبدأ من دار القضاء بشارع الجامعة بجانب الدبلوماسيين تضامنًا مع نقابة الأطباء والمحامين

والمهندسين وسائر النقابات وجماهير الشعب السوداني.

فاضطرت السلطات استصدار قرار بتخفيض أسعار الرغيف والزيوت والصابون وتشكيل لجنة لدراسة تخفيض الأسعار.. وأعلنت أن الرئيس نميري -الذي كان في زيارة إلى واشنطن- «نجح في مهمته في الولايات المتحدة الأمريكية وسيعود ومعه ملايين الدولارات من أمريكا لحل المشكلات الاقتصادية. نفس جولات التسول مع اختلاف العملات والبلدان».[*]

لكن وكما أسلفت، فإن المواطن السوداني عندما يعلن عصيانه بعد صبر طويل فلا سبيل لإثنائه مهما يكن الثمن، فلم يكترث لتلك القرارات «التخديرية»، وواصل في التظاهر السلمي بصورة أكثر كثافة من ذي قبل.

وعندما بدأت بوادر السقوط الحتمي تلوح في الأفق هرب محمد محجوب سليمان، السكرتير الصحفي للرئيس، ويوسف ميخائيل، المستشار القانوني لرئاسة الوزراء خارج البلاد عن طريق المطار أمسية الأربعاء ٣ أبريل.

ليدخل المتظاهرون في صبيحة الخميس ٤ أبريل في تنفيذ الإضراب السياسي، واستمرت المظاهرات وانقطع التيار الكهربائي وتعطلت خطوط الهاتف والاتصالات والمواصلات العامة وتوقفت حركة الملاحة الجوية وأغلقت الأسواق، وكانت آخر طائرة غادرت مطار الخرطوم في العاشرة من صباح الخميس ٤ أبريل.

---

[2] [عبد اللطيف، 5891 عشرة أيام هزت السودان، ص 63]

كما امتد الإضراب ليشمل وكالة السودان للأنباء، مما أدى لانقطاع الاتصال مع النميري عن طريق جهاز الفاكس ميل الموجود بالوكالة. وامتد الإضراب للإذاعة والتلفزيون، واكتفى الأخير بمذيع واحد لم يشارك في الإضراب.

وانضمت نقابة الدبلوماسيين للإضراب.

مر يوم الجمعة ٥ أبريل هادئًا وكان التجمع النقابي يتأهب لمسيرة القضاة والدبلوماسيين يوم السبت، وكان عمر محمد الطيب النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس جهاز الأمن يخطط لإضعاف المسيرة بإغلاق الكباري، بينما كانت قيادة الجيش في مشاورات مكثفة لتشكيل موقف موحد لا يقود لانقسامات بالجيش.

وفي ذات اليوم صرح النميري لصحيفة نيويورك تايمز قائلًا «إنه لا توجد قوة تزحزحني عن موقعي وأنا لا زلت رئيس الجمهورية».

كما تم تكوين قيادة نقابية وحزبية موحدة للانتفاضة في ليلة الجمعة ٥ أبريل وتم التوقيع على ميثاق «تجمع القوى الوطنية لإنقاذ الوطن» في منزل المحامي محمد سعيد عبد اللطيف. وقع على الميثاق ٣ أحزاب هي الأمة والاتحادي والشيوعي و٦ نقابات هي الأطباء والمحامين والصيارفة والمهندسين وأساتذة جامعة الخرطوم وموظفي المصارف وموظفي التأمينات الاجتماعية.

في التاسعة والنصف من صباح السبت ٦ أبريل ١٩٨٥ تدخل الجيش ضد نظام مايو وأعلن انتهاء الحقبة النميرية وذلك

استباقًا لمسيرة القضاة والدبلوماسيين التي كان من المفترض أن تبدأ عند العاشرة صباحًا.

وعندما وصلت طائرة النميري القادمة من واشنطن إلى مطار القاهرة في الساعة ١١ صباح السبت أخطر هناك بالتطورات الأخيرة فمكث في القاهرة.

وسرعان ما أعلن الفريق عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب عن خلع النميري وقيام مرحلة انتقالية في السودان.

تقرر إنشاء المجلس العسكري الأعلى الانتقالي برئاسة الفريق سوار الذهب وأعلن هذا المجلس عن فترة انتقالية مدتها عام تنتظم فيها الأحزاب وتعقد الانتخابات العامة.*

الشاهد مما سبق أن جميع أركان السقوط النهائي لنظام المؤتمر الوطني جاءت مطابقة للخطوات السابقة رغم ما تفصل بينهما من عقود، لا سيما بعد ظهور بوادر التمرد وسط صغار ضباط الجيش أمثال الملازم حامد ورفاقه، وقد أعلنوا تأييدهم للثورة في صبيحة الثامن من أبريل ٢٠١٩ في القيادة العامة.. والذي كان له الفضل في انصياع ضباط الصف الأول لقرار الشارع القاضي بإزالة نظام المؤتمر الوطني.

---

[3] المصدر نفسه

# فساد المعزول وآله وأصحابه

كشف عضو لجنة إزالة التمكين ومحاربة الفساد واسترداد الأموال، وجدي صالح، الأربعاء ٥٢/١١/٠٢٠٢ عن وجود حساب خاص تم فتحه العام ٣١٠٢ في بنك التضامن بعلم البنك المركزي.

ونقلت وكالة الأنباء السودانية الرسمية عن صالح قوله إن الحساب بقي مفتوحًا لمدة أربع سنوات، في الفترة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٧ بأسماء أشخاص وضعت عائدات أرباحه تحت تصرف أسرة الرئيس المعزول عمر البشير.

وأضاف صالح أن مبالغ تتراوح قيمتها بين ٣٠٠ ألف دولار ومليون دولار كانت تودع «يوميًّا» بالحساب المذكور.

وأوضح أنه تم استخدام تلك المبالغ في المضاربات بالسوق السوداء للعملات، حيث تستخدم أرباحها لتغطية نفقات أسرة المعزول وتمويل عمليات النظام السابق والأمن الشعبي.

وأشـار إلى أن النظـام البائـد، ممثـلًا في رئاسـته ومكتبـه ومحافظـي بنـك السـودان المركـزي السـابقين، كانـوا ضالعـين في عمليات الفسـاد عـبر الاتجـار والمضاربـات في العمـلات في السـوق السـوداء.

ولفـت إلى أن محافـظ بنـك السـودان وقتهـا كان يوجـه مديـر بنـك التضامـن بورقـة عاديـة تسـتخدم في شـكل مذكـرة داخليـة، لـصرف مبالـغ بالعمـلات الصعبـة.

وأكـد أن الرئيـس المخلـوع يعلـم بحجـم الأمـوال المتداولـة في هـذا الخصـوص، ويديرهـا هـو ومكتبـه وكثـير مـن مقربيـه. والسـبت المـاضي، أعلـن عضـو مجلـس السـيادة ونائب لجنـة تفكيـك الإخوان، محمـد الفـكي سـليمان، أن لجنـة تفكيـك الإخـوان بالسـودان تعمـل حاليًـا عـلى ملفـات أكـثر حساسـية عن الفـترة السـابقة تتعلـق بتمويل الأمـن الشـعبي وهـو الجهـاز الـسري للحركـة الإسـلامية السياسـية، بجانـب ميليشـيات أخـرى تتبـع للتنظيـم الإخـواني المعـزول بقيـادة الرئيـس عمـر البشـير.

وأضـاف أن رمـوزًا عديـدة بنظـام الإخـوان متورطـة في تمويـل هـذه الميليشـيات وسـنتخذ بشـأنها قـرارات خـلال الفـترة المقبلـة، مضيفًـا «إننـا نعمـل كذلـك في ملفـات أخـرى مهمـة وحساسـة في الخدمـة المدنيـة ذات صلـة بعنـاصر نظـام الإخـوان». *

وكانـت وكالـة رويـترز، قـد نقلـت تفاصيـل جلسـة محاكمتـه الـتي انعقـدت في السـبت السـابع مـن أيلول/سـبتمبر 2019، وتناولـت

[4] العين الإخباريَّة 52 / 11 / 0202 م .

حيـازة البشـير لملايـين اليوروهـات والـدولارات، في غرفـة بالقـصر الرئـاسي.

ووفقًـا لرويـترز فـإن يـاسر بشـير، آخـر مديـري مكتـب الرئيـس المعـزول، والـذي يمثـل للمحاكمـة، بصفـة شـاهد دفـاع، قـال للمحكمـة إن البشـير أعطـاه أكـثر مـن عـشرة ملايـين يـورو نقـدًا، في الأشـهر الأخـيرة مـن حكمـه، لتسـليمها إلى أطـراف مختلفـة.

وأضـاف المديـر السـابق لمكتـب البشـير في شـهادته، بـأن الرئيس كان الشـخص الوحيـد الـذي يحمـل مفتـاح الغرفـة، الـتي عـثر بهـا عـلى ملايـين اليوروهـات داخـل القـصر الرئـاسي، مشـيرًا إلى أن الرئيـس السـابق منحـه ذات مـرة خمسـة ملايـين يـورو، لتسـليمها لنائـب قائـد قـوات الدعـم السريـع، عبـد الرحيـم حمـدان دقلـو.

وكان رئيـس المجلـس العسـكري الانتقـالي عبـد الفتـاح البرهـان، قـد أعلـن في أبريـل المـاضي، عقـب الإطاحـة بالبشـير وإيداعـه السـجن أنـه تـم العثـور عـلى مـا قيمتـه ١١٣ مليـون دولار، مـن الأوراق النقديـة بثـلاث عمـلات مختلفـة في مقـرّ إقامـة البشـير بالخرطـوم.*

[5] وكالة رويترز للأنباء السابع من أيلول/سبتمبر 9102

**البشير في إحدى جلسات محاكمته**

وفي واحدة من جلسات محاكمته في نفس القضية، اعترف البشير بأنه تلقى نحو ٢٥ مليون دولار من مسؤولين سعوديين، وقال «تلقى مدير مكتبي حاتم حسن بخيت اتصالًا من مدير مكتب الأمير محمد بن سلمان ولي عهد المملكة العربية السعودية بأن لديه رسالة سيرسلها بطائرة خاصة». وأضاف البشير «أبلغنا بأن الأمير لا يريد لاسمه أن يظهر في هذه الأموال».

وتشير عدة تقارير إلى أن السودان، كان قد عانى من الفساد المستشري في عهد البشير، وقد جاء في المرتبة ١٧٢ بين ١٨٠ دولة، وفق «مؤشّر مدركات الفساد»، الذي تعدّه منظمة الشفافية الدولية، وكان النائب العام السوداني المكلف وليد سيد أحمد قد أصدر قرارات سابقة، بإنشاء نيابة لمكافحة الفساد، وإحالة

كل الدعـاوى الجنائيـة الـتي كانـت تباشرهـا نيابـة أمـن الدولـة إليـه، بعـد تكشـف حجـم الفسـاد المـالي في عهـد البشـير.

إذن فما حجم أموال البشير؟

عـلى الرغـم مـن مصـادرة عـدد كبـير مـن ممتلـكات الرئيـس السـوداني السـابق عمـر البشـير، فـإنّ مسـألة إعـادة الأمـوال المقـدرة بمليـارات الـدولارات وصفهـا الخـبراء بالعمليـة الصعبـة حـتى الآن.

وذكـرت مونـت كارلـو الدوليـة نقـلًا عـن وكالـة الصحافـة الفرنسـية، إفـادات لمحللـين وخـبراء جـاء فيهـا: «إن مـا تمـت مصادرتـه حـتى الآن ليـس سـوى قمـة جبـل الجليـد ممـا حصـل عليـه البشـير بشـكل غـير قانـوني خـلال سـنوات حكمـه».

وقـال صـلاح منـاع المتحـدث باسـم لجنـة «محاربـة الفسـاد وتفكيك نظـام عمـر البشـير» بـأن «التقديـرات الأوليـة تشـير إلى أن حجـم العقـارات والممتلـكات الـتي اسـتولى عليهـا رجـال النظـام السـابق تـتراوح بـين ٣,٥ مليـار وأربعـة مليـارات دولار».

وذكـر «منـاع» أن مـا أعلنـت عنـه اللجنـة حـتى الآن يمثـل «قمـة جبـل الجليـد»، وأنهـا لـم تضـع يدهـا حـتى الآن عـلى أي أمـوال منقولـة، وأنّ كل مـا تسـلمته هـو عقـارات. إذ صـادرت السـلطات السـودانية شركات وعقـارات وممتلـكات ومـزارع وأراضيَ ومراكـز تجارية للرئيـس السـوداني السـابق عمـر البشـير، ومسـاعديه تقـدر قيمتهـا بالمليارات.

وأضـاف «منـاع» أن اللجنـة لـن تعـرف قيمـة هـذه الممتلـكات إلا بعد

تقييمها بدقة، وسيتم اللجوء إلى خبرات عالمية للتدقيق بقيمتها قبل أن يتم تسليمها إلى وزارة المالية.

وتعود ملكية الممتلكات المصادرات إلى «البشير» وبعض أفراد أسرته وكبار مساعديه، ومن بينهم وزيرا الخارجية والدفاع السابقان علي كرتي وعبد الرحيم محمد حسين.*

ولم يتوقف سير الفساد الذي استشرى ليُزكم الأنوف في جميع مرافق الدولة، إذ امتد ليكتسح حتى تلك المؤسسات التي تتسم بشيء من القداسة، كوزارة الشؤون الدينية والأوقاف. فقد كشف نصر الدين مفرح وزير الشؤون الدينية والأوقاف في الحكومة الانتقالية السودانية، عن تعديات بقيمة ٦٤١ مليار جنيه على الأوقاف، في عهد المخلوع عمر البشير.

وقال مفرح في مؤتمر صحفي عقده في مايو ٢٠٢٠، ونقلته سكاي نيوز عربية «إن لجنة كونت قبل نحو شهرين لمراجعة الأوقاف توصلت إلى فساد مهول في الأوقاف السودانية، مشيرًا إلى أن الفترة المقبلة ربما تكشف المزيد من التجاوزات حيث تعكف اللجنة حاليًا على مراجعة الشهادات التاريخية للأوقاف مُنذ العام ١٩١١، بما في ذلك أوقاف قاعة الصداقة وحديقة الحيوانات وفندق السودان».** كما تحقق اللجنة في أسهم شركات وقفية مثل أسهم قناة النيل الأزرق التي يعتقد أنها لم تسدد ريع الأسهم الوقفية منذ ٢٠١٣. وكانت لجنة تفكيك النظام السابق قد استردت من منظمة

[6] مونت كارلو الدولية 8\9\9102.

[7] سكاي نيوز عربية

الدعـوة الإسـلامية وهيئـة الدعـوة الإسـلامية ١٧ قطعـة أرض لصالـح الأوقـاف بقيمـة ١،٣ تريليـون جنيـه.

# مستندات فساد بحمولة ٣ شاحنات

أكد مسؤولون في لجنة محاربة الفساد أن المستندات التي حصلت عليها اللجنة فيما يتعلق بممتلكات الرئيس السوداني المخلوع عمر البشير، كثيرة لدرجة احتاجت إلى ٣ شاحنات لنقلها، بحسب ما ذكرته صحيفة «الشرق الأوسط».

وفي تصريح لها على قناة «العربية الإخبارية»: «إن ثلاث شاحنات حُمِّلت بمستندات تعود لفترة حكم البشير.. الغوص فيها يتطلب وقتًا كبيرًا وفحصها يتطلب وقتًا أكبر...». [*]

لجنة «محاربة الفساد وتفكيك نظام البشير» لم تضع يدها على أي أموال سائلة حتى اللحظة، إذ تواجه صعوبة في استردادها من بنوك أجنبية محكومة بقوانين تمنعها من إعطاء هذه الأموال لغير مودعيها.

[8] فضائية العربية الإخبارية 1\6\0202

غير أنها صادرت ممتلكات وشركات وفنادق ومراكز تجارية حصل عليها الرئيس السابق ومساعدوه بشكل غير قانوني، فضلًا عن مئات العقارات والمزارع تعود ملكيتها للبشير وبعض أفراد أسرته وكبار مساعديه، ومن بينهم وزيرا الخارجية والدفاع السابقان.

هذه العقارات قدرت قيمتها الأولية بأربعة مليارات دولار، حيث لا تزال اللجنة في مرحلة تقييم ما صادرته وفحص المستندات.

وفيما يرى خبراء أن فساد النظام السابق كان على نطاق كبير وأخفي ببراعة تجعل أمر كشفه صعبًا، يدفع آخرون باتجاه تحويل العقارات التي صودرت إلى أموال تعود بالنفع اقتصاديًّا حتى لو استلزم ذلك وقتًا طويلًا، نظرًا إلى أنها تقع في المناطق الأعلى سعرًا في الخرطوم وقيمتها الفعلية والاستثمارية كبيرة.

وكانت صحيفة «الراكوبة» الإلكترونية الأكثر انتشارًا قد نشرت بعضًا مما تحصلت عليه من مستندات رسمية في ٢٧ فبراير ٢٠٢٠ والتي جاءت مؤرخة بتاريخ ١٠\١٢٩\ ٢٠١٧ تؤكد تسجيل الرئيس المخلوع وعائلته الممتدة لعدد من المنظمات مولت من أموال الدولة.

وتأتي على رأس هذه المنظمات منظمة الإحسان ومنظمة حسن أحمد البشير ومنظمة معارج.

وحسب المستندات فإن المنظمات المملوكة للعائلة الحاكمة في السودان طيلة ثلاثة عقود تملك أصولًا ثابتة ومتحركة تم تشييدها وشراؤها من مال الدولة واستغلال النفوذ.

وتمتلـك المنظمـات أبراجًـا ضخمـة بمنطقـة كافـوري الحـي الـذي يقطنـه غالبيـة عائلـة البشـير وأقربائـه وقيـادات حزبـه ونظامـه.*

فيمـا تملـك المنظمـات شركات ومشـاريع ربحيـة واسـتثمارية في مخالفـة واضحـة لقانـون المنظمـات.

* صحيفة الراكوبة الإلكترونية فبراير 2020

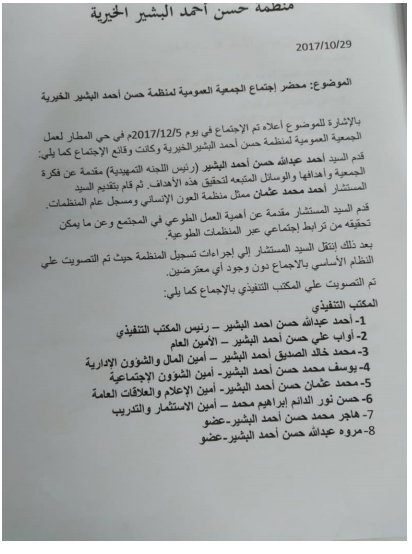

منظمة حسن أحمد البشير الخيرية

2017/10/29

**الموضوع: محضر إجتماع الجمعية العمومية لمنظمة حسن أحمد البشير الخيرية**

بالإشارة للموضوع أعلاه تم الإجتماع في يوم 2017/12/5م في حي المطار لعمل الجمعية العمومية لمنظمة حسن أحمد البشير الخيرية وكانت وقائع الإجتماع كما يلي:

قدم السيد **أحمد عبدالله حسن أحمد البشير** (رئيس اللجنه التمهيدية) مقدمة عن فكرة الجمعية وأهدافها والوسائل المتبعه لتحقيق هذه الأهداف. ثم قام بتقديم السيد المستشار **أحمد محمد عثمان** ممثل منظمة العون الإنساني ومسجل عام المنظمات.

قدم السيد المستشار مقدمة عن أهمية العمل الطوعي في المجتمع وعن ما يمكن تحقيقه من ترابط إجتماعي عبر المنظمات الطوعية.

بعد ذلك إنتقل السيد المستشار إلي إجراءات تسجيل المنظمة حيث تم التصويت علي النظام الأساسي بالاجماع دون وجود أي معترضين.

تم التصويت علي المكتب التنفيذي بالإجماع كما يلي:

**المكتب التنفيذي**

1- **أحمد عبدالله حسن احمد البشير – رئيس المكتب التنفيذي**
2- **أواب علي حسن أحمد البشير – الأمين العام**
3- **محمد خالد الصديق أحمد البشير – أمين المال والشؤون الادارية**
4- **يوسف محمد حسن أحمد البشير- أمين الشؤون الاجتماعية**
5- **محمد عثمان حسن أحمد البشير- أمين الإعلام والعلاقات العامة**
6- **حسن نور الدائم إبراهيم محمد – أمين الاستشار والتدريب**
7- **هاجر محمد حسن أحمد البشير-عضو**
8- **مروه عبدالله حسن أحمد البشير-عضو**

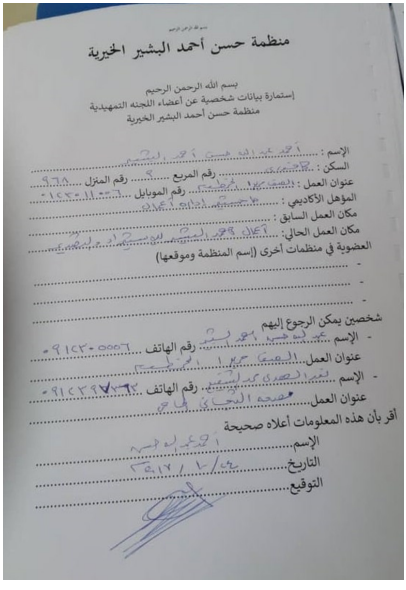

منظمة حسن أحمد البشير الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم
إستمارة بيانات شخصية عن أعضاء اللجنه التمهيدية
منظمة حسن أحمد البشير الخيرية

الإسم : .....
السكن : ..... رقم المربع .....٩٠٠٠..... رقم المنزل .....٩٦٨.....
عنوان العمل : ..... رقم الموبايل .....٠٩١٢٣٠١١٠٠٦.....
المؤهل الاكاديمي : .....
مكان العمل السابق : .....
مكان العمل الحالي: .....
العضوية في منظمات أخرى (إسم المنظمة وموقعها)
- .....
- .....
- .....

شخصين يمكن الرجوع إليهم
- الإسم ..... رقم الهاتف .....٠٩١٢٣٠٥٥٥٦.....
عنوان العمل.....
- الإسم ..... رقم الهاتف .....٠٩١٢٣٩٧٠٦٠.....
عنوان العمل.....

أقر بأن هذه المعلومات أعلاه صحيحة
الإسم.....
التاريخ.....٢٠١٧/١٠/٢٩.....
التوقيع.....

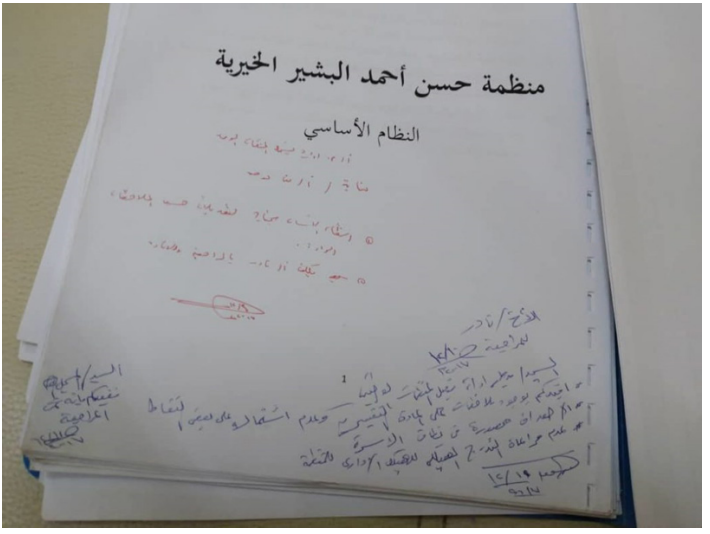


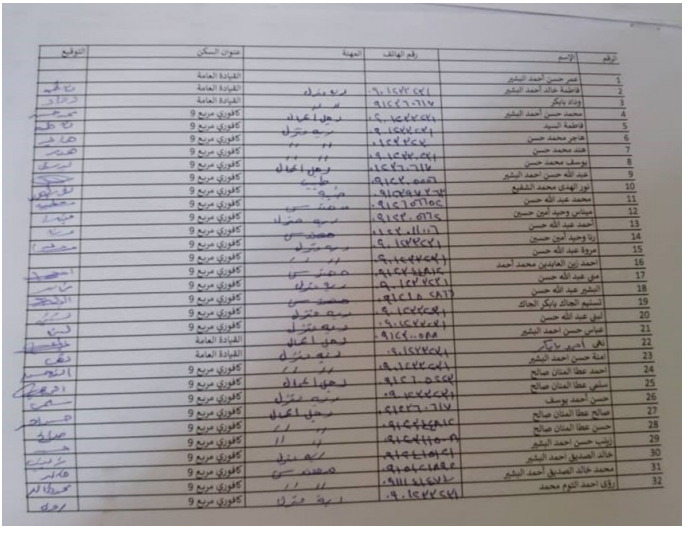

| الرقم | الإسم | رقم الهاتف | المهنة | عنوان السكن | التوقيع |
|---|---|---|---|---|---|
| 1 | عمر حسن أحمد البشير | ٠٩١٤٢٢٠٤٧١ | | القيادة العامة | |
| 2 | فاطمة خالد أحمد البشير | ٠٩١٤٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | القيادة العامة | |
| 3 | وداد بابكر | ٩١٤٤٦٠٦١٧ | | القيادة العامة | |
| 4 | محمد حسن أحمد البشير | ٠٩٠١٤٢٢٠٤٧١ | رجل أعمال | كافوري مربع 9 | |
| 5 | فاطمة السيد | ٠٩١٤٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | كافوري مربع 9 | |
| 6 | هاجر محمد حسن | ٠١٤٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 7 | هند محمد حسن | ٠٩١٤٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 8 | يوسف محمد حسن | ١٤٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 9 | عبد الله حسن أحمد البشير | ٠٩١٢٣٠٥٥٥ | رجل أعمال | كافوري مربع 9 | |
| 10 | نور الهدى محمد الشفيع | ٠٩١٢٩٤٧٠٢ | طبيبة | كافوري مربع 9 | |
| 11 | محمد عبد الله حسن | ٠٩١٢٦٢٦٦٥ | مهندس | كافوري مربع 9 | |
| 12 | عباس وحيد أمين حسن | ٠٩١٢٣٠٥٦٦٥ | ربة منزل | كافوري مربع 9 | |
| 13 | احمد عبد الله حسن | ١٢٢٠٤٧١ | مهندس | كافوري مربع 9 | |
| 14 | إيا وحيد أمين حسن | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | كافوري مربع 9 | |
| 15 | مروة عبد الله حسن | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 16 | احمد زين العابدين محمد احمد | ٠٩١٢٤٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 17 | مني عبد الله حسن | ٠٩١٢٤٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 18 | البشير عبد الله حسن | ٠٩١٢٤٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 19 | أسنيم الحاج بابكر الحاج | ٠٩١٢١٠٥٨١٦ | مهندس | كافوري مربع 9 | |
| 20 | ابي عبد الله حسن | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | كافوري مربع 9 | |
| 21 | عباس حسن احمد البشير | ٠٩١٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 22 | بابي أحمد بابكر | ٠٩١٢٢٠٤٧١ | رجل أعمال | القيادة العامة | |
| 23 | امنة حسن احمد البشير | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | القيادة العامة | |
| 24 | احمد عطا المنان صالح | ٠٩١٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 25 | سلمى عطا المنان صالح | ٠٩١٢١٠٥٥٥ | رجل أعمال | كافوري مربع 9 | |
| 26 | حسن أحمد يوسف | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | كافوري مربع 9 | |
| 27 | صالح عطا المنان صالح | ٠٩١٢٣٠٦١٧ | رجل أعمال | كافوري مربع 9 | |
| 28 | حسن عطا المنان صالح | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 29 | زينب حسن احمد البشير | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 30 | خالد الصديق احمد البشير | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 31 | محمد خالد الصديق احمد البشير | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | " | كافوري مربع 9 | |
| 32 | رؤى احمد النوم محمد | ٠٩١٢٢٢٠٤٧١ | ربة منزل | كافوري مربع 9 | |

**مستندات تكشف فساد آل البشير**

# سلّة إرهاب

لا تنتطح عنزتان حول حقيقة أن الرئيس الأمريكي المنتهية ولايته دونالد ترامب لم يك مخطئًا في قراره المثير للجدل حينما وضع اسم السودان في قائمة الدول المغضوب عليها من قبل البيت الأبيض من بين سبع دول في العالم في العام ٢٠١٧ والذي أثار دهشة غيرِ العالِمين بحقيقة ما وصلت إليه دولة المشروع الحضاري الإسلاموي بالسودان . أثار وضع المواطن السوداني في قائمة المحظورين من تعتب باب الولايات المتحدة الأمريكية موجة تساؤلات حول ما الذي جناه المواطن السوداني حتى يصنف ضمن مهددي السلم والأمن الدوليين، سيما وأن الجرائم الإرهابية التي نفذها أعداء الإنسانية في أوروبا والولايات المتحدة وغيرها لم يحصَ من بينها سوداني واحد مقارنة بدولٍ لم يأتِ ذكرها في تلك القائمة. إلا أن الواقع الذي لم تغطه «طبطبات المطبطبين»

يجيب بكل سخرية عن تلكم التساؤلات الساذجة: هل ثمة دولة بالعالم تمنح جنسيتها وجواز سفرها بكل كرم وسخاء لكل من وطئت قدماه أرضَها منذ لحظة وصوله، شريطة أن يحظى بلون بشرة يميل إلى البياض وشعر صبيي وعقيدة إخوانية، غير السودان؟ هل من دولة على وجه الأرض تجود بأرواح مواطنيها في الدفاع عن لا شيء بدول أخرى مقابل بضعة ريالات خليجية، غير السودان؟

أم هل خطر على بال أحد بالكون أن تسمح حكومة دولة ما لعصابات عالمية وعربية باستخدام أراضيها لتصنيع الصواريخ والمتفجرات التي حتمًا ستستخدم في إحدى دول الجوار أو في أحد مساجد العواصم الآمنة أو كنيسة أو غيرها، ومن ثم تجأر بأصوات عالية عن أن البلاد لا تؤوي الإرهابيين والمتطرفين، فضلًا عن مباركتها لقتل مواطنيها بدم بارد بالسماح لدول النفايات بطمر حاويات نفاياتها الكيميائية التي تقضي على الحرث والنسل بأرض السودان، وتترجى من البيت الأبيض أن يغفر لها ذنوبها ويكفر عنها سيئاتها غير حكومة السودان؟ وكيف استطاعت هذه الحكومة أن تستلذ بهنيء نومة بينما مئات الآلاف من المواطنين بأقصى شرق السودان ومعسكرات الذل والنزوح باتجاهات السودان الثلاثة يقاسون أبشع أنواع أمراض سوء التغذية والمجاعة -المنكورة من قبل المركز- وكل اعتمادهم على المساعدات

الـتي تجـود بهـا جـراب المنظمـات الإنسـانية الـتي لا تقـوى هـي الأخـرى لتغطيـة هـذا الكـم الهائـل مـن جوعـى السـودان. وفي الوقـت الـذي يخـترق النيـلان السـودانَ مـن أقـصى الجنـوب لأقـصى الشـمال، يشـتري مواطـن العاصمـة «تانكـر المـاء» لـريّ ظمـأ أطفالـه ب75 جنيهًـا؟! أضحـى الفسـاد يـدب دبيبًـا في كل المرافـق الخدميـة بالسـودان حـتى فكـر الكثـير مـن الشـباب بوضـع حـد لحياتهـم الـتي انقلبـت بسـبب فسـاد النظـام الحاكـم إلى الجحيـم، فمات ذاك المهنـدس حرقًـا أمـام الأعـين في أواخـر مايـو ٢٠١٧ ولـم تحـرك تلـك الحادثـة شـعرة في جلـد النظـام المخشوشـن، بينمـا لـف الصمـت بقيـة الشـعب تجابنًـا منـه وتخـاذلًا. ومـع ذلـك مـا بـرح الشـعب السـوداني يدعـي القداسـة والشـهامة والنقـاء الأخـلاقي. فهـل فعـلًا أضحـت دولـة السـودان «سـلة مبولـة العالـم» كمـا تفـوه بهـا أحـد السـوريين الحاملـين لجـواز سـفر سـوداني وأكرمتـه دولـة المـشروع الحضـاري بشـقة -سـوبر لوكـس- للسـكن مـع أسرتـه اللاجئـة بحـي كافـوري بالخرطـوم بحـري؟!

# حصاد فساد

منـذ تأسيسـها في مايـو تمـوز ١٩٩٣ لـم تخـلُ قائمـة مـؤشر «منظمـة الشـفافية الدوليـة» للـدول الأكـثر فسـادًا مـن اسـم السـودان الـذي تربـع لأكـثر مـن ربـع قـرن عـلى عـرش أفسـد دول الكـون وأفشـلها، والـذي عـادة مـا يجـيء متقدمًـا أو متأخـرًا بقليـل في أسـفل القائمـة عـن الصومـال وكوريـا الشـمالية، وميانمـار وأفغانسـتان وأوزبكسـتان وتركمانسـتان والعـراق وهايـتي وفنزويـلا إضافـة إلى ليبيـا وجنـوب السـودان، وهـي منظمـة مسـتقلة تعـني برصـد وتقييـم مسـتوى الفسـاد في بلـدان العالـم وتسـتند في تقاريرهـا إلى التقييمـات المختلفـة واسـتطلاعات الـرأي الـتي تجريهـا مؤسسـات مسـتقلة ومحترمـة، وتشـمل المعلومـات المسـتخدمة لتركيـب المـؤشر المسـائل المتصلـة برشـوة الموظفـين الحكوميـين، ورشـوة في مجـال المشـتريات العامـة، واختـلاس الأمـوال العامـة، وفعاليـة جهـود القطـاع العـام ومكافحـة الفسـاد.

تحسست تماسيح البعزقة والفساد في السودان «كروشهم» وأعادوا تلاوة ما اعتادوا تلاوته من تعويذة «حوالينا لا علينا» وهم يتابعون بقلق واهتمام كبيرين ما أقدم عليه وليُّ العهد السعودي محمد بن سلمان بعد إعلانه حربًا ضروسًا على الفساد بالمملكة العربية السعودية، والتي ضربت أعاصيرها قطاعًا واسعًا من أملاك العشرات من أمراء ووزاء آل سعود، ووضع الأمير الشاب ذو العقل المتحرر -نوعًا ما- يده على أكثر من تريليونَي دولار كأموال منهوبة وأعادتها إلى خزينة الدولة، وهو ما هز أوصال اللصوص من منتسبي نظام المؤتمر الوطني في السودان.

لا شك أن الفساد الذي عجز حتى «تلسكوب» مؤشر منظمة الشفافية الدولية عن التقاطه في المملكة العربية السعودية، ما هو إلا قطرة من بحر لجي من الفساد الذي شهدته دولة الإنقاذ في السودان، وهو ما يثير هلع الناهبين في حالة ما إذا انتقلت عدوى محاربة الفساد إلى السودان، لعلمهم أن أي خطوة من هذا النوع ستعيدهم إلى نقطة ما قبل العام ١٩٨٩. ولأن نظام البشير قد قطع على نفسه عهدًا وميثاقًا غليظًا بأن يحذوا حذو المملكة العربية السعودية في كل خطواتها، حتى لو دخلت السعودية جحر «ورل»* لدخلوا خلفها، بحيث يغضب لغضب المملكة ويفرح لفرحها، وعليها يحيا وعليها يقاتل فيقتل أو يغلب بأرض اليمن

[10] نوع من أنواع الزواحف من عائلات الضب البري، كثير الشبه بالتمساح الاستوائي، يتراوح متوسط وزنه ما بين 5.1 إلى 2 كج

وغيرهـا، ويقاطـع ويغلـق سـفارات مـن قاطعهـا، بـل ويرهـن أمـن الشـعب السـوداني كلـه بأمـن شـعب المملكـة، فقـد توقـع بعـض المراقبـين أن يحـذو حذوهـا في محاربـة الفسـاد أيضًـا، لكـن الـذي حـدث أنـه يتفـق معهـا ويقلدهـا في كل شيء إلا في هـذه.. وهـي مـا لـن يفعلوهـا أبـدًا مـا دامـوا فيهـا.

# الفصل الثاني

## « المعزول في آخر سنوات حكمه »

# شهادة الرئيس

في تغريدة لفضائية سودانية ٢٤ على تويتر نقلًا عن صحيفة الانتباهة ذكرت أن «الرئيس البشير يطلب الشهادة في سبيل الله». *

على الرغم من تعدد معاني كلمة «الشهادة» في اللغة العربية فإن ما ورد على لسان رئيس الجمهورية المعزول عمر البشير في خطابه الأخير في احتفالية مريليشيات الدفاع الشعبي في عيدها التاسع والعشرين، يميل إلى معنى الشهادة بمفهومها الإسلامي، وبالتالي إذا ما نظرنا إلى مدلول ما ترمي إليه كلمة الشهادة «استشهاد» في أدبيات الإسلام نجد أن الشهادة اصطلاح إسلامي يراد منه أن يقتل الإنسان في سبيل الله تعالى.

وللشهيد في الإسلام مجموعة من الأحكام والسنن خاصة

[11] المعجم الوسيط ص497

بـه، مـن قبيـل سـقوط الغسـل والكفـن عمّـن يستشـهد في أرض المعركـة.

إذن مـن خـلال السـطور التاليـة سـنحاول تقليـب دفاتـر الترجمـة العمليـة لمعـاني الشـهادة في سـبيل الله حسـب عقليـة البشـير وقواتـه وميليشـياته الجهاديـة.

في صبيحـة يـوم الاثنـين الثامـن مـن مايـو أيـار عـام ٢٠٠٦ أي بعـد ثلاثـة أيـام فقـط مـن توقيـع اتفاقيـة أبوجـا لسـلام دارفـور، أعـدّت قـوات المؤتمـر الوطـني وميليشـياته عدتهـا بأمـر مبـاشر مـن والي جنـوب دارفـور الأسـبق الحـاج عطـا المنـان إدريـس الـذي صرح في إحـدى خطاباتـه الجماهيريـة أمـام مئـات مـن ميليشـيات الدفـاع الشـعبي وأكابـر مجرمـي الحـرب بـأن عـلى إثنيـات وقبائـل بعينهـا -سـماها- البحـث عـن كوكـب آخـر ليعيشـوا فيـه.

ليدشـن بذلـك مرحلـة جديـدة مـن مراحـل تطويـر أدوات التطهـير العـرقي ضـد المدنيـين العـزل.

وبأمـر منـه نفـذت ميليشـيات الـوالي عطـا المنـان هجومًـا موسـعًا عـلى قريـة «لبـدو» الـتي كانـت تقـع وقتهـا ضمـن نطـاق سـيطرة قـوات إحـدى الحـركات المسـلحة الجالسـة قيادتهـا على طـاولات المفاوضـات الموقعـة تـوًّا عـلى اتفاقيـة أبوجـا.

وكعادتهـا قامـت ميليشـيات -الجنجويـد- الدفـاع الشـعبي بقتـل وإصابـة العـشرات مـن المدنيـين المسـلمين السِـلميين، بينهـم

شـيوخ لتحفيـظ القـرآن الكريـم، وأسـتاذ بمرحلـة الأسـاس وطـلاب القـرآن الكريـم وطالباتـه الذيـن اختلطـت دماؤهـم بـ«الدوايـة» [*] وتناثـرت أمخاخهـم عـلى الألـواح داخـل مبـاني خلـوة تحفيـظ القـرآن الكريـم بالمنطقـة!

لكـن المدهـش في أمـر أفـراد تلـك الميليشـيات أنهـم هجمـوا في ذلـك الوقـت وعـلى تلـك المنطقـة تحديـدًا طلبًـا «للشـهادة» في سـبيل الله قبـل أن يسـبقهم الوقـت ويحـل السـلام بالبـلاد -كمـا حـدث بعـد اتفاقيـة نيفاشـا- الـذي سـيحرمهم بالـضرورة مـن مبتغاهـم الـذي يتلخـص في شـعارهم: «المـات شـهيد.. والحـي يسـتفيد.. مـن مـال العبيـد» حسـبما ورد في تسـجيل صـوتي عـلى شريـط الكاسـت الـذي عُـثِر عليـه ضمـن أمتعـة أحـد المجاهديـن الذيـن أرغمـوا عـلى التخـلي عنهـا بعـد أن حمـي الوطيـس وولّـوا الأدبـار.

إن تصريحـات البشـير المتباينـة في لقـاء بأنصـاره الثلاثـاء 13 نوفمـبر 2018 تعكـس بجـلاء مـدى تصلـب العقليـة «الجبهجية» الإرهابيـة واعتباطيـة نمـط تفكيرهـم بشـأن إدارة أزمـات البـلاد بعـد أن أوحلهـا هـو في مسـتنقعات الفسـاد الفكـري والاقتصادي الـذي عصـف بالجميـع إلى هاويـة الهـلاك.

فقـد حملتـه بـوم حماسـته في لحظـة عابـرة وحلقـت بـه فـوق

[12] محـبرة مصنعـة محليـاً مـن الصمـغ السـوداني وسـواد القـدور لغـرض الكتابـة عـلى الألـواح الخشـبية.. وقـد اشـتهر بهـا أهـالي غـربي السـودان حـتى سـميت[دارفور اللـوح والدوايـة]

رؤوس أتباعه ليفجر ما أضمره ويضمره السذج من دراويش الحركة الإسلامية من تشوقهم إلى العودة بالبلاد إلى عهد بداية تكوين ميليشيات الدفاع الشعبي، واحتفاليات عرس الشهيد، وساحات الفداء، وإجبار الشباب إلى التجنيد الإلزامي، مستغلين فقر المواطن فكريًّا وماديًّا وثقافيًّا.

إذ دأب شيخهم الروحي الراحل د. حسن عبد الله الترابي وبعض قادتهم المدنية والعسكرية على احتراف مهنة إصدار الفتاوى و«نَجْر» الشعارات البراقة لإقناع الشباب بالانخراط في صفوف التجنيد مقابل تعويضهم عن شقائهم وفقرهم في الدنيا والاستبدال بهما نعيم أحضان الحور العين التي سيظفرون بهم فور استشهادهم في معارك الجنوب.

ومن ذلك ما أوردته صحيفة الوسط العربية في عددها الصادر بتاريخ ٥ يونيو حزيران من العام ١٩٩٥ قول قائد قوات الدفاع الشعبي آنذاك العميد الركن عبد المجيد محمود قائلًا: «إننا نعتبر أن العمليات في الجنوب فريضة وطريق إلى الجنة، وأضاف أن من يقتل في سبيل وطنه ودينه وعرضه أو ماله يموت شهيدًا»، مع العلم أن لا مال ولا دين ولا وطن ولا عرض للمنتسبين إلى ميليشيات الدفاع الشعبي في مناطق الجنوب.

فما الشهادة التي يتمناها ويتشوق إليها فخامة الرئيس عمر البشير وقواته وميليشياته؟

بعـد التعريـف السـالف الذكـر والترجمـة الفعليـة لمعـنى الشـهادة في عـرف الحركـة الإسـلامية يتضـح لنـا أن الشـهادة «خشـوم بيـوت».

فهـل كان البشـير يعـني شـهادة خـبرة معتمـدة في التطهـير العـرقي والفسـاد المحمـي بالدبابـات والطـيران روسي الصنـع؟

أم كان يعـني شـهادة دكتـوراه فخريـة أخـرى مـن دولـة أخـرى مجـاورة؟

أم كان يتمـنى نيـل شـهادة بـراءة اخـتراع في تقسـيم البـلاد وتهجـير كوادرهـا وشـل عقـول المتبقـين بالداخـل؟

أم كان يعـني حقًّـا الاستشـهاد في سـبيل الله طمعًـا في أن يحـشر مـع النبيـين والشـهداء والصالحـين؟

وكنـت قـد كتبـتُ معلقًـا في مقـال نـشر في حينـه عـلى صحيفـة الراكوبـة الإلكترونيـة بمـا نصـه «بمـا أن سـعادة الرئيـس قـد طلـب الشـهادة الـتي ليـس مـن العدالـة أن يحـرم منهـا بـأي حـال، وكعـادة الشـعب السـوداني في الوقـوف بجانـب الرئيـس وإعانتـه عـلى بلـوغ كل مـا يحتاجـه سـيادته، فيرجـو الشـعب السـوداني مـن سـيادته الموقـرة تقبـل نصيحتـه الـتي حتمًـا سـتوصله إلى نيـل مبتغـاه وبـأسرع ممـا يتمـنى بإحـدى الطـرق التاليـة:

- أخـذ الرئيـس كل طاقمـه الرئـاسي وجميـع وزراء حكومتـه

الاتحاديــة والولائيــة ثــم التوجــه الفــوري إلى لاهــاي لزيــارة المحكمــة الجنائيــة الدوليــة.

- أو مرافقة كتائبه المرابطة حاليًّا على خنادق تخوم مدينة الحديــدة اليمنيــة للدفــاع عــن تــراب ومقدســات الحرمــين الشريفــين.

- أو إن شاء فالقدس التي لطالما تمايل ورقص على إيقاعات أنغامها في شوق إليه.

- وإن بعــدت عليــه المســافات، فالشــعب الســوداني ينصحــه باختصــار الطريــق واصطحــاب دفاعــه الشــعبي وكل أتباعــه المخلصين والتوجــه بهــم مباشرة إلى كــودا الــتي كان قــد أقســم بالطــلاق عــلى الصــلاة بأرضهــا، فهــذه فرصــة لا تعــوض».

# للشعب عصا.. وللغريب عطاء

في مؤتمر شرم الشيخ الاقتصادي المقام في العام ٢٠١٥ اعتلى الرؤساء العرب المنصة وبكل سخاء تبرعوا بأموال نقدية، مساهمة من دولهم في دفع عجلة الاقتصاد المصري، وما إن حان دور الرئيس السوداني المعزول حتى نفض أميرُ دولة الكويت الشيخ الأحمد جابر الصباح ونائبُ رئيس الإمارات حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وآخرون عباءاتهم وولّوا الأدبار خارج قاعة المؤتمر -ولهم عذرهم في ذلك- لكن لم يثر ذلك التصرف فيه أي ثائرة، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال البشير: «للأسف أنا لا أملك المال لأتبرع به لشعب مصر الشقيق، ولكن أمتلك أراضي زراعية واسعة، لذلك أنا أتبرع لجارتنا بـ1000،000 فدان زراعي».

ولا أدري هل أوفى بوعوده تلك أم مرّت كأخواتها من التصريحات النابعة من فقاقيع حماسه اللا مدروس.

فقـد عمـدت حكومـة البشـير منـذ تسـنمها سرج السـلطة في السـودان إلى الجـود بـكل مـا مـن شـأنه المسـاهمة في تعزيـز إطالـة بقائهـا في السـلطة وبيـع مـا يمكـن ومـا لا يمكـن بيعـه، ابتـداءً مـن المؤسسـات الخدميـة وحـتى التعليميـة، مـرورًا بأجـزاء شاسـعة مـن تـراب الوطـن، إمـا بيعًـا وإمـا إهـداءً أو يتخـلى عنهـا تجابنًـا أو وضعهـا رهينـة ديـون لا علـم للشـعب السـوداني بماهيتهـا وأوجـه صرفهـا، بـل لـم يسـلم مـن كـرم الحكومـة حـتى إنسـان السـودان الـذي بـات سـلعة تبـاع وتشـترى لأغـراض مختلفـة في أسـواق النخاسـة في بلـدان عربيـة مختلفـة، كإعـادة إنتـاج جديـد لاتفاقيـة «البقـط» التاريخيـة بصـورة مغايـرة.* معلـوم أن طمـع الحكومـة النازيـة في الحصـول عـلى أكـبر قـدر ممكـن مـن مسـاحات الأرض لاسـتغلالها في الزراعـة والصناعـات وغيرهـا هـو أحـد أهـم الأسـباب الـتي أشـعلت الحـرب العالميـة الثانيـة، فأبيـدت وهجـرت تحـت وطأتهـا الملايـين، فقـط مـن أجـل أن تهنـأ شـعوب الدولـة النازيـة وحلفائهـا بتلكـم المسـاحات الواسـعة، وبغـض النظـر عـن مشروعيـة تلـك الأنظمـة مـن عدمهـا فـإن مراميهـم هـذه تؤكـد غـلاء الأرض وتقديمهـا حـتى عـلى النفـس والـدم، بينمـا نجـد أن حكومـة المؤتمـر الوطـني كانـت تسـعى عكـس هـذا المبـدأ. في الوقـت الـذي تحـذو حـذو النظـام النـازي في جوانـب البطـش والقمـع والتنكيـل بشـعبها، واتخـاذ العنصريـة والتعـالي العـرقي والديـني منهجًـا

[13] نعّـوم شـقير- جغرافيـا وتأريـخ السـودان –ط١ الخرطـوم: دار عـزة للنـشر والتوزيـع ٢٠٠٧

لتبريـر وحشـيتها ضـد مـلاك الأراضي الأصليـين.
فبفضلهـا اسـتوطن الملايـين مـن عربـان دول غـرب إفريقيـا في ثلـثي المسـاحات المحروقـة بدارفـور كمسـتوطنين جـدد.
وامتلكـت الصـين مئـات الآلاف مـن الأفدنـة الزراعيـة الخصبة، وصـار لقطـر قُطـر بالسـودان يفـوق مسـاحتها، وسـيطرت الإمـارات عـلى مشـاريع اسـتثمارية تفـوق خيـال المواطـن السـوداني، ولإيـران قبلهـا مسـاحات كبـيرة للتصنيـع النـووي الـذي تـرى طهـران في مخلفـات تصنيعهـا داخـل إيـران هـلاكًا للحـرث والنسـل، ومـا مصنـع يرمـوك النوويـة إلا واحـد مـن صغـار الأماكـن لهـم داخـل السـودان وحـتى اليـوم، كمـا أن للـروس نصيـب الأسـد مـن مسـاحات التعديـن في حفـرة النحـاس بـ«كافيقانجـي» عـلى مثلث الحـدود الجنوبيـة الغربية الـتي تحدهـا وجنـوب السـودان شرقًـا وإفريقيـا الوسـطى مـن جهـة الغـرب.
كل ذلـك دون أي حسـابات اسـتثمارية واضحـة تعـود بفوائدها إلى جيـب الوطـن لا المؤتمـر الوطني.
ومما زاد النـار «عويشـا» قـدوم الرئيـس الـتركي رجـب طيـب أردوغـان إلى السـودان في أواخـر ديسـمبر\كانون الأول ٢٠١٧ وقد تزامنـت زيارتـه بأيـام عيـد الاسـتقلال لينقـب جـراح الشـعب السـوداني، وقـد كافأتـه الحكومـة -كمـا توقعـت- بميناء سـواكن الـتي تعـد إحـدى شرايـين السـودان المتدفقـة عـلى قلتها.فمـا المقابـل بعـد كل تلـك الإغداقـات والإهـداءات السـاذجة؟
- لا شيء.

# قوات سورية مسلحة في قلب الخرطوم!

وكأن السودان أرض تنقصها الجماعات والبؤر الإرهابية المسلحة التي تكتظ بها المدن السودانية عن جنباتها حتى سعت حكومة البشير لإيواء مزيد من العناصر الأجنبية مجهولي الهوية والهواية، والمثير للدهشة أنها لا تزال تحتفظ بأسلحتها غير آبهة بسيادة الدولة المضيفة أو على الأقل كرامة شعبها الطيب.

طالعتنا الصحف السودانية في مطلع العام ٢٠١٨ بنبأ عمليات مداهمة وتفتيش نفذتها عناصر مسلحة تحمل هويات تشير إلى تبعيتهم لجهاز أمن إحدى دول الجوار داخل حي شعبي بمنطقة الشجرة بالعاصمة الخرطوم بحجة البحث عن أشخاص هاربين.

سبقتها حادثة انفجار مصنع للقنابل والمتفجرات يديره أفراد سوريون ومصريون في وسط العاصمة الخرطوم، إلا أن الأجهزة الأمنية كعادتها «طبطبت» على الحادثتين وكأن

شـيئًا لـم يكـن، ليـدع المواطـن يعيـش اندهاشـته إلى أن تغطيهـا حـوادث أكـثر إدهاشًـا.

لـم تكتـف الحكومـة السـابقة بـكل مـا جلبتـه عـلى الشـعب السـوداني مـن مجاعـة وعزلـة دوليـة وإقليميـة جـراء إيوائهـا وتمويلهـا قـادة تنظيمـات إرهابيـة مثـل زعيـم تنظيـم القاعدة الأسـبق أسـامة بـن لادن في مطلـع التسـعينيات، وجماعـة جيـش الـرب اليوغنديـة، وجماعـة أنصـار الدعـوة والجهـاد الماليـة، والجماعـات الجهاديـة الليبيـة، وجماعـة الإخـوان المسـلمين الملاحقـين مـن قبـل سـلطات بلدانهـم، وقـادة معارضـة إريتريـا وإفريقيـا الوسـطى وجنـوب السـودان وبوكـو حـرام، إضافـة إلى حركـة «إسـكود» التشـادية الـتي اسـتوعبتها مؤخـرًا في ميليشـيات الدعـم السريـع، وغيرهـا ممـن «يقدلون» بأفخـم السـيارات المظللـة في شـوارع الخرطـوم وعواصـم الولايـات بـلا رقيـب ولا عتيـد، حـتى عمـدت حكومـة البشـير إلى تغطيـة النـار بـ«العويـش» بتمليـك اللاجئـين السـوريين السـلاح النـاري وفي قلـب العاصمـة!

فمـا فـتئ المراقبـون يتسـاءلون بشـأن الـسر وراء علاقـة الأجانـب بتلـك الجرائـم المسـلحة الـتي تحـدث بـين حـين وحـين إلى أن جـادت قريحـة الصدفـة بالإجابـة عـن جـل تلـك التسـاؤلات، حيـث أماطـت الأقـدارُ اللثـامَ عـن وجـود أسـلحة «مرخصـة» في أيـادٍ أجنبيـة لـم تطلهـا عمليـات حملـة جمـع السـلاح بعـد، بـل بـرزت كتائـب مسـلحة بكامـل عدتهـا وعتادهـا في المشـاجرة الـتي جـرت بحـي كافـوري بالخرطـوم

بحـري صبيحـة يـوم الجمعـة التاسـع مـن فبرايـر ٢٠١٨ بـين مواطـن سـوداني وآخـر سـوري، والـتي تطـورت إلى مرحلـة تدخُّـل أفـرادٍ مناصريـن لـكلا الطرفـين، وسرعـان مـا اضطـر المتشـاجرون السـوريون للهـرع إلى شـقق سـكنهم المجـاورة ليعـودوا بعـد هنيهـة مدججـين بأسـلحة متطـورة أعجـزت الخصـوم السـودانيين عـن مواجهتهـا فأطلقـوا السـوق للريـاح، وولّـوا الأدبـار بعـد إصابـة أحدهـم بطلقـة ناريـة، في فـوضى أشـبه بفيلـم هنـدي، وهـو مـا يعـزز حقيقـة أن ثمـة قـوات جلبتهـا حكومـة المؤتمـر الوطـني مـن دول بعينهـا للوقـوف معهـا عندمـا يسـتحكم عليهـا الخنـاق، مقابـل توفـير شـقق سـكنية مريحـة لهـم ولأسرهـم ومنحهـم أوراقًـا ثبوتيـة للتجـوال حـول العالـم، إضافـة إلى تعيـين جـزء كبـير منهـم ضباطًـا في الأجهـزة الأمنيـة.

وما تخفيه الليالي والفلل مشددة الحراسة أعظم وأبشع.

# الدولارات تبيح المحظورات!

مـن الأمـور المثـيرة للضحـك حـتى التقيـؤ، هـي تلـك البوالـين الإلهائيــة الــتي عــادة مــا يطلقهــا عباقــرة الحــزب الحاكــم للتغطيـة عـلى روائـح الفسـاد الـذي اسـتشرى حـتى أثـار ثائـرة الثائريـن حـين اسـتعصى عليهـم كبـح جماحـه ومنـع تسربـه، فقـد بلـغ أذكيـاء الحـزب مبلغًـا عاليًـا في التفـنن في حفـر مطامير لـوأد الأصـوات الصادحـة الفاضحـة لبـؤر الفسـاد باختـلاق أكذوبـات تحـير في الغالـب حـتى أكـبر رواد الكـذب والتدليـس، إذ لـم يخطـر عـلى بـال أمهـر جوكيـة الخيـال العلمـي والـرواة وجحافلــة القصــة القصــيرة والمتوســطة والطويلــة أن يأتــوا يومًـا بأسـطورة كتلـك الـتي تحمـرّ لهـا الأقـلام حيـاءً وخجـلًا، مثـل أكذوبـة اختفـاء الجبـل عـن الوجـود في لمـح البـصر بكامـل تضاريسـه وصخـوره العملاقـة جـدًّا وأحجـاره الضخمـة وحصاه ورمالـه ووحوشـه وأرانبـه ونملـه وأشـجاره ومـا حولـه، إضافة إلى مـن كانـوا حـول الجبـل مـن عمـال الشركـة الصينيـة المختفيـة

هـي الأخـرى وموظفيهـا، والمخلفـة وراءهـا آلياتهـا الـتي تجـاوز ثمنهـا الـ25 مليـون دولار حسـبما أوردهـا التلفزيـون المحـلي والصحـف السـودانية نقـلاً عـن والي كسـلا الأسـبق السـيد جمـاع الـذي أكـد نفـي علمـه المسـبق بالشركـة قبـل أن يتعـرّف عليهـا صدفـة، رغـم توفـر مـا يشـير إلى خـلاف مـا يدعـي!

قـد يـرادف الحقيقـة -إن صـح أصـلًا- إحـدى التكهنـات المثـارة حـول اختفـاء عمـال الشركـة الصينيـة وموظفيهـا، كأن يكونـوا قـد عـثروا عـلى كنـوز بالجبـل المختفـي أغنتهـم عـن آلياتهـم فهربـوا إلى حيـث أتـوا عـبر دولـة إريتريـا، أو ربمـا اقتادهـم الجـان حـارس الكـنز -كمـا زعم بعـض المتكهنـين- إلى دار سـيد الجـان الأعظـم لمحاكمتهـم، أو لربمـا اختطفتهـم ميليشـيات مسـلحة وقامـت بنهـب مـا خـف حملـه مـن ممتلكاتهـم قبـل تصفيتهـم أو إخفائهـم بغيـة طلـب الفديـة مـن ذويهـم كمـا يحـدث في مـدن دارفـور منـذ أكـثر مـن عقـد، وهـو الأقـرب إلى الصـواب والمنطـق.

إذ كيـف يسـمح لأي شركـة مهمـا صغـر حجمهـا بالعمـل داخـل دولـة مـا، دون عقـودات عمـل تربطهـا بالشركـة الأم وحكومـة بلـد المنشـأ وفـق إجـراءات وبروتوكـولات معلومـة تعيدهـم عنـد الهـروب؟!

أمـا الأسـطورة الـتي فجّـرت براكـين مـن الدهشـة لـدى كل شـعوب العالـم لتفوقهـا حـتى عـلى الأسـاطير الإغريقيـة ذائعـة الصيـت، فهـي كذبـة هجمـات «النمـل» لمخـازن سـكر الدنـدر الـتي جعلـت وسـائل التواصـل الاجتماعـي تتلقاهـا

بـكل اسـتهزاء واسـتصغار -عـلى عكـس مـا قصدتـه العصبـة الحاكمـة- ومـا تبعتهـا مـن تداعيـات لا مجـال لإعـادة ذكرهـا. ولـو بقـوا في السـلطة حـتى هـذه اللحظـة، لأطـلّ علينـا أحدهـم يومًـا بتصريحـات تؤكـد هجـوم سرب مـن الذبـاب الأخـضر وافـدة مـن إحـدى دول الأعـداء مسـلحة بأسـلحة حديثـة الصنـع لتنهـب كل مسـتودعات خزائـن البنـك المركـزي وتسـتهدف الديـن وسـيادة البـلاد.

مـن نافلـة القـول التذكـير هنـا بـأن تلـك الفقاقيـع والبوالـين الانصرافيـة مـا هـي إلا محاولـة مدروسـة مـن عصابـة الحـزب الحاكـم للتغطيـة عـلى قـذارات وفضائـح، أدناهـا بيعهـم لمـادتي الكيميـاء واللغـة العربيـة اللتـين سُرِّبتـا مـن قبـل بعـض أعضـاء لجنـة الامتحانـات السـودانية لتبـاع في السـوق السـوداء مقابـل حفنـة مـن الـدولارات الـتي عـادة مـا تبيح المحظـورات، مثلمـا حـدث في امتحانـات السـنتين 2015 و2016 عندمـا اشـترى بعـض طـلاب الـدول العربيـة الممتحنـين في السـودان بدولاراتهـم بعضًـا مـن أعضـاء ذات اللجنـة المشـبوهة.

والمحـزن حقًّـا هـو ذلـك التجاهـل والضبابيـة المريبـة الـتي غمـرت ملـف محاسـبة المسرِّبـين في السـنوات الماضيـة ٢٠١٥ - 2016 مـا يكشـف بجـلاء مـدى تواطـؤ الجهـات المختصـة مـع أولئـك الذيـن لا يخشـون في الطالـب السـوداني إلًّا ولا ذِمّـة.

بقـي أن نلفـت إلى أن الأيـادي الـتي نهبـت سـكر الدنـدر ومعـادن جبـل سرارات وغيرهمـا ممـا خفـي علينـا، هـي ذات الأيـادي الـتي عبثـت بـأوراق الامتحانـات الثانويـة فسربتهـا،

وقبلهـا قبضـت أثمـان أرض وعـرض وإنسـان السـودان.
فهـل فكـرة إعـادة امتحـان الكيميـاء المُسرّب الـتي تـم إجراؤهـا بيـوم الثلاثـاء ١٧ أبريـل 2018 بقـرار مـن مديـر الإدارة العامـة للقيـاس والتقويـم والامتحانـات السـيد مختـار محمـد مختـار في بيانـه الصحفـي السـبت 31 مـارس 2018 في ظـل التعامـي عـن محاسـبة الفاعلـين تعـد حـلًّا نهائيًّـا لهـذه الجريمـة الخطـيرة؟!

# الطائشون في أحراش اليمن

**يقول زهير بن أبي سلمى*:**

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمًا عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ
يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَرَّمِ.

عادة ما تتهاوى هيبة الشعوب والدول عندما تدمن حكوماتها الاسترزاق والتقوت من مزابل المتغوطين، حتى تصبح سلة يُرمى عليها بذيء الأقوال والأفعال من أتفه تافهي الأرض.

توقعت كغيري من المراقبين بدهشة لصفقات البيع والشراء بحق الرقيق -عفوًا الجنود السودانيين- بأسواق النخاسة الخليجية الذين بلغت أعدادهم الـ30,000 مواطن سوداني، أن يأتي يوم ما، يمد فيه السادة الخلجان ألسنتهم على الجندي السوداني الطائش بفيافي اليمن،

[15] ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق محمد البيطار صادر ببيروت.

وينعتونه بالقاتل المأجور والعبد المأمور وسواد جلده الذي ما برح يشمئز ويهرب منه كهروب الحُمر المستنفرة من قسورة، وهو ما يثير غضب -الزول- السوداني، فيحاول السعي للانتقام على كرامته المهدورة بكامل إرادته، وهو بالفعل ما حدث مساء السبت 21\10\2017 فقد أورد موقع شهارة نت «وقوع اشتباكات عنيفة بين قوات الجيش السوداني والقوات الإماراتية في محافظة تعز اليمنية أدت إلى مصرع العشرات من الطرفين، ولفت ذات المصدر إلى أن الاشتباكات تعود إلى محاولة خروج القوة السودانية من الطوق الإماراتي الذي يتحكم بقيادة المعارك هناك، وتدخله في التفاصيل الصغيرة للجنود السودانيين، ما اعتبره الآخرون انتقاصًا وتقليلًا من قدراتهم وحطًّا من شأنهم، معتبرين أن التصرفات الإماراتية لم تعد ندية وأخوية بين الزملاء، بل أصبحت بين القائد الذي يقدم الأموال وأجير يقاتل لقاءها»[15] على حد قوله. وهو كذلك. ما دفع المحلل السياسي المصري، سامح عسكر للتعليق على الأمر قائلًا: «لا أحترم من يهين بلاده في حروب الآخرين، فهو لو انتصر سيُحسَب انتصاره لغيره، ولو هُزِم سيُعاني من هزيمته للأبد». واختتم سامح تدوينته بتوجيه رسالة للنخاس البشير قائلاً: «قولوا للبشير: ماذا جنيت من حربك على اليمن ودفعك السودانيين للهلاك؟ أي إجابة له غير المال فهي كاذبة ونهايات المرتزقة غالبًا

[15] موقع شهارة نت الإخبارية اليمنية.

تبقى محزنة».
مع أن بلاده قد قبضت ثمن تأييدها لعاصفة الحزم «كاش» ودون أن تدفع بجندي واحد.
يجري كل ذلك وسط تجاهل كامل لتلك النداءات التي تصرخ هنا وهناك كل حين وآخر بأن كفى هوانًا ومذلةً، فقد شبع الشعب السوداني ذلًّا وانكسارًا بقدر ما شبع المواطن اليمني تقتيلًا وتدميرًا وتجويعًا، جراء تلكم القرارات التي بموجبها شارك الجيش السوداني كمرتزقة في عاصفة -العربان- الذين لا يعترفون حتى بآدمية الجندي السوداني فضلًا عن أن يحترموه كزميل في خنادق حماية أصحاب «العقالات والطرح الحمراء».
والواقع أن الشعب السوداني ليس أكثر إسلامًا ورجولة من غيرهم، ولا السودان أقرب إلى العروبة من بقية الدول العربية غير المشاركة في التحالف حتى ينفردوا بالدفاع عن الحرمين كما يزعمون.
أختم هذا بعتاب لاذع تلقيته من صديق يمني جمعتني به الصدفة في مقر عملي حين كنت أعمل فيً مكتب المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وهو أستاذ جامعي أرغمته الحرب على الهرب وطلب اللجوء بعد أن فقد أفراد أسرته وقُتلت زوجته أمام عينيه اغتصابًا على أيدي من أسماهم بـ«المرتزقة السودانيين» فقال والأسى يكاد يفتك به: «درست معظم مراحلي الدراسية على أيدي أساتذة سودانيين، ولن أنسى لهم هذا الفضل.. فكان

السـودان يرسـل لنـا أفواجًـا مـن خـيرة العقـول لإحيائنـا .. لكـن اليـوم يرسـل السـودان لنـا أذل وأحقـر مـا لديـه مـن العقـول لقتلنـا وتشريدنـا وانتهـاك أعراضنـا.. وليتهـم فعلـوا ذلـك لحـربٍ أو ثـأرٍ قديـم بيننـا».

الفصل الثالث

# «العنف لغة المفلسين»

# تهديد ووعيد

بعد أن تكللت مساعي عصيان ٢٧ نوفمبر ٢٠١٦ بنجاح نسبي في شل موازين الأمور في البلاد، تملّك عصبةَ النظام الحاكم وحلفاءها الرعبُ وبلغ فيهم الهلعُ ذروته، فطفقوا يهزؤون من نداءات العصيان المدني ويستصغرون تأثيره، مع يقينهم أن تلك الأصوات لا تقل تأثيرًا عن معركة الذراع الطويل بأمدرمان منتصف ٢٠٠٨ التي بلغت منها القلوب الحناجر.

وكعادتهم استنفروا وحشدوا الأرزقية للفتك بالشعب في حالة ما إذا خرج للشارع، ونشرت كتائب الجهاد الإلكتروني مقاطع عبر مواقع التواصل المختلفة متوعدين فيها بسحق المواطن وطحنه تحت «البوت»، في مشاهد تنمّ عن الفقر الأخلاقي الذي يطغى على عقول وطبائع تلكم العصبة، كأن يقول أحدهم «الراجل يطلع لينا برا» و«خوفناكم دخلناكم جوّا مثل الحريم» وغيرها من الألفاظ التي تجسد حجم هلعهم.

ولـم يكفهـم نبـاح صغارهـم مـن الأجهـزة الأمنيـة وبعـض الحلفـاء مـن أحـزاب «الفكـة» حـتى أطـل علينـا كبيرهـم عمـر البشـير متوعـدًا كلَّ مـن يخـرج إلى الشـارع قائـلًا: «مـا حيقـدروا يواجهونـا لأنهـم عارفـين حنعمـل فيهـم شـنو لو خرجـوا». إلا أن الشـعب السـوداني أعمـل ذكاءه الـذي أعجـز تفكـير عباقرتهـم.

وحـول مـا تناقلـه النشـطاء عـن هروبـه إلى الإمـارات عقـب نجـاح العصيـان المـدني قـال: «يحرقـن بنـات الإنقـاذ أن جريـت للإمـارات» وبنـات الإنقـاذ هـن مصـدر قوتـه وشـجاعته، وكأن زيارتـه الـتي أعقبـت العصيـان المـدني إلى كسـلا أتـت فقـط مـن أجـل أن يقـول مـا قالـه مـن التهديـد والـصراخ.

والحقيقـة أنـه مـا كان بحوزتهـم غـير ذلـك، إذ إن المواطـن قـد بـات مـدركًا عارفًـا مـا سـيجازى بـه عنـد الخـروج، مثلمـا بـات محيطًـا بتفاصيـل مـا يـدور خلـف أبـواب غـرف الطـوارئ الـتي أعـدّت كتائـبَ تخريبيـة مهمتهـا حـرق بعـض المؤسسـات كالصيدليـات والمخابـز وطلمبـات الوقـود ونحوهـا، بغـرض تلفيقهـا في المواطـن والتصـدي للمتظاهريـن بالرصـاص بحجـة التخريـب وحمايـة المؤسسـات الـتي تسـلّم أصحابُهـا الأثمـان كاملـة قبـل الحريـق.

ذلـك لأن شـح العقـول والمنطـق السـليم ولـؤم الطبـاع قـد أحكـم عليهـم قبضتـه، فلـم يسـعوا لإسـكات جـوع الشـعب بغـير رصاصـة تخـرج لتسـتقر في صـدر مـن يقـول «إني جائـع».

مـا جعـل أغلـب الشـعب السـوداني يـدرك باكـرًا أن قريحـة النظـام البائـد لـم تعـد تجـود ولـن تجـود بغـير البطـش والقمـع والتهديـد والتقتيـل.

ورغـم كل ذلـك نهـض الشـعب وتحدى الصعـاب -كما سـنتناوله في حينـه- إلى أن سـقط الطاغيـة وأودع في السـجن وتحرر الشـعب مـن سـطوته، إذ ليـس مواجهـة المواطـن السـوداني العنيـد كالتهليـل والرقـص مـع بنـات الإنقـاذ.

# استحمار العقول!

منذ أن سطت عصابة الجبهة الإسلاموية على ظهر الشعب السوداني، لجأت إلى استغباء واستحمار عقل الإنسان السوداني، فأطلق عرابهم الذي علمهم الشعوذة والنفاق الراحل د. حسن عبد الله الترابي مقولته الشهيرة «اذهب إلى القصر رئيسًا وسأذهب إلى السجن حبيسًا» فاقتِيد إلى السجن مع بقية رؤساء الأحزاب، وتوهّم الآخرون بأن قوات الشعب المسلحة هي من وضعت حدًّا لمهازل حكومة الديقراطية الثالثة الهشة هي الأخرى.

فعل الترابي ذلك لعلمه اليقين بأن الشعب السوداني إذا ما أدرك حقيقة هوية هذه الحكومة الجديدة المُسماة بـ«حكومة ثورة الإنقاذ» سوف يقوم بخنقها و«تفطيسها» في مهدها منذ الساعات الأولى.

بتلك الكذبة الماكرة تفادت حكومة المؤتمر الوطني هبّة

الشـعب السـوداني ذي القلـب «الحـار» والطيـب لسـنوات طـوال، فبنـت بعدهـا كل برامجهـا عـلى الكـذب والخـداع لتمريـر خبيـث فعالهـا الـتي وقعـت نتائجهـا القاسـية باسـتمرار عـلى رؤوس الغلابـة مـن عامـة الشـعب السـوداني.

وبـذات الحِيـل ألبسـوا حـرب الجنـوب العنصريـة عمامـةَ الجهاد في سـبيل الله ضـد مـن أسـموهم كفـارًا مـن شـعب جنـوب السـودان لاسـتدرار تعاطف الشـباب في الشـق الشـمالي المسـلم حـتى اسـتطاعوا أن يوهمـوا عامة الشـعب بأن د. جـون قرنق[16] يهـدف مـن خـلال حركتـه المسـلحة إلى هـدم المسـاجد وإبـادة العـرب والمسـلمين وإقامـة دولـة مسـيحية تسـيطر عـلى كل السـودان، فانخـرط الشـباب بـكل سـذاجة زرافـات ووحدانًـا في صفـوف قـوات وميليشـيات النظـام، فاسـتخدمهم الأخـير وقـودًا لحـرب لا ناقـة لهـم فيهـا ولا جمـل، أدت في نهايـة المطـاف إلى تقتيـل الملايـين وتشريدهـم مـن الطرفـين حـتى اضطـر شـعب الجنـوب هـو الآخـر إلى اختيـار الانفصـال والنـأي بعيـدًا عـن سـودان الظلـم والقهـر والاسـتعباد في التاسـع مـن يونيـو ٢٠١١، ليتضـح مؤخـرًا أن تلـك الشـعارات الـتي أطلقتهـا حكومـة الإنقـاذ مـا هـي إلا كذبـة أُريـد بهـا إلهـاء بقيـة أطـراف السـودان عـن الالتفـات إلى معاناتهـم الـتي سـتدفعهم يومًـا مـا إلى السـعي للمطالبـة بالعدالـة التنمويـة والاجتماعيـة وغيرهـا كمـا فعـل شـعب جنـوب السـودان ممـا سـيهدد بقاءهـم، وهـو مـا حـدث بالفعـل في دارفـور وأجـزاء أخـرى مـن السـودان.

بعـد انفصـال جنـوب السـودان وخـروج أكـثر مـن سـبعين في المئـة مـن مـوارد البـترول مـن ميزانيـة الدولـة الـتي كانـت تعمـد بشـكل كبـير عـلى صـادرات النفـط بعـد تدميرهـم جميـع مصادر الإنتـاج القوميـة، أدركـت العصبـة الحاكمـة فداحـة حماقتهـا وتهورهـا، ولمـا لـم تمتـلئ كروشـهم بعـد مـن خـلال عمليـات النهـب المنظـم لأمـوال الشـعب السـوداني طيلـة فـترة بقائهـم، كان لا بـد مـن اللجـوء إلى فـرض المزيـد مـن الضرائـب وبالتـالي ارتفـاع أسـعار السـلع وتجويـع الشـعب كبدائـل تضمـن لهـم الاسـتمرارية في بنـاء الفلـل والـشركات العملاقـة في ماليزيـا وتركيـا وقطـر والإمـارات، واسـتحلاب مزيـد مـن الأمـوال المنهوبـة لزيـادة الأرصـدة والأسـهم الماليـة في مختلـف بنـوك دول العالـم، والـتي دفعـت مديـر أحـد البنـوك الماليزيـة لإبـداء اسـتغرابه مـن تداعيـات الأزمـة الاقتصاديـة الحاليـة بالسـودان في الوقـت الـذي تكتـظ خزائـن البنـوك العالميـة بأسـهم ضخمـة لأسـماء سـودانية رفيعـة المسـتوى في حكومـة المؤتمـر الوطـني!

فبـدلًا مـن أن تكشـف حكومـة البشـير للشـعب السـوداني حقيقـة واقـع الأزمـة الاقتصاديـة الـتي تواجـه الدولـة واسـتعادة الأمـوال المسروقـة ومـن ثـم الاسـتعانة بالخـبراء الاقتصاديـين لوضـع خطـة اقتصاديـة محكمـة لاسـتغلال مـوارد الدولـة السـائبة لتخـرج السـودان مـن مسـتنقع التدهـور الاقتصـادي؛ أخـذت تتحايـل عـلى إرادة الشـعب السـوداني كعادتهـا، فمـا إن تـشرع في وضـع الميزانيـة لسـنة ماليـة جديـدة حـتى تسـبقها بإطـلاق مجموعـة مـن البالونـات الانصرافيـة لإلهـاء المواطـن عمـا جـرى

ويجـري طبخـه بقـدور «أندايـات» المؤتمـر الوطـني.

وقـد حالفهـا الحـظ في كل مـرة في طمـر ثـورة الشـعب الجائـع بتلـك الحيـل الدنيئـة، ومـا تداعيـات توتـر العلاقـة مـع دولـتي مـصر وإريتريـا لدرجـة حشـد القـوات المسـلحة عـلى الحـدود الشرقيـة للبـلاد والتلويـح بإعـلان الحـرب ضـد مـصر وتوجيـه أعضـاء الحـزب بارتـداء -الـكاكي- في مطلـع ينايـر 2018 إضافـة إلى إطـلاق أجهزتهـم الأمنيـة لمقاطـع الفيديـو الـتي تعكـس جانبًـا آخـر مـن فضائحهـم الأخلاقيـة في جامعـة الأحفـاد إلا محاولـة منهـم لإثنـاء الشـعب السـوداني عـن الخـروج لاقتـلاع سـلطتهم المسـتذئبة، إذ إن التعـدي عـلى تـراب السـودان لـم يكـن بالأمـر الجديـد، وإن صـح وجـود الجيـش المـصري عـلى الحـدود الإريتريـة السـودانية فـإن للجيـش المـصري انتشـارًا مكثفًـا داخـل الأراضي السـودانية في حلايـب وشـلاتين وعلـم بلادهـم يرفـرف منـذ عشريـن عامًـا هنـاك، أمـا فضيحـة ضرب الطالبـات في جامعـة الأحفـاد عـلى سـوءتها أيضًـا لـم تكـن بالأمـر الجديـد، لكـن نشرهـا متزامنـة مـع إعـلان الميزانيـة الجديـدة؛ لأمـر أريـد بـه قمـع ثـورة الجيـاع المتوقعـة وإشـغال الشـعب الجائـع عـن قضيتـه الملحـة، إلا أن السـهم ارتـد إليهـم وأصابهـم في مقتـل، حيـث لفتـت أنظـار الشـعب السـوداني للتنقيـب عمـا هـو أبشـع مـن تلـك المقاطـع المسربـة حـول نظـرة «الكـوز» للمـرأة وفضـح أسـطورة آل بـدري عـلى امتـداد تاريـخ السـودان الحديـث.

إذ أظهـر شريـط فيديـو البروفسـور قاسـم بـدري، مديـر جامعـة الأحفـاد المرموقـة بالسـودان، وهـو يـضرب طالبـات داخـل الحـرم الجامعـي لمنعهـن مـن التظاهـر ضـد غـلاء الأسـعار. *

[17] فضائية الحرة الإخبارية ٢٠١٨\١١\١١

# الشيطان يستعيذ

تعريف الشيطان: الشيطان على وزن فيعال مشتق من شطن: أي بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وشيطن وتشيطن، صار كالشيطان وفعل فعله.

وذكر ابن الأثير أن نون الشيطان إذا جعلت أصلية كان من الشطن وهو: البعد عن الخير،

والشطن: البعد، ومنه شطنت داره، أي بعدت، ويقال: نوى شطون أي بعيدة، وبئر شطون: أي بعيدة القعر، ويقال للحبل شطن، وجمعه أشطان.*

والمراد بالشيطان في هذه المواضع -حسبما أوردته الكتب السماوية- هو ذلك المخلوق من النار، والذي كان يجالس

[18] كتاب الموسوعة العقدية-الدرر السنية ج8 - ص 367- مجموعة من المؤلفين

الملائكـة ويتعبـد معهـم، وهـو مـن الجـن، فلمـا أمـر الله ملائكتـه بالسـجود لآدم خالـف أمـر ربـه بتكـبره عـلى آدم لادعائـه أن النـار الـتي خلـق منهـا الجـن خـير مـن الطـين الـذي خلـق منـه آدم الإنسـان (قَـالَ أَنَـا خَـيْرٌ مِّنْـهُ خَلَقْتَـنِي مِـن نَّـارٍ وَخَلَقْتَـهُ مِـن طِـينٍ)[19] فـكان جـزاء هـذه المخالفـة أن طـرده مـن رحمتـه، ومحـل أنسـه، وحـضرة قدسـه، وسـماه إبليـس إعلامًـا لـه بأنـه قـد أبلـس مـن الرحمـة، وأنزلـه مـن السـماء مذمومًـا مدحـورًا إلى الأرض، فصـار بذلـك شـطونًا بعيـدًا عـن دروب الخـير، قريبًـا مـن دروب الـشر.

وعـلى هـذا الأسـاس فـإن كل مـن يتصـف بهـذه الصفـات ينطبق عليـه بالضرورة اسـم الشـيطان.

في لقـاء جماهـيري كبـير بإحـدى ولايـات دارفـور المنكوبـة في مطلـع ٢٠١٨ دعـا الرئيـس السـوداني عمـر البشـير شـعب دارفـور إلى لعـن الشـيطان الـذي فتنهـم وأوصلهـم إلى هـذا الحـد مـن الدمـار والتقتيـل!

وفي لقـاء لـه ببيـت الضيافـة بالخرطـوم الثلاثـاء 13 مايـو 2018 مـع مـن أسـموهم بـ«ممثـلي مجتمعـات النازحـين بدارفـور» جـدّدَ البشـير دعوتـه بـكل اسـتهتار واسـتحمار لطـرد مـا وصفـه بـ«الشـيطان» الـذي دخـل بينهـم وفعـل بهـم الأفاعيـل!

فـإذا مـا أمعنـا النظـر جيـدًا حـول فحـوى إلحـاح البشـير وتكـرار

[19] القرآن الكريم، سورة الأعراف الآية ١٢

دعوته لشعب دارفور بضرورة طرد «الشيطان»، نجد إما أنه يحاول الضحك مجددًا على عقول شعب دارفور «اللوح والدواية» عبر إلباس كل «خوازيقه» لباس الروحانيات والماورائيات كأمور ربانية قدرية لا يد للبشرية فيها، وبالتالي عزو كل تلك المحارق والمذابح والفظائع الإجرامية إلى ذلك المخلوق الغيبي الذي يراهم من حيث لا يرونه، وإما أنه بالفعل جاد في تصريحاته التي يجهل أنها تتضمن دعوته الصريحة لإسقاط حكومته وطرده والقضاء عليه، بناء على التعريف الذي يجعل من القاتل الناهب المغتصب كائنًا مؤهلًا لأن يتوج رسولًا لشياطين الإنس والجن، وهو ما ينطبق نصًّا على الرئيس السوداني عمر حسن أحمد البشير الشاطن المبتعد بأفعاله عن طبع البشرية وفطرته بلا منازع.

ولا تنتطح عنزتان حول حقيقة أن عمر البشير هو من شرع ودبر وفكر وأصدر التعليمات والقرارات الرئاسية القاضية بالقضاء على جميع سكان دارفور «عربًا» كانوا أو «زرقة» مستخدمًا طائراته الحربية التي تمطر رؤوس الأبرياء براميل وقنابل مشتعلة، وميليشيات برية لتقضي على ما تبقى ومن تبقى من بقايا الضربات الجوية، فارتكب جرائم يتوارى لها الشيطان خجلًا.

إذ لم نسمع يومًا بأن الشيطان الرجيم قد قاد جيشه وطائراته لقتل الآدميين المختلفين عنه عرقيًّا أو دينيًّا

وحـرق منازلهـم واغتصـاب العجائـز داخـل المسـاجد ونهـب ممتلكاتهـم، وهــو العــدو المبــين، لكــن البشــير فعــل وزاد.

ولـم نـر للشـيطان أي محاولـة لجعـل شـعب بأكملـه درعًـا يتخفـى بـه عـن ملاحقـة العدالـة الدوليـة وللمحافظـة عـلى كـرسي الرئاسـة رغـم مقدرتـه الهائلـة عـلى ذلـك، وهـو العـدو المبـين، لكـن البشـير فعـل وزاد.

لكـن يبـدو أن شـعب دارفـور وكل الشـعب السـوداني قـد فهـم رسـالة البشـير مؤخـرًا وحملهـا محمـل الجـد فلبى دعوتـه، قبـل أن يتمكـن عـبر أولئـك الذيـن يتحينـون فـرص الجلـوس معـه باسـم النازحـين بحثًـا عـن فتـات مـا يجـود به مـن جنيهـات نظير تنفيذهـم مخططاتـه الراميـة إلى تفكيـك و«إخفـاء» معسـكرات الـنزوح ووأد معالـم جرائمـه البشـعة وإعـادة النازحـين قـسرًا إلى قراهـم بغيـة القضـاء عليهـم بعيـدًا عـن عيـون البعثـات الدوليـة الـتي يخشـاها البشـير كخشـية الله أو أشـد خشـية.

# شراء الثوار والزج بهم في حرب الرفاق

دأب نظـام المؤتمـر الوطـني ومـذ قدومـه عـلى السـعي بـكل مـا أوتي مـن خباثـة ودهـاء لتفتيـت الأجسـام الـتي يـرى في وحدتهـا هلاكـه وزوالـه الأكيـد، فعمـد باكـرًا لتخصيـص ثلاثـة أربـاع ميزانيـة الدولـة لمـا تسـميها بميزانيـة الأمـن والدفـاع الـتي لـم يُـرَ لهـا أثـر إلا في اسـتيراد أحـدث أنـواع المقاتـلات الحربيـة لارتـكاب المزيـد مـن التقتيـل وتشريـد المواطنـين العـزل، وشراء الذمـم وتأجـير محـترفي القتـال ممـن لا يجيـدون سـوى تصويـب فوهـة «البندقيـة» وحصـد النفـوس، ليقومـوا مقامهـا في إحـراق مـا تبقـى ومـن تبقـى مـن الشـعب المكلـوم، بغيـة إطالـة عمـر النظـام بـأي ثمـن، لا كمـا ظـل يتمشـدق بهـا صناديـد النظـام مـن أنهـا للدفـاع عـن الوطـن وحمايـة أرضـه ومقدسـاته.

إن أكـبر الموبقـات الـتي انتهجتهـا حكومـة الإنقـاذ -كإحـدى أدبياتهـا- هـي اسـتغلال مـن أعياهـم طـول المسـافة مـن

خصومهـا ومعارضيهـا، واسـتخدامهم كآليـات قتاليـة لتنفيـذ خبيـث فعالهـا مقابـل بضعـة آلاف مـن الجنيهـات، وذلـك إمـا بإعادتهـم إلى مؤسسـاتهم وإبقائهـم هنـاك بغـرض التجسـس والتغلغـل مـن الداخـل واغتيـال القـادة المخلصـين وكشـف مناطـق الضعـف داخـل المؤسسـة حـتى يلـين للوحش افتراسـها؛ أو بإعـادة إنتاجهـم في قالـب الميليشـيات والدفـع بهـم في مواجهـة حركاتهـم أو أحزابهـم الـتي انشـقوا عنهـا وتوجيـه ذات البندقيـة عـلى صـدور رفقـاء الأمـس، وبالتـالي التنكيـل بالمواطن الـذي لطالمـا عـوّل عليهـم في حمايتـه مـن ذاك الوحـش الجاثـم عـلى صـدره، ليفاجـأ بـذات الأشـخاص في مقدمـة صفـوف ميليشـيات النظـام الحارقـة المغتصبـة القاتلـة، مثلمـا حـدث بمعـارك جبـل مـرة وأقـصى مناطـق شـمال دارفـور وغيرهـا، وكحـال الناطـق الرسـمي باسـم ميليشـيات الدعـم السريـع الأسـبق الـذي كان بالأمـس في ذات المنصـب بإحـدى الحـركات التحرريـة في شرق دارفـور وجنوبهـا.

ومـا الضربـات المتتاليـة الـتي تلقتهـا قـوى المقاومـة الثوريـة في الآونـة الأخـيرة وتشـظي الأحـزاب السياسـية والحركات المسـلحة، إلا نتيجـة لاسـتعانة النظـام بهذيـن العنصريـن.

فـأن تتوصـل حركـة مسـلحة مـا لاتفاقيـة سـلام تلـبي مـا رفعـت السـلاح مـن أجلـه وأزهقـت في سـبيلها الألـوف مـن الأرواح أمـر لا بـد منـه.

وأن يتقهقـر ثائـرٌ مـا أو ينكـسر لريـاح الضربـات العاتيـة ومـن

ثـم يترجـل ليتيـح المجـال لـذوي العزيمـة الشرفـاء لمواصلـة سـير الكفـاح، أمـر لا يـلام عليـه.

أمـا أن يذهـب ذات الثائـر مـن حركـة مـا، وفـور وصولـه تقـوم أجهــزة أمــن المؤتمــر الوطــني بتلقينــه بتصريحــات ملفقــة لينثرهـا عـبر وسـائل الإعـلام الحكوميـة قبـل أن تقـوم الحكومـة بتزويـده بالإمـدادات والذخائـر والمـؤن لخـوض غمـار عمليـات وحـرب ضروس ضـد رفاقـه القابضـين عـلى الزنـاد، فـذاك غايـة في الوقاحـة والضعـة.. وهـو مـا أقعـد تقـدم تلـك الأجسـام التحرريـة عـن التقـدم لسـنوات عديـدة.

# صراع الأفاعي السمان

تضاربت التحليلات والأقاويل حول وقائع حلبة الصراع الدائر بين حلفاء الأمس القريب «مجلس الصحوة - المؤتمر الوطني» اللذين تحالفا على ألا يجدا نقطة دم إلا امتصاها، ولا قرية صغيرة أو كبيرة إلا نهباها واغتصبا حرائرها وقتلا أهلها وأحرقاهم وأحرقاها، في حملة أشبه بحملة جنكيز خان الدموية، فقطع البعضُ جازمًا بأن ما يجري من مناورات بينهما ما هي إلا سيناريو المرحلة لتشتيت دماء ضحايا العنف الذي ارتكباه من جهة، وتضليل المحكمة الجنائية الدولية عبر وضعها في مفترق الطرق من جهة أخرى، وذلك استنباطًا من واقع ما اعتادوا من ألاعيب وفبركات المؤتمر الوطني الرامية إلى لَيِّ أعناق الحقائق وطمرها، بينما ذهب البعضُ إلى الجزم بأن ما جرى من مناوشات تكاد تصل إلى حرب شاملة بين الجيشين هي عين الحقيقة، لا مزايدة فيها ولا مراء، ليسدل بذلك الطرفان الستار على أبشع

حلقـات مسلسـل تحالـف لإبـادة البـشر، وبذلـك يكونـان قـد دشـنا انطـلاق بدايـة حلقـة جديـدة لـصراع دمـوي قـد يطـول أو يقـصر حسـب حجـم الكفـاءة بـين الطرفـين وأمزجـة اللاعبِين الرئيسـيين.

لكـن إذا مـا تقدمنـا بضـع خطـوات إلى الأمـام وسـلطنا الأضـواء عـلى أعمـاق هـذا الـصراع نتوصـل إلى حقيقـة أن صراع الشـيخ مـوسى هـلال وحلفائـه الـذي بـدأ يظهـر للعيـان منـذ ٢٠١٤ مـا هـو إلا أصـداء لـصراع داخـلي أكـثر عمقًـا بـين مهنـدسي التحالـف، إذ إن الخـلاف الـذي ضرب أوسـاط الصـف الأول داخـل القـصر الرئـاسي بـين عـلي عثمـان محمـد طـه ونافـع عـلي نافـع وأنصـار البشـير ومـا تبعتـه مـن تداعيـات وتباين للـرؤى حـول تجديـد بيعـة البشـير في 2018 لانتخابـات ٢٠٢٠ ومـا إلى ذلـك، ألقـى بظلالـه عـلى طبيعـة وضـع الميليشـيات ومصيرهـا في دارفـور، سـيما وأن لـكل مـن مديـر مكتـب الرئيـس السـابق طـه الحسـين وعـلي عثمـان محمـد طـه ونافـع عـلي نافـع جيشًـا جـرارًا مـن تلـك الميليشـيات، لا تأتمـر إلا لأوامـر سـيدها فقـط، وبالتـالي تصيبهـا مـا أصـاب سـيدها مـن ضعـة أو رفعـة.

وإذا مـا عدنـا إلى كنـه هـذا التحالـف الـذي بموجبـه تُـوِّج هـلال زعيمًـا لميليشـيات الجنجويـد؛ نجـد أنـه عندمـا أخفقـت حكومـة البشـير في اسـتقطاب زعمـاء القبائـل العربيـة وتحريكهـم نحـو إحـراق إقليـم دارفـور في العـام ٢٠٠٣، اضطـرت إلى الاسـتعانة بـ«لصـوص» القـوم وقتلتهـم الذيـن كان مـن بينهـم الشـيخ

موسى هلال، أحد أبرز مثيري الحرب العنصرية في دارفور والذي اشتهر باحترافيته «للهمبتة» والنهب المسلح وحقده الصاخب تجاه القبائل ذات الأصول الإفريقية، فأطلقت حكومة العصبة الإسلاموية سراحه بعد أن كان معتقلًا بسجن بورتسودان لإدانته بقتل ١٧ مواطنًا بدم بارد في ١٩٩٧ ضمن قائمة ضحاياه الطويلة، وفور إطلاق سراحه في 2003 الذي تم تحت إشراف مباشر من نائب رئيس الجمهورية آنذاك علي عثمان محمد طه، وقائد القوات الجوية غداتئذ عبد الله صافي النور، أقلّتْه مروحية عسكرية إلى القصر الرئاسي لتوليه زمام المبادرة بتدشين مفارم «هولوكوست» جديدة في دارفور، ففتحت له خزائن أموال الدولة بقدر ما فتحت له خزائن الأسلحة والذخائر ليتزود منها كيفما شاء بلا حسيب أو رقيب، فنظم صفوف الجنجويد وفتح لهم معسكرات تدريب، وشهدت ميليشيات الجنجويد على يديه جل مراحل تطوراتها ابتداء من «أم باخة» ومرورًا بـ«الجنجويد» فـ«حرس الحدود»، فأفرغ ثلاثة أرباع دارفور من سكانها تقتيلًا وتنكيلًا تحت ذريعة محاربة الحركات المتمردة، وحصر من تبقوا أحياء في مخيمات نزوحٍ أشبه ما تكون بزرائب الرق إبان فترة النخاس زبير رحمةٍ منصور، وصارت قرية «مستريحة» مركزًا لاستيراد كل المنهوبات من قرى دارفور ومدنها، وبذلك تصدّر اسم الشيخ موسى هلال قائمة كبار مطلوبي المحكمة الجنائية الدولية.

فجأة بدأت تنتابه الشكوك حول مؤامرة تحاك ضده من

قبـل الطـرف الآخـر، عندمـا شرع حليفـه في إدارة ظهـره عنـه تجـاه أحـد مريديـه -حميـدتي- الـذي بـات يجـد معاملـة مماثلـة مـن قبـل المركـز، ورويـدًا رويـدًا أحـس هـلال بـأن البسـاط قـد بـات ينسـحب مـن تحـت قدميـه، فلجـأ إلى مهادنـة الحـركات المسـلحة تـارة، ومعانقـة الحكومـة تـارة أخـرى لاسـتعادة مكانتـه المفقـودة، إلى أن وجـد نفسـه أسـيرًا في يـد حليفـه -أو هكـذا بـدت لنـا- في نوفمـبر ٢٠١٧.

بقـي أن نلفـت إلى أن الشـيخ مـوسى هـلال نفسـه لـم يغـير قناعاتـه ومبادئـه الجنجويديـة البتـة، وإلا لـكان قد أبـدى اعتذاره لضحاياه ولـو تلميحًـا ولـشرع في توسـعة أماكـن نفـوذه وجعلهـا مناطـق محـررة عـلى غـرار مـا صنعتـه الحـركات التحرريـة، وهـو مـا لـم يحـدث ولـن يحـدث أبـدًا، إضافـة إلى أن مـوسى هـلال لـم يكـن لديـه أي دوافـع ثوريـة تدفعـه للتمـرد عـلى حلفائـه القدامـى سـوى غيرتـه مـن تقديـم حميـدتي عليـه، وكلاهمـا حجـر شـطرنج يحركهمـا اللاعبـون حسـبما تقتضيهـا قواعـد لعبتهـم، وبالتـالي كل الـذي جـرى ويجـري هـو مجـرد صراع لصـوص تعـذّر عليهـم اقتسـام المسروقـات فبـان المـسروق.

أمـا محاكمـة مـوسى هـلال وأتباعـه مـن عدمهـا فقـد كانـت مرهونـة بمـدى تفاهـم الأفاعـي السـمان داخـل الهئيـة الرئاسـية المشـار إليهـا، فمـتى مـا اتفقـوا ألغيـت المحكمـة ومـتى مـا اختلفـوا حوكمـوا نكايـة بطـرف الجانـب الآخر مـن طـرفي الصراع.

لكـن يبـدو أن وضـع مجريـات محاكمتهـم بعـد سـقوط النظـام

قـد تغـير وبـات أمرهـم بيـد الجـنرال حميـدتي الـذي أصبـح نائـب رئيـس المجلـس السـيادي للحكومـة الانتقاليـة بعـد ارتـداده عـن نظـام البشـير في ١١أبريـل 2019 وهـو مـا سـيلقي بظلالـه عـلى حلبـة الـصراع الثـأري في المسـتقبل القريـب بـين المكونـات القبليـة المنـاصرة للزعيمـين «هـلال - حميـدتي».

ومـا عمليـة اعتقـال قيـادات تتبـع لمجلـس الصحـوة بتهمـة التعـاون في تدبـير انقـلاب عسـكري مـع قيـادات إسـلامية في منتصـف أكتوبـر٢٠٢٠ إلا تأكيـد لاسـتمرارية الـصراع المذكـور.

إذ كشـفت مصـادر خاصـة لدارفـور٢٤ أن السـلطات الأمنيـة اعتقلـت عـددًا مـن أبنـاء قبيلـة المحاميـد عـلى خلفيـة إحبـاط محاولـة انقلابيـة.

وذكـرت وسـائل إعـلام سـودانية الثلاثـاء 19 أكتوبـر٢٠٢٠ أن الأجهـزة الأمنيـة أحبطـت محاولـة انقلابيـة يقـف وراءهـا ضبـاط إسـلاميون.

وقالـت مصـادر لدارفـور٢٤ إن قـوات الدعـم السريـع نفـذت حملـة اعتقـالات واسـعة لأبنـاء عشـيرة المحاميـد عـلى خلفيـة تلـك المحاولـة الانقلابيـة، وأضافـت المصـادر أن مـن بـين المعتقلـين «عـلي مجـوك المؤمـن» القيـادي بمجلـس الصحـوة والمقـرب مـن الشـيخ مـوسى هـلال وقيـادات أمنيـة أخـرى تفـرض السـلطات سـياجًا مـن السريـة عـلى هوياتهـا.*

[20] المصدر: صحيفة دارفور 24 العدد النشور بتاريخ 20\10\2020

الفصل الرابع

# « دارفور الجرح النازف »

# منابع الميليشيات المسلحة

لا أتفق مع من يعمم صفة الميليشيات المسلحة على قبيلة أو إثنية بعينها، كأن يُطلق صفة «الجنجويدي» على كل من ينحدر من القبائل البدوية، أو أن يوصف المنحدرون من القبائل غير العربية بـ«التورابورو» .

لأن واقع الأمر يكذب تلك الادعاءات، يعرف ذلك من تعرف على تلك المكونات عن قرب، فميليشيات الجنجويد الموالية للنظام الحاكم وبالرغم من أن حاضنتها الأساسية تعود إلى أفراد من بعض القبائل البدوية ذات الأصول العربية، فإنها تضم عددًا لا بأس به من الأفراد الذين ينتمون إلى القبائل ذات الجذور الإفريقية.. وعليه قس ما على الحركات المسلحة. وبما أننا بصدد تناول موضوع مصادر الميليشيات الموالية للحكومة ومنبعها، كان لا بد من الوقوف بتعمق حول ماهية تلك المنابع المغذية للميليشيات الحكومية، وكيف كانت تتم عمليات استقطاب من

يـزج بفلـذات أكبادهـم في تلـك العصابـات ومكافأتـه. حـتى بـرز مـن بينهـم مـن قـد صـاروا اليـوم يُنعتـون بألقـابٍ ورتـبٍ تشـيب في سـبيل الوصـول إليهـا الـرؤوس، وتحـدَودَب الظهـور، لا لمحمـدة قدموهـا للوطـن وشـعبه، بـل فقـط لإتقانهـم طـرق القتـل وسـلب الممتلـكات وأسـاليبهما، فأضحـوا بذلـك في القمـة.

فقـد صنعـت حكومـة البشـير فـور قدومهـا ميليشـيات موازيـة للجيـش النظامـي لتحـل محـل الفاعـل في حالـة مـا إذا اختـارت القـوات المسـلحة الانحيـاز للشـعب، وقـد نجحـت في إقصـاء كل مـن يخالـف هواهـا مـن ضبـاط الشرطـة والجيـش، فركلتهـم إلى سـلة مهمـلات الصالـح العـام، وتعـددت أسـماء مريليشـياتها ابتـداءً بالدفـاع الشـعبي، فالمجاهديـن، فقـوات صديقـة، فالجنجويـد، مـرورًا بحـرس الحـدود، وأبـو طـيرة، وانتهـاءً بالدعـم السريـع أو بالأحـرى الدعـم السريـع. إلا أن الشرايـين المغذيـة للحكومـة بتلـك الميليشـيات تظـل طيلـة هـذه الفـترة وراء السـتائر في ثـوب المحايـد الصالـح وبـكل أسـف هـي الإدارات الأهليـة، فقـد خصصـت لـكل الموالـين منهـم هدايـا ومكافـآت في حـال نجـاح وأد الثـورة، شريطـة أن يجـودوا للنظـام بـكل مـا يطلبـه مـن رجـال، وفي سـبيل أن ينـال عـرض الحكومـة رضاهـم؛ أطلقـت أيديهـم عـلى أمـوال الأبريـاء فامتـلأت كروشـهم قبـل أن يُتَوّجـوا بهدايـا هـي بمنزلـة ثمـن أرواح الضحايـا مـن أبنائهـم. ولنكتـفِ هنـا بتسـليط الضـوء عـلى واحـدة مـن وقائـع اسـتمالة

الإدارات الأهلية عبر هدايا وعطيات تضمن استمرارية تدفق السواعد الشابة لتغذية معسكرات ميليشيات النظام البائد رغم الفناء المتواصل في حروب داخلية وخارجية مقبوضة الثمن.

ففي أواخر نوفمبر ٢٠١٦ أغدق اللواءُ حميدتي -الفريق حاليًّا- الإدارات الأهلية بـ20 بوكس دبل كاب 2016 لكل ولاية من ولايات دارفور، حيث بوركت الخطوة بالتكبير والتهليل وشيء من الطرب الكيزاني في احتفال اهتزت له أكتاف الحضور ومؤخراتهم من الإدارات الأهلية وحكومة ولاية جنوب دارفور، في مشهد يوحي للناظرين بأن حميدتي هو نفسه رئيس الجمهورية، سيما وأن الحفل قد شُرِّف برأس حكومة ولاية جنوب دارفور الأسبق آدم الفكي، وقيادة الفرقة ١٦ مشاة، ولفيف من الإدارات الأهلية التي ما فتئت تصفق للنظام القاتل.
وهكذا، فقد جعلت حكومة البشير من الإدارات الأهلية مطية مطيعة لاعتلاء ظهر الشعب، وقد نجحت في إذعان جل الإدارات الأهلية للسير حسبما تراه الحكومة إما ترغيبًا وإما ترهيبًا، وما واقعة اغتيال مفجر ثورة دارفور في مطلع التسعينيات من القرن الماضي الباشمهندس / داود يحيى بولاد إلا واحدة من نتاج خبيث فعال بعض ممن نخرتهم سوس النظام السابق من الإدارة الأهلية، عندما حل بولاد بدار أحدهم ضيفًا مستجيرًا ظنًّا منه أن الإدارات الأهلية ما زالت كما عهدها قبل مجيء حكومة المؤتمر الوطني، إلى أن

وقعت الواقعة بأن طُعِن من حيث المأمن، حيث هرول المضيف نحو إخبار أجهزة النظام بحضور كنز ثمين «بولاد» بمنزله ليسرع الأخير باغتياله، دون مراعاة لحرمة الضيافة التي عرفت بها الإدارة الأهلية قديمًا، فكان أن تقهقرت عجلة ثورة دارفور عشر سنوات إلى الوراء، مقابل مكافأة النظام للمضيف المخبر بتمكينه من التقاقز بين المناصب الدستورية آخرها والي لإحدى ولايات دارفور رغم أميته المميتة، كثمن لذاك الكنز.* بقي أن نلفت النظر إلى أن ثمة أفرادًا بالإدارات الأهلية ظلت شامخة كالجبال، فلم تنحنِ لعواصف مغريات المؤتمر الوطني وتهديداته، وبالتالي لم تحظَ بمثل هذه المزايا المخصصة للمُنحَنِين. أما مسألة إيكال الأمر للسيد حميدتي، فقد جاءت بناء على استراتيجية مدروسة أرادت لها الحكومة الحدوث لاعتبارات ثلاثة: أولًا: أرادت حكومة البشير رفع مكانة ربيبها لتركيع من لم يغير النظرة تجاهه بعد، على اعتبار أن حميدتي اليوم غير حميدتي الذي كان معروفًا للجميع حتى بالأمس القريب. ثانيًا: محاولة محو إفرازات ما اقترفته أياديه من جرائم ضد شعوب بعض الإدارات الموالية في حروباتها ونزاعاتها القبلية، وتذويب جليد الاحتقان الذي ظل حاجزًا بينهم طيلة الفترة الماضية. ثالثًا: لتحفيز الإدارات التي لم تجِد التصفيق على سياسات النظام للدفع بمزيد من أبنائها للقتال بصفوف ميليشياتها،

[21] فتحي الضو- بيت العنكبوت، ص 157 ط 2 , الناشر جزيرة الورد.

حتى تحظى في المرات القادمة بما ناله قرناؤهم من هدايا وتكريمات، وما إعلان ميليشيات الدعم السريع عن فتحها باب التسجيل لاستيعاب مجندين جدد الذي أعقب لقاءات الإدارة الأهلية والتي أوردتها الصحف صباح الخميس 2 ديسمبر ٢٠١٦ إلا تأكيد جلي لهذه المقاطع الدرامية اليائسة.

والملفت أنه فور انتهاء حفل توزيع جوائز الفائزين من الإدارات الأهلية بجنوب دارفور انهالت أصوات تسبح بحمد النظام وتمتدح اللواء حميدتي لدورهما في تمكين الإدارات الأهلية للقيام بدورها، دون أن يعوا كنه الأدوار التي تقوم بها الإدارات في ظل هذا النظام المستذئب. لكن لم يتساءلوا من أين لحميدتي بكل هذه المبالغ التي تتجاوز المليارات من الجنيهات «بالجديدة» مما يفوق مقدرات من يحمل رتبة لواء أمن أو لواء جيش أو لواء مرور أو حتى لواء جنجويد.

وإذا سلمنا جدلًا بأن حميدتي قد تحصل على كل هذه المبالغ من عرق جبينه أو من خلال مزرعته الخاصة إن وجدت، فهل سنسلم أيضًا بأن تمكين الإدارات الأهلية أولى من إنشاء مركز صحي بقريته «أم القرى» التي تفتقر لمجرد -قابلة شنطة- للتوليد، فضلًا عن حاجتها إلى كادر طبي مؤهل يكفي أهل قريته شر التسول الطبي.

والمحزن حقًّا هو أنه رغم سقوط رأس النظام السابق وانسلاخ حميدتي نفسه من ذلك النظام، فإنه لم يحن الأوان بعد لأن تعيد تلك الإدارات الأهلية النظر حول

وقـف اسـتمرار المتاجـرة بفلـذات أكبادهـا، والسـعي لتجفيـف الشرايـين الـتي مـا برحـت تضـخ بدمائهـا الحـارة الـتي لطالمـا اسـتغلها النظـام السـابق كآليـات، بينمـا أبناؤهـم يرفلـون في رغـد مـن العيـش، فيتلقـون أحسـن التعليـم في أرقى جامعـات العالـم، وأبنـاء الإدارات الأهليـة بالميليشـيات يحرسـون عـروش الأنظمـة وكروشـها بـكل تفـانٍ وإخـلاص.

# الحركات المسلحة في دارفور

كانت دارفور ورغم ما تعانيه من غبن وضغائن جراء التهميش المتعمد الذي ما برح يرقد بثقله على الإقليم منذ ضمها إلى الخرطوم بعد مقتل السلطان علي دينار الذي كان قد استعاد سلطنة أسلافه بانهيار دولة المهدية في العام ١٨٩٧م، إلى أن لقي مصرعه في 1916 على أيدي الحكومة البريطانية التي كانت الخرطوم خاضعة لها، لتضم إليها دارفور كآخر إقليم يلحق بحكومة الخرطوم.

لكن يبدو أن الخرطوم لم تكن مستعدة على استيعاب الإقليم إلا في إطار ما تستحلب منه من ضرائب وجبايات.

واستمر الإقليم على هذا النحو يغلي في صمت، إلى أن انفجرت ثورة إثر أخرى لا تزال ألسنة لهبها تتصاعد وتهبط، لتستعر من جديد. يقول د. شريف دهب في مقال نشره على موقع «سودان جيم» نقلًا عن الدكتور/ محمود أبكر سليمان معددًا حركات التحرر الدارفورية عبر تاريخ التسلسل الزمني للاحتجاجات السياسية الدارفورية ضد الظلم وعدم المساواة في السودان. «تأريخ حركات دارفور الاحتجاجية ضد ظلم الحكومات المركزية المتعاقبة في الخرطوم - إحراق علم بريطانيا العظمى في مدينة الفاشر ١٩٥٢م.

- حركة اللهيب الأحمر ١٩٥٧م. -حركة سوني ١٩٦٣م – 1964م. - جبهة نهضة دارفور ١٩٦٤ - 1965م. - مساهمة أبناء دارفور في الجبهة الوطنية ومجازر أم درمان والحزام الأخضر ١٩٧٦م. - تنظيم أبناء غرب السودان ١٩٧٧ - 1979م. - انتفاضة دارفور ضد الحاكم الطيب المرضي ١٩٨٠م. - حركة داود يحيى بولاد ١٩٩٠ - 1991م. - التحالف الفيدرالي الديمقراطي السوداني ١٩٩٤م. - حركة تحرير السودان والعدل والمساواة السودانية ٢٠٠٣م.».[*]

وقد خمدت جميع الثورات المندلعة على اختلاف مواقيتها لعوامل مختلفة، لكن الحركتين الأخيرتين «تحرير السودان - العدل والمساواة» قد صمدتا في وجه تلك العوامل، إلا أن داء التشظي قد ضرب أوساطهما، فأضعفت ما كانت تتمتع بها من بأس وقوة.

يقول البروفيسور عبد الله شريف حرير مؤسس التحالف الفدرالي الديمقراطي في حوار أجري معه في سبتمبر ٢٠٢٠: «دعانا الرئيس أبوسانجو في اجتماع بقصره في (أساروك) ذهبنا من حركة تحرير السودان أنا وعبد الواحد نور، ومن حركة العدل والمساواة أحمد تقد لسان كبير مفاوضي الحركة والدكتور هارون عبد المجيد، ويبدو أن الرئيس أبوسانجو لاحظ شيئًا وقال لنا: «انظروا يا ناس حركات دارفور أنتم

[22] د. شريف دهب 9\4\2018 موقع حركة العدل والمساواة.

إلى الآن مفروض تكونوا عرفتم مع من أقف، أنا أقف مع شعب دارفور». وفعلًا كلامه حقيقي ولدينا شواهد على ذلك لأنه في أحد الأيام قام الجنجويد بمهاجمة بعض القرى وحرقها بعد ما قصفتها طائرات الأنتنوف وقتلت حوالي ١٩ شخصًا وكنت حينها أقود التفاوض وكنا متعاونين مع مجموعة العدل والمساواة التي كنا نعرفهم باكرًا أحمد تقد وأحمد حسين آدم، ننسق مع بعض في انسجام كامل ونسمع كلام بعض لذلك رفعنا الجلسات حتى نبكي قتلانا الـ(١٩) الرئيس أبوسانجو اتصل بالبشير وكل العالم واستهجن القصف والجنرال (اكونكو) وهو أول قائد لقوات بعثة الاتحاد الإفريقي في السودان، اتصل من الميدان وأكد أن الحكومة والجنجويد أخطأوا وأدانهم، وقال لنا أبوسانجو: «انتو يا ناس دارفور حتى الآن منتصرين عندكم ثلاث حاجات عليكم أن تحافظوا عليها ولو فرطتو في واحدة تفقدوا قوتكم، الحاجة الأولى كسبتم تعاطف شعوب العالم المتقدم الديمقراطي الأول وخاصة الدول الثلاث الكبرى التي لديها حق النقض (الفيتو) أمريكا، فرنسا، بريطانيا، إضافة إلى أنكم كسبتم تعاطف الشعوب، ومهما فعلت الحكومات لا تستطيع أن تغمض جفنها عن مشكلة دارفور لأنهم يحترمون إرادة شعوبهم هناك». وقد كان ذلك حتى الأطفال الأمريكان في طاولة الفطور كانوا يسألون الآباء عن ماذا فعلتم اليوم لدارفور، حتى أصبحت مشكلة للحزب الجمهوري وأصبح عدم اهتمامه في البداية يفقده

ثقة الناخبين لذلك أرسلوا المبعوث الأمريكي «زولك» ضغط على مني أركو مناوي إلى أن أقنعه بتوقيع اتفاقية أبوجا، الحاجة الثانية التي قالها الرئيس أبوسانجو لنا: «أنتم الآن رامين حكومة السودان في الأرض وكاتمين أنفاسها لأنها تتعرض لضغوط من العالم». وأضاف أبوسانجو كل هذه الأشياء تعتمد على وحدتكم إذا فقدتموها تفقدوا كل شيء، وفعلًا الانشقاقات والتنافس الداخلي بين الضباط ليس بالمعنى العسكري ولكن المسؤولين في حركة تحرير السودان انشقاقاتهم أضعفت الموقف النضالي لشعب دارفور.».

أما بشأن حركة العدل والمساواة فيقول:

«حركة العدل والمساواة في أول تفاوض في إنجمينا جاءوا منشقين بين الوفد القادم من الميدان والقادم من أوروبا القائد جبريل عبد الكريم تك وخليل إبراهيم كل واحد رافض الآخر هذا أول انشقاق في تاريخ الحركات ولكن مظاهره بدأت تظهر في حركة تحرير السودان لأنه في المبتدأ كانت قوة الحركة عند قائدها العسكري الشهيد عبد الله أبكر، واستشهاده في ديسمبر ٢٠٠٣م أفقد الحركة مركز التوازن والقوة والسلطة القليلة التي كانت عند القائد عبد الواحد نور كرئيس ومناوي أمين عام كانت غير مؤثرة».

ويضيف حرير قائلًا: «بدأ التنافس بين الرئيس والسكرتير العام أو الأمين العام الذي ورث الجيش بالتالي افتكر أن القوة عند الجيش، حتى الرئيس لم يكن متأكدًا من أنه

الرئيس، والانشقاق الفعلي بدأ بعد أن عمل مناوي انقلاب حسكنيتة، والأخوة التشاديين والإريتريين اجتهدوا حتى خلقوا لهم موقفًا تفاوضيًّا واحدًا ومنه فك عبد الواحد التنسيق وبدأ التسلسل ثم جاءت مجموعة الـ(١٩) وهي مجموعة من أعضاء وفد التفاوض الذين اختلفوا مع عبد الواحد خلال تفاوض أبوجا الأخير، بقيادة د. عبد الرحمن موسى وكان كبير مفاوضي حركة عبد الواحد وعندما وقع مناوي خرج عن عبد الواحد والتحق باتفاقية أبوجا تحت مسمى الإرادة الحرة، وجئنا نحن في قيادة الوحدة ورفضنا وقلنا لازم الحركة تتوحد إلا أنهم أصبحوا ثلاثة ومن ثم خمسة، وانتقلت الحركة من موقع الانتصار لموقع غير معروف والمحصلة النهائية أدت إلى الضعف والتخلخل الموجود».[*]

وهكذا فقد بدأ التصدع يضرب أوساط الأجسام الثورية إلى أن تجاوز عدد فصائلها بعد أقل من عشر سنوات إلى عشرات من الحركات المسلحة في دارفور فقط، وذلك قبل أن تدخل في التحالفات الأخيرة التي احتوت جل تلك الفصائل في مواعين الجبهة الثورية ١و ٢ حينما حاولت أحزاب الوسط والخرطونيلية الاستئثار بالسلطة تحت مظلة إعلان الحرية والتغيير «قحت» وإبعاد غيرها من أجسام الهامش الثورية عقب الإطاحة بالمخلوع عمر البشير.

[23] الصفحة الرسمية للبروف عبد الله شريف حرير١٦ سبتمبر ٢٠٢٠

فيما استعصم جزء من تلك الحركات بسلاحها رافضة أي خطوة من شأنها الوصول إلى الخرطوم قبل تحقيق شروط مسبقة ظلت تنادي بها منذ عقود.

بينما التحق الكثير منها بالحكومة عبر اتفاقيات ثنائية تحصلت من خلالها على مناصب بقوا عليها، حتى باتوا يعرفون ضمن قوائم أحزاب «الفكة» المساندة للحزب الحاكم، إلى أن طالتهم أيادي السقوط.

وقد استطعت الحصول على قائمة لا أدعي بأنها تحوي جميع فصائل الحركات المسلحة في دارفور لأن ذلك لم يكن بالأمر السهل في ظل الانسلاخات والانضمامات شبه اليومية هناك إلا أنها تضم أغلبها وأشهرها.. وهي كالآتي:

حركة تحرير السودان جناح عبد الواحد محمد نور.

حركة تحرير السودان جناح مني أركو مناي.

حركة تحرير السودان المجلس الانتقالي بقيادة د. الهادي إدريس [رئيس الجبهة الثورية في دورتها الحالية].

حركة تحرير السودان (مجموعة الـ ١٩) بقيادة خميس عبد الله أبكر.

حركة تحرير السودان جناح جار النبي عبد القادر.

حركة تحرير السودان قيادة الوحدة بقيادة عبد الله يحيى.

حركة تحرير السودان وحدة جوبا بقيادة أحمد عبد الشافع.

حركة تحرير السودان جناح آدم بخيت عبد الرحمن.

جيش تحرير السودان جناح الدكتور شريف حرير.

حركة تحرير السودان القيادة الجماعية بقيادة سليمان مرجان.

حركة تحرير السودان جناح أحمد كبر جبريل.

حركة تحرير السودان القيادة العامة بقيادة آدم علي شوقار.

حركة تحرير السودان للعدالة بقيادة الراحل علي عبد الله محمد خميس (كاربينو).

حركة تحرير السودان ـ الأحرار (مقاتلي جبل مون) بقيادة الطيب سليمان وآخرين.

حركة تحرير السودان جناح الدكتور صالح آدم إسحاق.

حركة تحرير السودان للعدالة والتنمية بقيادة صديق مساليت.

حركة تحرير السودان جناح أيمن إبراهيم.

حركة الخلاص بقيادة محمد علي إبراهيم.

حركة تحرير السودان خط الإصلاح بقيادة نمر محمد.

حركة تحرير السودان جناح الراحل محمد آدم طرادة.

حركـة جيـش تحريـر السـودان المتحـدة بقيـادة عبـد اللطيـف آدم.

حركة تحرير السودان جناح محمد إسماعيل.

حركة تحرير السودان القيادة الميدانية بقيادة علي مختار.

حركـة تحريـر السـودان الإرادة الحـرة بقيـادة الراحـل بروفيسـور عبـد الرحمـن مـوسى.

حركة تحرير السودان الأم بقيادة أبو القاسم إمام الحاج.

حركة تحرير السودان جناح أبو القاسم أحمد أبو القاسم.

حركة تحرير السودان ـ الخط العام بقيادة حيدر قالو كوما.

حركة تحرير السودان الليبرالية بقيادة حافظ إبراهيم أحمد.

الحركة الوطنية لتحرير السودان بقيادة يحيى البشير بولاد.

حركة تحرير السودان جناح إبراهيم موسى مأدبو.

حركـة تحريـر السـودان جنـاح السـلام بقيـادة يونـس أحمـد حامـد.

حركة تحرير السودان جناح مصطفى تيراب.

حركة تحرير السودان جناح يحيى حسن نيل.

حركة تحرير السودان جناح نهار عثمان نهار.

حركة تحرير السودان الوحدة بقيادة عثمان بشرى.

حركة تحرير جناح مبارك حامد علي.

حركة تحرير السودان جناح الذاكي موسى ماري.

حركة تحرير السودان المستقلة بقيادة آدم إدريس.

حركة تحرير السودان الوفاق الوطني بقيادة عبد الباقي محمد بشير.

حركة تحرير السودان جناح أم حراز.

حركة جبهة القوى الثورية بقيادة حافظ عبد النبي.

الحركة القومية لتحرير السودان بقيادة العقيد جابر محمد حسب الله.

حركة تحرير السودان جناح عبد الرسول إبراهيم خريف.

حركة تحرير السودان جناح حسين حماد.

حركة تحرير السودان القيادة التاريخية بقيادة عثمان إبراهيم موسى.

حركة تحرير السودان جبهة دارفور لرد المظالم بقيادة بدر عبد الرحمن قنو.

حركة تحرير السودان القوى الثورية (السافنا) بقيادة صديق أبكر إسماعيل.

حركة تحرير السودان ـ الحركة القومية للحقوق والديمقراطية بقيادة هشام نورين.

المجموعة الوطنية لتصحيح مسار سلام دارفور بقيادة سليمان أحمد حامد.

حركة الإصلاح والأحرار بقيادة محمد إبراهيم ناصر.

حركة تحرير السودان راغبي السلام بقيادة حواء عبد الله سليمان (أم الجيش).

حركة تحرير السودان جناح محمدين إسماعيل (أورقا جور) التحق لاحقاً بالدعم السريع.

حركة تحرير السودان جناح محمد آدم عبد السلام.

الجبهة الثورية المتحدة بقيادة الراحل إبراهيم الزبيدي.

تجمع قوى تحرير السودان.

جبهة القوى الثورية الديمقراطية بقيادة صلاح عبد الرحمن موسى أبو السرة.

حركة العدل والمساواة جناح الدكتور جبريل إبراهيم.

الحركة الوطنية للإصلاح والتنمية جبريل عبد الكريم.

الجبهة المتحدة للمقاومة بقيادة بحر إدريس أبو قردة.

حركة العدل والمساواة القيادة الميدانية بقيادة محمد صالح حربة.

حركة العدل والمساواة جناح السلام بقيادة عبد الحليم أبو ريشة.

حركة العدل والمساواة الديمقراطية بقيادة الدكتور إدريس أزرق.

حركة العدل والمساواة مجموعة خارطة الطريق بقيادة بحر إدريس أبو قردة.

قوى التغيير الديمقراطي بقيادة هارون عبد الحميد وآخرين.

حركة العدل والمساواة القيادة الثورية بقيادة أحمد عبد الله خريف.

حركة العدل والمساواة جناح الراحل محمد بشر أحمد ثم بخيت عبد الكريم عبد الله دبجو.

حركة العدل والمساواة للسلام والتنمية بقيادة عبد الرحمن إبراهيم.

حركة العدل والمساواة جناح إبراهيم أبكر.

حركة العدل والمساواة جناح السلام والتنمية بقيادة حسن محمد عبد الله.

حركة العدل والمساواة القيادة التصحيحية بقيادة زكريا موسى عباس (الدش).

حركة العدل الثورية بقيادة محمود إدريس تيراب.

حركة العدل والمساواة جناح محمد بحر حمدين.

حركة العدل والمساواة جناح عبد الرحمن بنات.

حركة العدل والمساواة جناح منصور أرباب.

حركة التحرير والعدالة جناح التجاني سيسي.

حركة التحرير والعدالة جناح بحر إدريس أبو قردة.

الجبهة الشعبية الديمقراطية للعدالة والتنمية بقيادة عبد العزيز أبو نموشة.

جبهة الخلاص الوطني.

الجبهة الموحدة للتحرير والتنمية.

وهكـذا تختلـف الأجسـام والهـدف واحـد.. فيمـا لعبـت الأطمـاع الشـخصية والنظـام البائـد أدوارًا خبيثـة في تفتيـت الحـركات المسـلحة عـلى نحـو مـا ذكـر.

# سلاح الاغتصاب

لا يخفى على أحد أن حكومة البشير قد أقرت في حملة تطهيرها العرقي سلاح «القضيب» ضمن آليات حربها ضد مواطنيها بمناطق النزاع، فجعلت من جسد المرأة هناك هدفًا مشروعًا لاغتيال كرامتها وإذلال ذويها، فما إن يلمح الجندي أنثى أمامه بمناطق النزاع حتى ينطلق مسرعًا كالسهم نحوها، لإعادة ترسيم حدود جغرافية جسدها، ونصب تمثال له على تربتها، فيختتم معركته «الجهادية» بكتابة برقية انتصار فحولته على فخذيها، وسط توسلات الضحية التي يغطي صرخاتها دويُّ «الأبابيل» و«الأنتنوف»، وكأن الأنوثة والطفولة في مناطق الحرب جريمة يعاقب عليها القانون ويأمر باجتثاث جذورها، فتجده لا يميز في ذلك بين عجوز طاعنة في السن وبين طفلة لم تتجاوز الخامسة من عمرها.

لست بحاجة هنا إلى التذكير بمئات من حالات الاغتصاب الجماعي والفردي التي تعرضت لها الألوف من حرائر دارفور

وجبـال النوبـة والنيـل الأزرق، والـتي تطغـى عـلى الأخبـار المحليـة الأخـرى عـلى الميديـا باسـتمرار.

وسـأكتفي بتقريـر منظمـة «هيومـان رايتـس» الصـادر بشـأن عمليـة الاغتصـاب الجماعـي الـتي نفذتهـا قـوات نظاميـة في قرية تابـت بشـمال دارفـور في ليلـتي الثلاثـين مـن أكتوبـر والأولى مـن نوفمـبر ٢٠١٤ ونقلتـه قنـاة «الـسي إن إن» الإخباريـة جـاء فيـه:

«لـدى دارفـور تاريـخ أسـود مـليء بالرعـب، ولكـن تلـك الكوابيـس ليسـت جميعهـا مـن المـاضي البعيـد، وفقًـا لمـا تقـول منظمـة هيومـان رايتـس، الـتي تشـير إلى ١٣٠ مقابلـة مـع مواطنـين ومدافعـين عـن حقـوق الإنسـان، تشـير إلى أن الجنـود السـودانيين قامـوا باغتصـاب أكـثر مـن ٢٠٠ امـرأة وبنـت خـلال فـترة ٣٦ سـاعة في بلـدة تابـت بدارفـور.

وأبلـغ شـهود هيومـان راتيـس ووتـش، بأنـه خـلال الهجـوم، قـام جنـود تابعـون للحكومـة السـودانية بعمليـة بحـث مـن مـنزل إلى مـنزل في بلـدة تابـت، وسرقـوا الممتلـكات، وضربـوا السـكان بوحشـية، وقامـوا باغتصـاب النسـاء والبنـات، ويشـير التقريـر إلى «أنـه خـلال واحـدة مـن ليلتـين، أرغـم الجنـود العديـد مـن الرجـال عـلى مغـادرة البلـدة عـلى مواقـع خـارج حدودهـا، وأرغموهـم عـلى تـرك النسـاء والأطفـال في البلـدة، خصيصًـا مـن أجـل الاقتحـام».

وتقـول الجماعـات المدافعـة عـن حقوق الإنسـان، بـأن المدنيين

وحدهـم كانـوا هـم المتأثريـن حيـث لـم يكـن هنـاك أي دليـل عـلى وجـود ثـوار في البلـدة وقـت وقـوع الهجـوم، ولـدى الأمـم المتحـدة والاتحـاد الإفريقـي قـوات في دارفـور، ولكـن وفـق هيومـان رايتـس ووتـش، منعتهـم الحكومـة السـودانية مـن إجـراء تحقيـق مسـتقل.

امـرأة في العقـد الرابـع مـن عمرهـا قالـت بأنهـم «فـور دخولهـم إلى الغرفـة، قالـوا: أنتـم قتلتـم رجلنـا، سـوف نريكـم جهنـم الحقيقيـة» وتمـضي في روايـة مـا حـدث لهـا ولبناتهـا الثـلاث، ومنهـن اثنتـان تحـت سـن الحاديـة عـشرة بحسـب هيومـن رايتـس، «بعـد ذلـك بـدأوا بضربنـا، ثـم اغتصبـوا بنـاتي الثـلاث واغتصبـوني، بعضهـم كان يقـوم بتثبيـت البنـت أرضًـا، فيمـا الآخـر يقـوم باغتصابهـا، ويفعلـون ذلـك واحـدًا تلـو الآخـر». [*]

لكـن الحكومـة السـودانية نفـت الاتهامـات ووصفتهـا بأنهـا «مسيسـة». وقـد وضعـت كعادتهـا العراقيـل، للحيلولـة دون وصـول فـرق التحقيـق التابعـة لبعثـة القـوات الأمميـة «اليوناميـد» وفريـق المنظمـة. وقالـت الأمـم المتحـدة إن القـوات السـودانية منعـت في البدايـة أعضـاء مـن بعثـة حفـظ السـلام المشـتركة «يوناميـد» مـن الوصـول إلى قريـة تابـت في شـمال دارفـور في وقـت سـابق.[**]

لكـن إصرار المنظمـة أوصلهـا للمنطقـة حيـث أجـرت تحقيقـات

[24] قناة بي بي سي العربية
[25] قناة سي إن إن الإخبارية

واسعة مع المعتدَى عليهن.

خلصت به إلى توجيه اتهام رسمي من قبل رأس منظمة «هيومان رايتس ووتش» المعنية بحقوق الإنسان إلى جنود تابعين للجيش السوداني باغتصاب نحو ٢٢١ امرأة في إحدى قرى إقليم دارفور في العام الماضي 2014.

«وأشارت المنظمة في تقرير أنها اعتمدت على شهادات العديد من ضحايا عمليات الاغتصاب التي وقعت في الفترة ما بين ٣٠ أكتوبر/ تشرين الأول والأول من نوفمبر/ تشرين الثاني في قرية تابت في دارفور.

وكان الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون ناشد السودان بعدم عرقلة عمل أعضاء البعثة الأممية الذين يحققون في تقارير إعلامية تحدثت عن ارتكاب جنود سودانيين عمليات اغتصاب جماعي في دارفور».

إن سلاح الاغتصاب الذي اشتهرت به عصبة المشروع الإسلاموي بكل مناطق النزاع بالسودان، حتى عبر عنه كبيرهم بعبارة تندح صديدًا تزكم الأنوف وتغطي الأفقَ نتانتُها في أحد مجالسه المكتظة حين بارك واستحل وأباح واستحسن انتهاك شرف الحرائر من فتيات ونساء الهامش خصوصًا «الغرباوية» بقوله: «الغرباوية إذا ركبها «جعلي» مفترض تفتخر بذلك» في إشارة منه إلى

أن المـرأة الدارفوريـة يجـدر بهـا أن تفتخـر عندمـا يغتصبهـا رجـل مـن الشـمال النيـلي، لأنـه -حسـب اعتقـاده السـاذج- الأرفـع مقامًـا، الأشرف نسـبًا، الأقـرب نسـبة إلى بيـت النبـوة! ليفتـح بذلـك أبـواب اسـتخدام الأسـلحة «السراويليـة» بمناطـق الـنزاع، فشـهدت دارفـور وجبـال النوبـة والنيـل الأزرق في فـترة حكومتـه أبشـع أنـواع جرائـم الاغتصـاب في معسـكرات الـنزوح وفي المـزارع والمـدن والقـرى زرافـات ووحدانًـا، ومـا عمليـة الاغتصـاب الجماعـي المذكـورة هـذه إلا قطـرة مـن محيـط خبيـث فعالهـم هنـاك، إذ لـم يـأتِ ذلـك بدافـع إشـباع الغريزة البهائميـة الـتي تتحكـم بعقولهـم بقـدر مـا يهدفـون إلى إذلال أسر المغتصبـات وأقربائهـن.

هـذا إضافـة إلى مـا تشـهدها المعتقـلات وجلسـات التحقيـق داخـل أبنيـة الأجهـزة الأمنيـة بالخرطـوم والولايـات مـن حـالات اغتصـاب للرجـال والنسـاء بصـورة لا تقـل بشـاعة عمـا سـبقت الإشـارة إليهـا.. ومـا خفـي أبشـع وأكـثر.

الفصل الخامس

# «طلاب دارفور في الخرطوم»

# طالبات دارفور أجنبيات في وطنهن

مـا عتـم مسـتذئبو حكومـة المؤتمـر الوطـني متعطشـين لإذلال إنسـان دارفـور بشـتى السـبل بعـد أن أوجعـوا ظهـره ضربًـا وحرقًـا وتقطيعًـا وتجريحًـا، فيلجـأون تـارة لاختطـاف التجـار وميسـوري الحـال مـن أبنـاء الإقليـم مـع طلـب فديـة تفـوق مقـدرة المختطفـين بغـرض إفقارهـم وإذلالهـم مثلمـا حـدث للتاجـر الصـادق يحـيى حمـدون في ديسـمبر ٢٠١٦ في نيـالا، والطبيـب أبـو عبيـدة الطاهـر في ذات العـام في نيـالا، ومئـات مـن الحـالات المشـابهة. وتـارة يلجـأون إلى سـلاح الاغتصـاب كمـا أسـلفت.. أمـا مـا نحـن بصـدده هنـا؛ فهـو جريمـة لا تقـل بشـاعة عـن أخواتهـا المذكـورات آنفًـا، فهـي صنـف آخـر مـن أسـاليب الإذلال والقهـر الـذي كانـت تنتهجهـا حكومـة المؤتمـر الوطـني في ظـل تعاملهـا مـع إنسـان دارفـور، فلـم يـروِ ظمأهـا كل تلـك الفظائـع الـتي أذاقتهـا لإنسـان دارفـور مـن قتـل وحـرق واغتصـاب واختطـاف ونهـب للممتلـكات بغيـة الإذلال والتركيـع والاسـتعباد، حـتى

عمـدت إلى التنكيـل ببنـات دارفـور وأبنائـه وسـط العاصمـة الخرطـوم، -وعـلى عينـك يـا مواطـن- فصـارت ظاهـرة تشريدهـم واعتقالهـم أو حـتى اغتيـال طالبـات دارفـور وطلابـه بمختلـف مـدن السـودان مشـهدًا روتينيًّـا لا يثـير دهشـة أحـد. يؤكـد ذلـك واقعـة مداهمـة سـيارات الشرطـة صبيحـة الثلاثـاء ٢ مايـو ٢٠١٧ داخليـة «المـروة» بالفتيحـاب مربـع ١٣ وإخلاؤهـا مـن طالبـات دارفـور البالـغ عددهـن ٥٠ طالبـة، ليصبحـن مـشردات في العـراء، بأمـر مـن المحكمـة الـتي أمـرت بطردهـن وركلهـن عـلى الأرصفـة والخـيران تحـت لفـح شـمس الصيـف المشـتعلة دون مراعـاة لأدنى القيـم الإنسـانية الـتي تُحتّـم عـلى المحكمـة حمايـة العـرض قبـل الأرض. فهـل فعـلًا كانـت مسـألة إسـكان طالبـات دارفـور وطلابـه أمـرًا يسـتعصي حلـه في ظـل توفـر هـذا الكـم الهائـل مـن المبـاني الحكوميـة الشـاهقة الفارغـة ليبقـى الخيـار الوحيـد الأوحـد هـو طردهـن كالـكلاب المسـعورة؟ وأيـن وزارة التعليـم العـالي مـن كل ذلـك؟ ومـا دور الصنـدوق القومـي لرعايـة الطـلاب حيـال هـذا الأمـر؟ وأين؟ وأين؟ وأين؟

# وجامعة بخت الرضا شهيدة على ما يفعلون

لـم يندهـش أحـد لطريقـة تعاطـي حكومـة المؤتمـر الوطـني مـع مشـكلة طـلاب دارفـور في جامعـة بخـت الرضـا بالدويـم ومحاولتهـا تكميـم الأفـواه عـبر «الدِبشـك» ومنعهـم مـن دخـول عاصمتهـم الخرطـوم، والحيلولـة دون إيصـال الأكل والـشرب لهـم بعـد أن جـادت نفـوس عظمـاء قريـة الشـيخ الياقـوت لهـم بذلـك، إضافـة إلى تنصلهـا عـن التزامهـا بترحيلهـم إلى دارفـور بعـد أن عجـزت كعادتهـا عـن إيجـاد حلـول ناجعـة لمطالـب الطـلاب بأسـلوب حضـاري يضمـن لهـم كرامتهـم ويكفهـم شر التصعيـد وفـورة النفـس.

إن وقائـع جامعـة بخـت الرضـا الـتي راوحـت مكانهـا لفـترات طويلـة، كشـفت بوضـوح عـن مـدى الانحطـاط الأخـلاقي الـذي يـلازم كل منتسـبي مدرسـة الإخـوان المتأسـلمين، فعندمـا يسـتهدف مديـر جامعـة بخـت الرضـا البروفيسـور جـاد الله الحسـن أبنـاء دارفـور دون غيرهـم، إنمـا ينفـذ بذلـك أجنـدات

إدارة كتيبتـه «الجهاديـة» وأحقادهـا أو مـا يطلـق عليهـا اسـم «الأمـن الشـعبي» وهـي وحـدة جهاديـة سريـة تنشـط وسـط كل مؤسسـات الدولـة تحـت أسـماء وهميـة، لتقـوم بتنفيـذ المخططـات الإرهابيـة داخـل البـلاد بتصفيـة أبنـاء دارفـور والنيـل الأزرق وجبـال النوبـة وبعـض المتحررين مـن المغضوب عليهـم مـن أبنـاء الأقاليـم الأخـرى، كما تعتبـر جسرًا للتواصـل بـين النظـام الحاكـم وكل الجماعـات الإرهابيـة الإسـلامية بالعالـم لتجنيـد أخطـر العنـاصر وإيوائهم وتصديرهـم إلى دول العالـم، وعـلى هواهـا تسـير كل مجريـات الأحـداث الإجراميـة بحـق الشـعب السـوداني ودول الجـوار.*

إذ يصـف بعـض المراقبـين أن جـاد الله الحسـن هـو أحـد أنشـط عنـاصر تلـك الوحـدة الدمويـة الـتي تمثـل الوجـه الحقيقـي لحـزب المؤتمـر الوطـني البائـد. فقـرار اسـتقالة أكـثر مـن ١٢٠٠ مـن طـلاب إقليـم دارفـور بجامعة بخـت الرضـا الـتي يفـترض أن تكون رائـدة الجامعات السـودانية، لـم يصـدر عـن عواطـف طائشـة مـن شـباب قُـصّر، أو بإيحـاء مـن جهـات سياسـية معارضـة كما ظـل ينعـق بذلـك والي النيـل الأبيـض الأسـبق عبـد الحميـد مـوسى كاشـا ونظامـه وبعـض منسـوبي الصحافـة السـودانية ممـن تشـابه عليهـم البقـر، وإنمـا أرغـم الطـلاب عـلى هـذا الخيـار إرغامًـا بعـد أن تجرعـوا مـرارات الاسـتهدافات العنصريـة المتكـررة الممنهجـة، وسُـدت أمامهـم

[26] راجـع كتـاب "بيـت العنكبـوت» ط 2 لمؤلفـه الصحفـي السـوداني فتحـي الضـوء

كل المنافـذ، ليتوصلـوا مؤخـرًا إلى حقيقـة أن بقاءهـم بهـذه الغابـة الإسـمنتية الـتي تدعـى «الجامعـة» سـتؤدي بهـم لا محالـة إلى بيـوت الأشـباح حيـث التصفيـات الجسـدية والاحتقـار والتعذيـب كالسـابقين مـن أبنـاء الإقليـم، لأنهـم خـبروا جيـدًا أدبيـات هـذا النظـام الـذي جعـل مـن إقليمهـم نـارًا تلظـى. فقـط لأنهـم مـن دارفـور! أمـا التهـم الـتي بموجبهـا مكـث بعـض طـلاب جامعـة بخـت الرضـا لأكـثر مـن عامـين في المعتقـلات، فلـم تكـن تسـتند أساسًـا إلى أي أدلـة تثبـت تورطهـم في الجرائـم المزعومـة، سـيما وأن مقتـل الشرطيـين اللذيـن لقيـا مصرعهمـا قبـل عـدة أشـهر مـن ذلـك بالجامعـة -كمـا ذكـر- لـم يـأتِ نتيجـة عـراك بـين الشرطـة والطـلاب، وإنمـا بطلقـة ناريـة طائشـة -بحسـب تصريحـات إدارة الجامعـة نفسـها- وهـي مـا لـم تمتلكهـا سـوى قـوات الشرطـة المقتحمـة للحـرم الجامعـي وبعـض عنـاصر الكتائـب الجهاديـة مـن طـلاب المؤتمـر الوطـني بالجامعـة، وذاك موضـوع آخـر.

تناسـت حكومـة البشـير وقتهـا أن كل نـيران البـلاد الملتهبـة مـا هـي إلا وليـدة حلـول غبيـة انتهجتهـا منـذ قدومهـا المشـؤوم، ولسـت بحاجـة إلى أن أعـود بـك -عزيـزي القـارئ- إلى تصريحـات البشـير العنجهيـة الـتي سـعى مـن خلالهـا جاهـدًا لصنـع أعدائـه بكامـل إرادتـه، فأوردت السـودان المهالـك وجعلـت منـه مجـرم حـرب هاربًـا مـن العدالـة الدوليـة.

## ولا تزال أرواح ضحايا جامعة الجزيرة تلاحق مزهقيها

قالت هيئة محامي دارفور وفقًا لصحيفة الراكوبة الإلكترونية «إن لجنة التقصي والتحقيق في جرائم القتل خارج نطاق القانون والتي شكلتها الهيئة لمتابعة قضايا الطلاب الشهداء وآخرين ممن استشهدوا في عهد النظام البائد، في متابعة لقضية شهداء طلاب جامعة الجزيرة الأربعة.

وأوضحت الهيئة في بيان لها اليوم الثلاثاء 12 يناير\ كانون الثاني 2021 أن نبش جثامين الطلاب الأربعة قد تم بواسطة اللجنة التي كونها النائب العام الشهر الماضي بعد أن استكملت تلك اللجنة المنوط بها التقصي والتحقيق في الجرائم المرتكبة خارج نطاق القانون كافة متطلبات إجراءات النبش القانونية، وقد قامت اللجنة المذكورة والمشكلة بواسطة النائب العام بأداء مهامها بمهنية عالية.

وقالت الهيئة من جانبها إنه قد توفرت البينة المبدئية الكافية لفتح بلاغات جنائية في مواجهة مرتكبي الجريمة

البشعة، والأكثر بشاعة وجسامة، وقد تم دفن أحد الطلاب الشهداء الأربعة بكامل ملابسه وعلى بنطاله الحزام، بصورة مهدرة للقيم الدينية والكرامة الإنسانية، كما هنالك سعي لطمس معالم الجريمة البشعة المرتكبة، وإخفاء الحقيقة عن أولياء الدم، والرأي العام، والزعم بأن الطلاب الشهداء الأربعة جميعهم، غرقوا في ترعة مياه بمزرعة الجامعة (عمقها لا يتجاوز المتر الواحد)، وآثار الجريمة لا زالت واضحة على جثامين وهياكل الطلاب الشهداء، شاهدة على جسامة الجريمة المرتكبة، لتلاحق الجناة.

وذكرت الهيئة بأنها أيضًا تواصلت مع مولانا تاج السر الحبر النائب العام، ومع لجنة التقصي والتحقيق في جرائم القتل خارج نطاق القانون والمشكلة بواسطة النائب العام وهي المعنية والمختصة والتي أشرفت على عملية النبش، وذلك لتسريع أعمالها وإجراءات ملاحقة الجناة، والقبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة الرادعة».[*]

هذه تعتبر نقطة في بحر جرائم النظام البائد وما تلتها وما سبقتها من أنظمة ولغت حتى الآذان في دماء الأبرياء من طلاب الأقاليم المترامية الذين تواروا عن الأنظار لم يعرف لهم خبر أو أثر حتى اليوم.

[27] صحيفة الراكوبة في عددها الصادر بتاريخ 13 \1\2021

**مواقف المتمسحين بالإنسانية والإسلام من مذابح طلاب دارفور**

ما كنت لأصدق ما كنت أراه من اللا مبالاة التي يشهدها الشارع السوداني حيال التقتيل المنتظم الذي يمارسه المؤتمر الوطني ضد طلاب دارفور الذين يتساقطون اغتيالًا واحدًا تلو الآخر وعلى مرمى حجر من قبة البرلمان الذي يفترض به القيام بتشكيل لجان تحقيق ومحاسبة فورية وفصل جميع من تربطهم صلة بهذا العبث بأرواح الأبرياء، بينما في ذات الوقت تتورم حلاقيم الأجهزة الحكومية التشريعية منها والتنفيذية وهيئة علماء السودان ورؤساء الأحزاب والنقابات المركزية وخطباء المساجد بالنعيق بضرورة دعم مسلمي ميانمار «الروهينغا» الذين

تجرعـوا ذات المـرارات عـلى يـد الدكتاتـورة البورميـة «أون سـان سـو تـشي» الـتي تقـل دكتاتوريتهـا كثـيرًا عـن دكتاتوريـة السـفاح البشـير، عـلى اعتبـار أنهـم إخـوة لهـم في الديـن. لا أحـاول بـأي شـكل تقليـص كميـة تضامـن الشـعوب المسـلمة مـع بعضهـا، سـيما وأن للروهينغـا قضيـة عادلـة توجـب عـلى الإنسـانية جمعـاء الوقـوف معهـم بغـض النظـر عـن ديانتهـم أو غيرهـا.

لكـن طالمـا تَمَسّـح أولئـك المتضامنـون السـودانيون ببراهـين ونصـوص دينيـة، فالقاعـدة الإسـلامية تقـول: «الأقربـون أولى بالمعـروف»، فـأيّ الشـعبين كان أقـرب!

وأي الحالتين أولى بالتضامن؟

وأي الفريقـين أحـق بالدعـم إن كانـوا صادقـين؟ شـعب الروهينغـا أم طـلاب دارفـور؟ دارفـور «اللـوح والدوايـة» كمـا يحلـو لهـم تسـميتها، تلـك الدولـة الإسـلامية التاريخيـة الـتي ظلـت تبعـث بقوافـل لكسـوة الكعبـة المشرفـة وطعـام الحجيـج كل عـام زهـاء الخمسـة قـرون بـلا مـنٍّ مـن شـعبها ولا أذى، وحـتى وقـت قريـب كانـت دارفـور هـي الإقليـم السـوداني الوحيـد الـذي يديـن شـعبه بالديـن الإسـلامي بنسـبة مئـة في المئـة، فعـن أي أخـوة في الإسـلام يتحدثـون؟ فقـد أظهـرت واقعـة اعتـداء كتائـب المؤتمـر الوطـني الإرهابيـة عـلى طـلاب دارفـور بداخليـة -غوانتانامـو- قبيـل عيـد الأضحـى 14 أيلول/سـبتمبر ٢٠١٧ الـذي نجـم عنـه اغتيـال ثلاثـة مـن طلاب

دارفـور العُـزّل (جعفـر محمـد «جيفـارا») و(أشرف الهـادي) و(محمـد عـلي «كلـول») أظهـرت مـدى الهـوة الوجدانيـة الـتي تفصـل بـين شـعب دارفـور وشـعوب الوسـط والشـمال النيـلي، بمـن فيهـم دعـاة الإنسـانية والعدالـة الاجتماعيـة، مـا عـدا القليـل والقليـل جـدًّا، يتضـح ذلـك جليًّـا لـكل مـن تابـع سـير مراسـم تشـييع الجثامـين الثلاثـة، إذ لـم يكـن مـن بـين المشـيعين رؤسـاء الأحـزاب السياسـية السـودانية الـ160 وأعضاؤهـا إلا القليـل ممـن سـيُدوِّن التاريـخ الإنسـاني وقفتهـم تلـك بأحـرف مـن ذهـب. والمحـزن أيضًـا في المشـهد أن جـل المشـيعين مـن طـلاب دارفـور شـباب في طـور المراهقـة أو بعدهـا بقليـل، وكأنهـم طـلاب وافـدون من دولـة نائيـة معادية. هكـذا قُـدِّر لطـلاب دارفـور أن يموتـوا غـدرًا بينمـا بقيـة الشـعب السـوداني يتباكـون عـلى الروهينغـا وفلسـطين والشيشـان وبرشـلونة وريـال مدريـد، ولا أحـد يأبـه لأنينهـم سـوى أمهاتهم المكلومـات، ممـا يوحـي باسـتمرارية عواصـف العنصريـة الـتي سـتعصف بوحـدة السـودان إن لـم يتداركهـا الحكمـاء، إن وجـدوا أصـلًا.

# الفصل السادس

## «استكباش أبناء دارفور.. الدوافع والدلالات»

# أبناء دارفور شماعة المؤامرات الخارجية

عندما نفدت قريحة عصابة المؤتمر الوطني من كل وسائل التضليل والضحك على العقول، عادت إلى أساليب دأبت على اللجوء إليها كلما تعرضت إلى «زنقة مفاجئة» من قبل المواطن الذي سرعان ما يطيّب خاطره ببضع كلمات ليّنات، حتى وإن كانت محض افتراء، سيما تلك الكلمات التي تحمل مدلولات المؤامرة على الدين والوطن اللّذَين اتخذهما النظام البائد شماعة لتعليق كل إخفاقاته عليهما، بهدف استحلاب العواطف من المواطن البسيط وإعادته إلى صف المصفقين للجلاد، حفاظًا على سيادة الأرض.

ولكي تصبح الكذبة مقبولة وقابلة للهضم، فلا بأس من فبركة شيء وإلزام وسائل الإعلام الحكومية لجعلها قريبة من الواقع، لإكساب العنف المقرر سلفًا جانبًا من الشرعية من جهة، وتبرئة الجناة من جهة أخرى.

كتلك المسرحية التي عرضت على قناة تلفزيون السودان

القومـي في أواخـر ديسـمبر 2018 تظهـر العـشرات مـن أبنـاء دارفـور مقيديـن بالسلاسـل وأمامهـم أسـلحة ناريـة وذخائـر، واسـتنطقوهم تحـت التعذيـب للإقـرار بأنهـم أرسـلوا مـن دولـة إسرائيـل لإثـارة البلبلـة في البـلاد وضرب المتظاهريـن.

بينمـا صرح غـير واحـد مـن المسـؤولين أمثـال مديـر الأمـن السـوداني الأسـبق صـلاح قـوش بأنهـم ألقـوا القبـض عـلى خلايـا تتبـع لرئيـس حركـة تحريـر السـودان عبـد الواحـد محمـد أحمـد النـور، تـم إرسـالهم مـن قبـل الموسـاد لإثـارة المواطنـين للقيـام بالمظاهـرات.

يلاحـظ أنـه بـذات المسرحيـات كانـت قـد أُهـدرت دمـاء تسـعة مـن أبنـاء دارفـور الذيـن قتلـوا ظلمًـا شـنقًا حـتى المـوت بعـد إلباسـهم جريمـة اغتيـال رئيـس تحريـر صحيفـة الوفـاق محمـد أحمـد محمـد طـه قبـل عـشر سـنوات، مـع العلـم أن عصابـة النظـام الحاكـم هـي مـن خططـت ونفـذت تلـك العمليـة الدمويـة، وهـو ذات السـيناريو الـذي حـدث مـع طـلاب دارفـور بجامعـة سـنار.

لا أدري لـمَ كل هـذه الكراهيـة الـتي تكنهـا عصابـة المؤتمـر الوطـني تجـاه الشـعب السـوداني وشـعب دارفـور بوجـه أخـص!

وعـلى الرغـم مـن انتمـاء الكثـير مـن أبنـاء دارفـور إليهـا منـذ ظهورهـا المشـؤوم، وفي جميـع مراحلهـا: الإخـوان المسـلمين، الجبهـة القوميـة الإسـلامية، جبهـة الميثـاق الإسـلام، المؤتمـر

الوطـني.. إلـخ، فـإن ذلـك لـم يكـن كافيًـا للحيلولـة دون اسـتهداف أبنائهـا وجعلهـم كبـاش فـداء كل مـا دعـت الحاجـة إلى ذلـك.

والغريـب أن ذلـك الحقـد تجـاه شـعب إقليـم دارفـور قـد مارسـه المؤتمـر الوطـني حـتى قبـل مجيئـه للسـلطة، فعندمـا أحـس الرئيـس السـوداني الأسـبق جعفـر نمـيري بالعزلـة داخليًّـا بعـد مقاطعتـه مـن جـل الأحـزاب ذات الثقـل الجماهـيري، لارتكابـه المجـازر ضـد خصومـه في الجزيـرة أبـا، وعقـب المحـاولات الانقلابيـة المتكـررة، وتحديـدًا هجـوم أمدرمـان في مطلـع يوليـو 1976 م، قـرر إشراك جماعـة الإخـوان المسـلمين في السـلطة، وسرعـان مـا تبـوّأ حسـن الـترابي موقعًـا جعلـه قريبًـا مـن رئيـس الجمهوريـة، لتقـوم الجماعـة عـبره بدورهـا بتدشـين أولى عملياتهـا الإجراميـة الراميـة إلى إضعـاف نظـام نمـيري وتحريـض الشـعب ضـده بغيـة إسـقاطه، فطفقـوا يضغطـون عـلى الرئيـس نمـيري بهـدف تطبيـق مـا أسـموها بـ«أحـكام الشريعـة الإسـلامية» حـتى أوقعـوه في فخاخهـم، فأعلـن الرئيـس نمـيري تطبيـق الشريعـة الإسـلامية في سـبتمبر ١٩٨٣ والـتي اتضحـت فيمـا بعـد أنهـا كانـت مجـرد أحـد الكـروت الـتي اسـتخدمتها جماعـة الإخـوان المسـلمين لأغـراض تكتيكيـة بحتـة ولا علاقـة لهـا بالديـن أو العدالـة البتـة، وهـو مـا يؤكـده عرابهـم حسـن الـترابي في تعليقـه حـول مشـاركة جماعتـه في حكومـة نمـيري حيـث قـال: «إن مشـاركتنا معـه في السـلطة لـم تكـن تحالفًـا اسـتراتيجيًّا ولكنـه كان تكتيكيًّـا لتحقيـق أهدافنـا».

وإذا مـا ألقينـا نظـرة فاحصـة في عمـق بـئر أدبيـات المؤتمـر الوطـني نجـد أن كلمـة «التكتيـك» لا تحمـل معـنى غـير السـعي لإضعـاف الشريـك والخصـم عـن طريـق التضحيـة بأقـرب كبش فـداء، وبالتـالي ردم الجثـث وجعلهـا سـلمًا للارتقـاء والوصـول بـه إلى سـدة الحكـم أو المحافظـة عليـه بعـد اسـتلامه بـلا اكـتراث بعـدد الأرواح الـتي سـتزهق.

ومـن هـذا المبـدأ انطلقـت فكـرة تطبيـق الشريعـة الإسـلامية، لكـن فيمـن؟

لـم يذهبـوا بعيـدًا للبحـث عـن «حيطـة قصـيرة» حـتى اسـتقر الـرأي عـلى الإشـارة عـلى نمـيري بتطبيقهـا ابتـداءً عـلى شـابين مـن إقليـم دارفـور هما محمـد صالـح حامـد، ومحمـد يحـيى الفاضـل اللـذان لـم يتجـاوز عمـر كل منهمـا الحاديـة والعشرين عامًـا وقـد حـضرا إلى العاصمـة للعمـل في الأعمـال الهامشـية بأسـواق الخرطـوم كبقيـة رصفائهمـا.

فقـد نفـذ فيهمـا أول تطبيـق لحـد قطـع اليـد بعـد أن اتهمـا زورًا بسرقـة عربـة «تويوتـا بوكـس» مـن أمـام بوسـطة الخرطـوم في ٢٥ مـن أكتوبـر ١٩٨٣، ولـم يمـضِ سـوى 20 يـومًا فقـط عـلى تقديمهمـا للمحاكمـة تحـت المـادة ٣٢١ بمحكمـة الخرطـوم وسـط، ومـن ثـم تنفيـذ الحكـم عليهمـا في صبيحـة الجمعـة التاسـع مـن ديسـمبر ١٩٨٣ بسـجن كوبـر وسـط حضـور جماهـيري وإعلامـي.*

[28] صلاح عبد اللطيف، عشرة أيام هزت السودان، ص 77,ط 1 دارالهلال

وقـد تكـررت تلـك الأحـكام لمئـات المـرات، ثلاثـة أرباعهـا وقعـت عـلى مواطنـين وأطفـال قُـصر مـن دارفـور.

ورغـم تعـدد الحكومـات فـإن الملاحـظ في الأمـر هـو أن الفاعـل واحـد، سـواء كان ذلـك في حكومـة مايـو أو الفـترة الحكومـة الائتلافيـة الانتقاليـة، أو حـتى الديمقراطيـة الثالثـة، وأخـيرًا حكومـة الإنقـاذ الـتي لـم تأبـه لحظـة لحرمـة دم المواطـن السـوداني، حـتى بلـغ بهـا أن حـاول ضرب صـف الشـعب السـوداني الـذي أعـاد البطـش والجـوع وحدتـه مـن جديـد، ولا يعـني ذلـك بحـال تبريـر سـاحة الحكومـات والأنظمـة الأخـرى مـن اسـتهداف إنسـان دارفـور، كمـا لا أعـني بذلـك أن مواطـن دارفـور وحـده مـن عـاني ويـلات الاسـتهداف المتكرر عـلى امتداد مشـاركة عصابـة المؤتمـر الوطـني في الحكومـات المتعاقبـة.

لكـن الـذي لـم يتنبـه إليـه تلـك العصابـة أن مثـل هـذه المسرحيـات «المسـيخة» مـا عـادت تثـير حافـز المواطـن الـذي حفـظ ودرس وفهـم كل طـرق الخبـث والمكـر السـيئ الـذي لا يحيـق إلا بصانعيـه.

وقـد أدرك الشـعب السـوداني أن إسرائيـل الـتي لطالمـا تغنـت بعداوتهـا الحناجـر مـا هـي إلا وهمـة كـبرى لتحقيـق الأهـداف سـالفة الذكـر.

# لِمَ استبقاء الأسرى الثوار بعد سقوط النظام؟

للإجابة عن السؤال المطروح بقوة في الشارع السوداني وجميع وسائل التواصل الاجتماعي عقب الإطاحة برأس النظام السابق فيما يتعلق بتأخير الإفراج عن مئات من أسرى الحركات المسلحة بجانب مئات آخرين من طلاب دارفور الذين تم القبض عليهم في مطلع المظاهرات، في الوقت الذي أطلق فيه معظم رصفائهم السياسيين من منتسبي الأحزاب السودانية المختلفة، ألفت نظر القارئ الكريم إلى مقال لي بعنوان: «احذروا سم عسل النظام القاتل» كان قد نشر في ١٠ مارس ٢٠١٧ على صحيفة صوت الهامش وسودانايل السودانيتين فور إطلاق سراح الدفعة الأولى من أسرى الحركات المسلحة، التي اقتصرت وقتئذٍ على بعض الأسرى من أبناء دارفور من حركة العدل والمساواة وحركتي تحرير السودان (عبد الواحد - مناوي) وحركة تحرير السودان المجلس الانتقالي وحركة الوحدة وغيرها، بينما لم

تشـمل رفاقهـم مـن ذات المؤسسـات مـن الأقاليـم الأخـرى إلا بعـد فـترة طويلـة.. أمطـتُ اللثـام مـن خلالـه عـن جانـب خطـير مـن خطـة حكومـة البشـير الراميـة إلى شرخ وحـدة قـوى المقاومـة المسـلحة بالإيحـاء لأبنـاء الأقاليـم الأخـرى الذيـن ينتمـون لـذات المؤسسـات الثوريـة بـأن ثمـة مذكـرات تفاهـم وحـوارات تـدار في الظـلام بـين النظـام ورفاقهـم مـن أبنـاء دارفـور، وصـولًا إلى زرع قنابـل الشـك ومحـو الثقـة بينهـم وإلى الأبـد.

بجانـب محاولتهـم لـرش الميـاه لتهدئـة الأغـبرة المثـارة نحوهـم مـن قبـل البيـت الأبيـض الـذي وعدهـم وقتهـا برفـع الحظـر المفـروض عـلى البـلاد منـذ عقديـن مـن الزمـن في حالـة التزامهـم بالـشروط المطلوبـة الـتي مـن بينهـا الإفـراج الفـوري عـن جميـع الأسرى.

إذ لـم تكـن تلـك الخطـوة ردًّا للتحيـة الـتي ابتدرتهـا حركتـا العـدل والمسـاواة والحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان اللتـان أطلقتـا جميـع مـن معهمـا مـن أسرى قـوات وميليشـيات النظـام، لـدواعٍ إنسـانية صرفـة حسـبما صرح بـه قـادة تلـك الحـركات وقتهـا.

ولأن المؤتمـر الوطـني كان يـرى أن أي شـكل مـن أشـكال وحـدة للشـعب السـوداني سـيُعجّل بزوالـه لا محالـة، فقـد قـام بتخصيـص ميزانيـة ضخمـة تحـت غطـاء الأمـن والدفـاع لـشراء الذمـم وإنفاقهـا عـلى العمـلاء لإثـارة الفـتن والنعـرات بقصـد

الحيلولة دون وحدة الشعب ومكوناته كأحد أهم خططه الاستراتيجية.

وما تلك النزاعات القبلية التي تندلع بين كل حين وحين وانقسام الحركات المسلحة والأحزاب المعارضة إلا نتيجة لعمل تلك الأموال المخصصة، لضرب أي وحدة محتملة تهدد بقاءه، مهما اختلفت الأشكال والأحجام والألوان.

وعند النظر بعمق حول هذا المبدأ الذي استمد منه نظام المؤتمر الوطني طول بقائه، يتضح لنا حقيقة ما ترمي إليه حكومة عبد الفتاح البرهان وحميدتي من تأخير إطلاق سراح المعتقلين من أبناء دارفور الذين لا زالوا في زنازين النظام الذي لم يسقط بعد، كونهما -البرهان، وحميدتي- وحسبما يصفهما المراقبون بأنهما مجرد جنديين مأمورين من قبل قادتهما الذين تواروا عن الأنظار قسرًا إلى حين تنفيذ مخططاتهم المكشوفة، ولا يملكان الجرأة على فعل ما لم يؤمرا به من قبلهما.

يهدف النظام الجديد من تأخير إطلاق سراحهم إلى ذات الهدف الذي أراد بلوغه غداة إطلاقه سراح الدفعة الأولى من أسرى الحركات المسلحة التي اقتصرت على أبناء دارفور بغية سحب بساط الثقة من تحت أقدام أبناء دارفور، على نحو ما أسلفنا.. لما تشكله استمرارية وحدة الكفاح المسلح من خطورة يستعصي على النظام مقاومتها مهما حشد لها من ميليشيات وخصص لها من ميزانيات.

ذات السيناريو وذات الإعداد وذات التقديم وذات المسرح مع اختلاف طفيف في التنفيذ وعكس وقائع النص جاء به هذا النظام مرة أخرى لإثارة حفيظة أبناء دارفور، سعيًا منه لدفعهم نحو نفض أياديهم عن ثورة ديسمبر، وحينها تلقائيًّا يكون قد انفلق طود الثورة العظيم، وتشققت وحدة التجمع السامق الذي سبق أن فضح فبركات قوش والبشير وتجاوزهما بخطًى ثابتة هاتفًا: «يا عنصري المغرور.. كل البلد دارفور»، حتى أرغمهم على تمثيل أكبر مسرحية في تاريخ السودان والعالم، بإخفاء رئيسهم الدموي وكل زبانيته من رجالات الصف الأول، وتسليم السلطة لمن يأتمنونهم من أتباعهم المخلصين إلى حين فض الاعتصام، ومن ثم عودة الجميع إلى مواقعهم.. إذا سمح الثوار لهذا المخطط بالنجاح.

وهو ما يؤكده تصريح الفريق عبد الفتاح البرهان القاضي بالتنصل الكامل عن جميع ما تم التوصل إليه من اتفاق غداة تنفيذ فض الاعتصام.

لكن أتت الرياح بكثير مما لا تهوى الأنفس، فعدل العسكر عن مساره المشبوه. بينما لا يزال أكثر من 500 أسير لم يعرف مصيرهم حتى هذه اللحظة حسبما أفاد به د. جبريل إبراهيم رئيس حركة العدل والمساواة في لقاء جمعه مع أسر الشهداء في منتصف ديسمبر٢٠٢٠ في العاصمة السودانية الخرطوم.

# حتى في كنف الثورة!

لـم يدهشـني مـا أقـدم عليـه المجلس العسـكري مـن محاولات لتلطيـف الأجـواء وتهدئـة الأغـبرة الـتي أثارهـا المعتصمـون عاليًـا بعـد تلـك المذبحـة البشـعة الـتي راح ضحيتهـا أكـثر مـن سـبعة قتـلى ومئـتي مصـاب وسـط المعتصمـين مسـاء الاثنـين ٢٠١٩/٥/١٣ رميًـا بالرصـاص ودهسًـا بالسـيارات، عـلى قـوات ترتـدي زي الدعـم السريـع بعـد تهديدهـا للمعتصمـين بـ«الطحـن» و«المسـح» -حسـب إفـادات المصابـين- وكامـيرات موبايـلات النشـطاء وعدسـات الأقمـار الصناعيـة العالميـة الـتي تنشـط بكثافـة في فضـاءات القيـادة العامـة منـذ السـادس مـن نيسـان/أبريل 2019.

إذ توقعـتُ أن يُقْـدم المجلـس العسـكري عـلى خلـق مشـاهد دراميـة في أثنـاء فـترة تعليـق المفاوضـات، حـتى يمتـص غضـب الشـارع الـذي بـدأ يسـحب بسـاط الثقـة مـن تحـت أقدامهـم، ومـن ثـم يقـوم المجلـس بـزرع بـذور التشـكيك والتخويـن بـين الثـوار كبدايـة لـضرب الوحـدة الثوريـة في مقتـل.

لكن ما أدهشني حقًّا هو عودة المجلس العسكري للعمل بذات السيناريوهات والأساليب الكيزانية التي تجاوزها الزمن، وإصراره على تبرئة ميليشيات الدعم السريع، بل وتمثيل ذات المسرحية التي جربها معلمهم قوش في بداية انطلاقة ثورة ديسمبر فمني بفشل ذريع حين ارتفعت حناجر الثوار بـ«يا عنصري المغرور.. كل البلد دارفور».

في إشارة مفادها أننا أذكى من أن تنطلي علينا مثل هذه الأكاذيب يا مستر قوش.. فبُهِت المغرور وانهزم أمام الوعي الثوري الذي ركله إلى أزقة سوق «العتبة» بالقاهرة هاربًا.

وهنا يكمن جوهر المؤامرة الذي يتميز بها هؤلاء حينما أصروا على تجريب المجرب وحاولوا «خوشقة» قضية ضحايا الثامن والعاشر من رمضان بترك الجناة الحقيقيين طلقاء يمشون بين ضحاياهم، بينما ألقوا القبض على شباب أبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم ينحدرون من إقليم دارفور، على غرار ما فعله قوش، وقبله القضاء المخجوج في قضية مقتل الصحفي محمد أحمد محمد طه، وقبلهما تنفيذ أحكام شريعة نميري. وغيرها كما أسلفنا.

إذن ما السر وراء استهداف أبناء الهامش وجعلهم كباش فداء دون سواهم في جرائم هم بريئون منها براءة الذئب من دم يوسف؟!

الدافـع الرئيـسي وراء هـذا الاسـتهداف المتواصـل هـو أن تركيبـة عقليـة النخـب المتعاقبـة عـلى حكـم البـلاد عـلى اختلاف توجهاتهـا تجمـع -وبـكل أسـف- عـلى إبعـاد أبنـاء الهامـش ودارفـور بصـورة أخـص مـن كل مـا مـن شـأنه أن يوصلهـم إلى مواقـع سـيادية إلا لمـن يرضـون عنـه ويـرضى بهـم كأسـياد!

يتضـح ذلـك جليًّـا مـن خـلال تعاطيهـم العنيـف مـع أي شـكل مـن أشـكال الثـورة والاحتجاجـات هنـاك.. ومـا اسـتبقاء أبنـاء دارفـور في معتقـلات النظـام السـابق وغـض الطـرف عنهـم مـن قبـل المجلـس العسـكري إلا نمـوذج حـي للعنصريـة المتشربـة في عـروق تلـك النخـب وشرايينهـا!

أمـا الـسر الـذي لا يتجـرأ أحـد عـلى البـوح بـه هـو أن الجـنرال البرهـان والسـيد حميـدتي كانـا قـد ارتكبـا فظائـع ومجـازر في إقليـم دارفـور لا يـكاد يصدقهـا عقـل، ولا يعـرف مداهـا وحجم بشـاعتها إلا مـن عاشـها مـن أبنـاء دارفـور.

وبالتـالي فالمجلـس يـدرك أن وجـود أبنـاء دارفـور ضمـن الثـوار في ميـدان الاعتصـام كجـزء أصيـل مـن مكونـات قـوى إعـلان الحريـة والتغيـير وتجمـع المهنيـين، وتجمـع قـوى الهامـش السـوداني سـيفضحهم ويكشـف الأقنعـة عـن وجوههـم المتقيحـة، وبالتـالي تـأتي مرحلـة المطالبـة بتقديمهـم للعدالـة لا محالـة.

فطفقـوا يبحثـون عـن نوافـذ ليتسـللوا مـن خلالهـا إلى تصفيـة

الوجـود الدارفـوري وضرب وحـدة الثـوار.

لكـن مـا زاد الطـين بلـة هـو أن قـوى الحريـة والتغيـير نفسـها قـد انجـرت لاحقًـا إلى ذات المنحـدر، فسـاهمت بشـكل كبـير في الحيلولـة دون تغـير هـذه الصـورة العنصريـة المشـوهة الـتي يختزنهـا الجميـع تجـاه إنسـان الهامـش فتعمـدت إبعـاد شركائهـا مـن أبنـاء الهامـش المنضويـن تحـت تحالـف الجبهـة الثوريـة ورفضـت تضمـين قضايـا الهامـش لتصبـح كأسـاس لـكل اتفاقيـة بينهـا والعسـكر، مـا دفـع الجبهـة الثوريـة إلى إبـرام اتفاقيـة في جوبـا بينهـا وبـين الحكومـة الانتقاليـة غـير تلـك الـتي تـم توقيعهـا في أغسـطس ٢٠١٩ في الخرطـوم.

# الفصل السابع

## «النزاعات القبلية.. خناجر مسمومة في كبد السودان»

# أسلحة خطِرة في أيادٍ خاطئة

أورد البروفيسور محمد الحسن ولد لبات الوسيط الإفريقي في مفاوضات السلام السودانية في كتابه الجديد «السودان إلى طريق المصالحة»: «إن أكثر دولة إفريقية ينتشر فيها السلاح بين مواطنيها بشكل فردي هي السودان، ودلل على ذلك بأن الأفراد المنتسبين إلى الأجهزة الأمنية المختلفة يحتفظون بأسلحة خاصة خارج نطاق العمل الرسمي، على غير ما عرفت به الأجهزة الأمنية في البلدان الأخرى».[*]

إن صَدَق هذا الادعاء الخطير، فيمكننا القول بأن السودان الآن يعيش على أرضية بركان بإمكانها أن تثور وتنفجر في أي لحظة، سيما وأن نداءات النعرات القبلية التي أخذت تتصاعد هنا وهناك بجانب تساهل الجهات المعنية مع الوضع، هما الدافعان الرئيسيان لجعل أي مواطن يفكر في الحصول على قطعة سلاح ناري لحماية نفسه في ظل عجز

[29] البروفيسور محمد ود لبات –السودان على طريق المصالحة، ط 1 , المركز الثقافي للكتاب

السلطات عن القيام بذلك.

قد نلتمس العذر -أحيانًا- للحكومة الجديدة في كونها ورثت من سابقتها دولة مدمرة أمنيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، ومتخلفة إداريًّا، لدرجة أن أمست القبيلة تستحوذ على مساحات واسعة من الصلاحيات على حساب الدولة، حتى باتت هي الآمرة والناهية للدولة.. لا العكس.

لكن لا عذر بعد اليوم.. وقد حان الوقت لأن تبرز السلطات عينها الحمراء وتصدح آمرة بأن ليس من حق أي مواطن مهما امتلك من قوة وبأس أن يسعى لاستجلاء أخيه المواطن أو أن يمد يده عليه مهما كانت المبررات، وأن أي نزاع محل حلِّه المحاكم ومنابر القضاء، لا ميادين الأسواق وساحات الأحياء، وإلا فستصبح الأجهزة الحكومية مجرد دُمى صورية لا إرادة لها ولا إدارة.

إن تغاضي الدولة عما كان يجري في بورتسودان وما سبقتها من أحداث حلفا وغيرهما، وما تخللها من ترك الحبل على غارب زعماء القبائل ومراهقيها السذج في حسم الخلافات البينية المفتعلة بـ«البونية»؛ سوف يجعل الأزمة تعظم وتستفحل، مما سيجعل كبح جماحها أمرًا مستحيلًا، وساعتئذ فقط يعض الجميع على أصابع الندم ولات حين مندم.

قد تختلف النزاعات القبلية الدائرة في بورتسودان وحلفا

والقضـارف نوعًـا مـا عـن تلـك

الـتي تحـدث في دارفـور مـن حيـث الفاعـل، ولكـن تتطابـق الأفعـال والدوافـع ومحركوهـا والأسـباب الـتي تتمثـل في العنصريـة المبطنـة تجـاه الغـير واحتقـاره بسـبب اختلافـه العـرقي أو الديـني.. في ظاهـرة تجسـد مقولـة الفيلسـوف الألمـاني آرثـر شـوبنهاور: «كل أمـة تسـخر مـن الأمـم الأخـرى... وكلهـم عـلى حـق».

لذلـك كان لزامًـا عـلى الجهـات المختصـة اتخـاذ قـرارات فوريـة لحسـم أي مظهـر مـن مظاهـر الـنزاع القبـلي، وإنشـاء محاكـم ميدانيـة لمحاكمـة مثـيري النعـرات العنصريـة الـتي مـن شـأنها إشـعال فتيـل العـراك بـين القبائـل، وتجريـم كل مـن يتـورط في جريمـة إثـارة الكراهيـة ومحاسـبته، بجانـب تسـيير حمـلات مكثفـة لجمـع السـلاح بصـورة أكـثر جديـة وصرامـة حـتى لا تبقـى قطعـة واحـدة خـارج الأطـر الرسـمية.

# هانت الحكومة فقويت القبيلة

تقـوم القبليـة أساسًـا عـلى التضامـن والتنافـس وفـق مبـدأ التعـارض التكامـلي «أنـا ضـد أخـي، وأنـا وأخـي ضـد أبنـاء عمنا، ونحـن وأبنـاء عمنـا ضـد أهـل الأرض أجمعـين». وهـذه الفـوضى المنظمـة شـيئًا مـا والناتجـة عـن هـذه الآليـة المزدوجـة في الانفصـال والاتصـال كانـت دائمًا تنعـت في الوظائفيـة كخصيصة جوهريـة للمجتمعـات القبليـة «الانقسـامية» والـتي توصـف أحيانًـا بأنهـا «بـلا زعيـم» أو «بـلا دولـة». والـصراع الفـردي «الثـأر» أو الجماعـي «الحـرب بـين القبائـل» هـو الوسـيلة الأساسـية وربمـا الوحيـدة الـتي كانـت هـذه المجتمعـات تحـل بهـا التناقضـات الـتي تنشـب بـين أفرادهـا أو جماعاتهـا.

ولأن السـودان كغـيره مـن الـدول القبليـة، فعـادة مـا تتمحـور أسـباب الـصراع القبـلي المسـلح فيـه حـول أحـد الأمـور الثلاثـة:

إمـا بأوامـر وتوجيهـات مبـاشرة مـن قبـل بعـض المسـؤولين الحكوميـين الصاعديـن إلى الهـرم المناصـبي عـلى أكتـاف

قبائلهـم وجماجمهـا مسـتغلين نفوذهـم السـلطوي في تركيـع بعـض القبائـل المحيطـة المختلفـة عنهـم في اللـون أو اللسـان أو غـيره عـن طريـق انـتزاع أموالهـم وممتلكاتهـم، وحـتى أراضيهـم الزراعيـة.

وهـذا يرجـع في ذاتـه لأحـد السـببين: إمـا انتقامًـا مـن هـذه القبيلـة بسـبب خصومـة سـابقة كامتنـاع أفرادهـا في يـوم مـا عـن دعـم المسـؤول المعـني في محطـة مـن محطـات قذارتـه، أو طمعًـا في أرضهـا وممتلكاتهـا وأسـباب أخـرى يعلمهـا «جوكيـة» النزاعـات في الأنظمـة الشـمولية المتعاقبـة تحـت ذرائـع ومبررات مختلفـة.

أمـا الأمـر الثـاني: فهـو الـصراع حـول المراعـي ومـوارد الميـاه، وهـو أمـر شـائع وسـط جميـع قبائـل السـودان الزراعيـة والرعوية منـذ القـدم، تقـل أو تكـثر حسـب وعـي أفـراد القبيلـة وقادتهـا.

والثالـث مـن دوافـع اشـتعال نـيران الحـرب بـين القبائـل في السـودان: هـي

السرقـة والنهـب المسـلح، وهـو أخطـر أنـواع الدوافـع وأكثرهـا انتشـارًا وأبشـعها نتاجًـا.

وذلـك لأن اللصـوص الجنـاة عـادة مـا يتسـللون إلى إحـدى المناطـق والفرقـان الآمنـة فينهبـون ويَقْتِلـــونَ، وأحيانًـا يتصـدى لهـم أربـاب الأمـلاك فيُقْتلـــون، ومـن ثـم يسـترون خلـف قبائلهـم، لتعقـب ذلـك ردود أفعـال أكـثر قسـاوة مـن

قبل الكيانات القبلية الحاضنة لكل من المعتدي والمعتدى عليه، مما ينمي عوامل الخطورة بين الطرفين، وتدور عجلة الثأرات التي تحل بالدمار على جميع منتسبي القبيلتين، ويقع فأس الخراب على رؤوس الأبرياء فتُيَتَّم أطفالٌ وتُثْكَل أمَّهات وتُرَمَّل نساء ولم يسلمن في أحايين كثيرة مِن الاغتصاب.

ويقتل ويصاب ويجنن العشرات أو المئات من الطرفين بسبب لص حقير لا يساوي ما كان ينوي انتهابه ظفرًا من أظافر من ماتوا من الطرفين.

لكن المحزن حقًّا أن كل تلك البشاعات تواجه بصمت مطبق من قبل السلطات التي تتثاقل كعادتها في فض مثل تلك النزاعات ومحاسبة الجناة وزعماء تلك الكيانات حسبما تقتضيها مصلحة الحفاظ على أرواح المواطن وممتلكاتهم كحق يكفله له الشرع والدستور.

وهو ما شجع اللصوص على التماضي في ارتكاب ذات الجرائم بصور أكثر بشاعة بلا حسيب في ظل انتشار واسع للسلاح بأيدي المواطنين.

وما وقائع التقتيل التي وقعت بين قبيلتي الرزيقات والفلاتة حتى مطلع يناير٢٠٢١ وقبله بين قبلتي المساليت والفلاتة في جنوب دارفور، وقبلهما بين قبيلتي البني عامر والبجا وقبيلتي النوبة والبني عامر في كسلا وبورتسودان، إلا نموذج

قليـل بـين المئـين مـن النزاعـات القبليـة الفارغـة.

فـأي بشـاعة وقسـاوة أوصلـت مجتمعاتنـا إلى هـذا الحـد مـن استسـهال الأرواح واسـترخاصها!

ولكَـم تمـنى المواطـن مـن الحكومـة الانتقاليـة أن تريـه نمطًـا مغايـرًا لمـا اعتدنـاه في عهـد النظامـين السـابقين: المؤتمـر الوطـني، وحـزب الأمـة اللذيـن يعتـبران أفشـل نظامـين في إدارة فـض النزاعـات القبليـة في تاريـخ السـودان القديـم والحديـث إذ إن احتـكار شرعيـة ممارسـة العنـف الجسـدي تعتـبر مـن أهـم مهامـات دوائـر سـلطة الدولـة.. لا القبيلـة.

# مجـزرة فَتابَرْنو..
# لقد حدث ما كان متَوَقَّعًا له الحدوث

كنـت قـد تأنيـت قليـلًا قبـل أن أختـط هـذه السـطور، ريثمـا أسـمع رد فعـل الجهـات المسـؤولة الـتي عودتنـا عـلى الظهـور الدراماتيـكي والاكتفـاء بإطـلاق وعـود جوفـاء تسـبقها بيانـات شجب وإدانـة بأفخـم العبـارات مـع التأكيـد عـلى تشـكيل لجنة «لتفطيـس» الحقائـق الـتي يعـرف الجميـع فاعلهـا والمفعـول بـه والمفعـول مـن أجلـه والمفعـول معـه وظـرف مـكان الفعـل وزمانـه.. ولـو مـن بـاب «حـدث مـا حـدث»

لكـن يبـدو أن هـذه المـرة قـد خابـت ظنـوني وأتـت التوقعـات دون المسـتوى حـتى عـلى الصعيـد الإعلامـي المتمثلـة في التلفزيـون القومـي والصحـف المحليـة الصـادرة صبـاح اليـوم الثلاثـاء 14 يوليـو ٢٠٢٠ الـتي لـم أتحصـل منهـا عـلى سـوى الآتي:

- حكومة شمال دارفور تعلن حالة الطوارئ بالولاية.

- ضبـط محطـتي توليـد «كهربـاء» بمخـازن قيـادي بالنظـام

البائـد.

- أطـراف سـد «النهضـة» ترفـع تقريـرًا نهائيًّـا للاتحـاد الإفريقـي اليوم.

- تسجيل ٦٧ حالة إصابة جديدة بفيروس كورونا و٧ وفيات.

- الجبهة الثورية تعلن رفضها انفراد حمدوك بتعيين الولاة.

- البروفيسـور البخـاري الجعـلي يكتـب: مولانـا الميرغـني: أليـس مـن بينكـم مـن يتذكـر أو يفكـر؟

- الصحـة: لـم نسـتلم سـوى ٢،٥٪ مـن أمـوال الهبـات والمنـح والدعومـات لمكافحـة كورونـا.

وهلم جرا ...

بجانـب بيـان خجـول صـادر مـن حكومـة ولايـة شـمال دارفـور يسـتميت في محاولـة تبريـر مـا حـدث دون أن يتطـرق إلى القتـلى الذيـن تجـاوزوا التسـعة أشـخاص بجانـب ١٤ إصابـة في فـض اعتصـام مدينـة «فتابرنـو» في شـمال دارفـور نهـار الاثنـين ١٣ يوليـو 2020 إضافـة إلى تسـع إصابـات في كتـم مسـاء الأحـد ١٢ يوليـو ونهـب عـدد غـير معلـوم مـن الممتلـكات وحـرق سـوق فتابرنـو بالكامـل مـن قبـل ميليشـيات الدعـم السريـع.

القـارئ الحصيـف لواقـع مشـكل السـودان في دارفـور يـدرك أن مـا حـدث مـن حـرق وتقتيـل في سـاحة اعتصـام «فتابرنـو»

أمـر متوقـع حدوثـه في ظـل تواطـؤ الحكومـة الانتقاليـة مـع ميليشـيات الجنجويـد الـتي مـا انفكـت تسـتخدم سـلاح الدولـة في الفتـك بالمواطنـين العـزل، دون أن تبـدي الحكومـة نياتهـا عـن تجريدهـا مـن تلـك الأسـلحة والترسـانات الحربيـة الضخمـة والمركبـات القتاليـة، أو دمجهـا في القـوات النظاميـة، مـا دامـت لـم تشـكل خطـرًا عليهـا في العاصمـة.

ومـا صمـت الحكومـة المركزيـة والأجسـام الثوريـة «الصوريـة» حيـال مـا جـرى إلا ترجمـة واضحـة لحقيقـة أن الـدم المسـكوب في الأصقـاع البعيـدة عـن العاصمـة لا تعنيهـا في شيء.

لعـلي قـد أشرت في مقـال صحفـي إلى أن مواطـني «نيرتـتي» و«كبكابيـة» و«كتـم» و«فتابرنـو» مـا خرجـوا إلى سـاحات الاعتصـام إلا لإسـماع المجلـس السـيادي ومجلـس الـوزراء أنينهـم ومعاناتهـم مـن فعـل هجمـات المسـتوطنين الجـدد من ميليشـيات الجنجويـد الـتي مـا برحـت تقـف حائلـة بينهـم وبـين ممارسـة أعمالهـم الزراعيـة في مواسـم الخريـف، كونـه الموسـم الوحيـد الـذي يعتمـد عليـه سـكان تلـك البقـاع بمـا يجـود بـه مـن محاصيـل زراعيـة.

إن اسـتمرارية انتشـار السـلاح في يـد أولئـك القتلـة، سيكـون لـه العواقـب الوخيمـة الـتي سـتلقي بظلالهـا عـلى أي اتفاقيـة أو صفقـات سياسـية تـبرم بـين الحكومـة الانتقاليـة وحلفائهـا، وسـتضع اسـتقرار السـودان في مهـب الريـح.

لأن أفـراد مريليشـيات الجنجويـد وحسـبما تلقّوهـا مـن وعـود في عهـد المخلـوع عمـر البشـير، يؤمنـون بـأن جميـع أراضي دارفـور وحواكيرهـا قـد باتـت ملـكًا لهـم كمكافـأة سـخية مـن الحكومـة السـابقة نظـير وقفتهـم مـع القـوات المسـلحة في «جهـاد» المغضـوب عليهـم مـن مواطـني قـرى دارفـور وأريافهـا، باعتبارهـا البـؤر المغذيـة للحـركات المسـلحة.

وهـو مـا دفـع أغلبهـم إلى اقتسـام المحصـول الزراعـي مناصفـة مـع المزارعـين أصحـاب الأرض كـشرط أسـاسي لاسـتزراع أراضيهـم، وإلا فالمـوت لمـن يطـأ تـراب مزرعتـه. وهـذا مـا لـم يفطـن لـه أفنديـة الحكومـة الانتقاليـة.

وبناء عليه حدث ما كان متوقعًا له الحدوث.

# حتى لا يصبح كل البلد دارفور

يخطئ جل المحللين سهوًا أو عمدًا فيقعون في فخ وصف المذابح التي ضد النازحين العزل بالنزاع القبلي بين اثنتين من قبائل الجنينة، مستندين إلى رواية دهس إحدى النازحات التي أعقبه رد فعل من ذوي القتيلة الذي كانت نتيجته مقتل أحد الشباب طعنًا، ليأتي الرد المضاد، وهلم جرا.

أشلاء مبعثرة هنا وهناك، أطفال ونساء وشيوخ يجوبون الشوارع هربًا من الموت، بحثًا عن مأوى يقيهم وابل الرصاص الحي، جثث آدمية وأخرى لحيوانات متفحمة، مناظر دامية تنفطر لها القلوب كمدًا وحسرة، خلفتها هجمات ميليشيات مسلحة بمختلف أنواع الترسانات الحربية الثقيلة والخفيفة تقلها سيارات ومقاتلات مملوكة أساسًا للقوات المسلحة ووزارة الدفاع المنوطة بها حماية مواطنيها على اختلاف انتماءاتهم الإثنية والجهوية والدينية.

لكن القصة -يا عزيزي القارئ- أعمق من ذلك بكثير، أرادها

صانعوها فقط أن تظهر بثوب القبلية.

فالقراءة المتأنية لما جرى في الجنينة في مطلع يناير ٢٠٢٠ وما قبلها وما تلاها، يظهر بلا التباس أن جهات رفيعة ذات تأثير كبير كانت ولا زالت متواطئة مع هذه الجرائم البشعة، سيما وأن هذه المذبحة التي جاءت متزامنة مع آخر جلسات أول محاكمة لها الصلة المباشرة بجرائم التقتيل المنظم.. وقد سبقتها أحداث مماثلة كالانفجار الذي دمر مصنع سالومي للسيراميك بالكامل وأودى بحياة أكثر من ٢٣ شخصًا في الثالث من ديسمبر ٢٠١٩ حسبما أفاد به بيان صادر من مجلس الوزراء، وحريق الورشة المركزية لجهاز الأمن في ١٢ ديسمبر كانون الأول 2019، وقبلها حادثة بورتسودان ومذابح في أماكن متفرقة في دارفور.. كل هذه القرائن توحي بأن ما يجري أمر مخطط له بخبث لاستمرار نزيف الدم في دارفور وبعض أقاليم السودان، بغية إفراغ مساعي الثورة السودانية من مضامينها، وإيهام العامة بأن الأزمة الجارية في دارفور قبلية، ولا علاقة لها بالنظام السابق أو الحالي، مما سيترتب عليه مواقف أخرى ذات طابع عدلي، قد يستند إليها الرافضون لعملية تسليم البشير ورفاقه الخمسين إلى المحكمة الجنائية الدولية.

إن بقاء قطعة سلاح واحدة في أيدي الجنجويد، يهدد بنسف أي اتفاق يبرم مهما كانت الضمانات والوساطات الإقليمية والدولية، ناهيك عن أن تحتفظ جماعات قبلية بمئاتٍ من

السيارات العسكرية والقوة الحربية التي تفوق مقدرات القوات النظامية نفسها، لأمر ينذر باستمرار سكب الدماء في جميع أنحاء السودان، وما دارفور إلا بداية لنقطة الصفر لإحراق ما تبقى من السودان إذا لم تتم إعادة النظر حول وضع حد لهذه الميليشيات في أقرب وقت ممكن.

إذ لا يمكن بأي حال أن يتحقق مشروع التغيير والعدالة في السودان مع الاحتفاظ بذات الآلة التي صنعها النظام البائد واستعان بها طيلة فترة حكمه على إبادة شعوب بعينها.

فحتى لا يصبح كل البلد دارفور احتراقًا بنيران الميليشيات وقتلًا وترويعًا وتشريدًا وغرقًا في برك الدماء، فعلى المجلس السيادي ومجلس الوزراء إصدار قرار فوري بتجريد سلاح جميع الميليشيات أو التعجيل في دمجها في القوات النظامية حسبما نصت عليه اتفاقية السلام في جوبا، ووضع قانون رادع خاص بالجرائم التي ترتكب بحق المواطنين، وتكوين قوات ودوريات حراسة نظامية لمعسكرات النزوح ريثما تحل مشكلة النزوح بشكل كامل.. لا سيما بعد انتهاء فترة قوات حفظ السلام وشد رحالها في ١٣ديسمبر ٢٠٢٠.

إذ ليس من المنطقي ألا تكون ثمة قوات نظامية قادرة على الحيلولة دون حدوث ما يحدث كل حين وحين.

وحتى لا يصبح كل البلد دارفور، على الحكومة الانتقالية احترام دماء الشعب السوداني في دارفور، وتغيير طريقة

تعاطيها البارد والبطيء جدًّا مع مثل هذه الأحداث، إذ لو كانت هذه المجازر في أماكن أخرى قريبة من المركز لاختلفت الحالة تمامًا.

وحتى لا يصبح كل البلد دارفور، على لجان المقاومة في جميع ربوع البلاد اليقظة لرصد كل من له علاقة مع النظام المتواري وإحباط مخططهم في مهدها.

وحتى لا يصبح كل البلد دارفور، على عقلاء الكيانات الاجتماعية وحكمائها القيام بدورهم الفعال لكبح جماح المتفلتين من أبنائها ونشر ثقافة السلام وتقبل الآخر والاحتكام إلى صوت القانون وعدم اللجوء إلى استرداد الحقوق بالقوة مهما كانت الدوافع والمبررات.

وإلا فلن تتوقف تلك الحرائق التي ما فتئت ألسنة لهبها تتمدد حتى تعم -لا قدر الله- جميع بقاع البلاد.

وحينها سوف يصبح كل البلد دارفور بالمعنى الدامي.

وسيصبح كل البلد معسكر كرندق، وكل البلد جبل مرة، وكل البلد الفاشر، وكل البلد الجنينة.

الفصل الثامن

# «للنازحين أنين»

# ما وراء زيارة الجزار لمخيمات النزوح والدمار

في الوقت الذي كان يتأهب نازحو مخيم «كلمة» للنازحين لإحياء الذكرى التاسعة لحمامات الدم التي شهدها المخيم في ٢٥ أغسطس من العام ٢٠٠٨، والتي جزّت فيها ميليشيات البشير رؤوس ٣٦ من نازحي معسكر كلمة وجرحت ١٢٦ آخرين، جلّهم نساء وأطفال ومسنون تنفيذًا لأوامر الوالي الأسبق لولاية جنوب دارفور علي محمود عبد الرسول، اعتزم الرئيس البشير القيام بجولة إلى ولايات دارفور في أيلول/سبتمبر ٢٠١٧ لافتتاح بعض المنشآت، حسبما أوردتها وسائل إعلام حكومية.

لكن يبدو أن أحد مستشاريه قد أشار عليه بإدراج «معسكر كلمة» للنازحين ضمن قائمة جدول محطات زيارته فما هي إلا ساعات حتى أُعلِن عن وصول طائرة الرئيس للأراضي التي ما انفك يمارس فيها هواياته بإهلاك حرثها ونسلها، وسط تساؤلات عمت أطيافًا واسعة من المتابعين لمجريات الأمور حول فحوى الغرض

مـن زيـارة عمـر البشـير لمعسـكرات كلمـة وقريضـة الـتي تحـوي بأحشـائها بقايـا أبشـع مجـازر نظامـه المسـتذئب.

ومـاذا كانـت بجعبـة هـذا الجـنرال ليقدمـه لضحايـاه بمعسـكرات الـنزوح في دارفـور بعـد كل هـذه السـنوات الدامية؟

هـل كان ينـوي بتلـك الزيـارة مقابلـة النازحـين لتقديـم التعـازي في «العـشرة آلاف مواطـن بـس» الذيـن اعـترف هـو بإبادتهـم، وبالتـالي طلـب العفـو والصفـح ممـن تبقـى مـن ضحايـاه شـبه الأحيـاء مـن الجرحـى والجوعـى والمغتصبـات والمغتصبـين والمشرديـن تحـت كبـاري المـدن وأرصفتهـا عمـا ارتكبتـه قواتـه وميليشـياته بحقهـم، ويتعهـد لهـم بإعـادة كرامتهـم وممتلكاتهـم وقراهـم الـتي دمـرت وتعويضهـم سـنين البـؤس والشـقاء الـتي قاسـوها بالمعسكر؟!

لكـن خُيّـب ظـن المتسـائلين حـين انجـلى لهـم لاحقًـا كُنـه الغـرض مـن الزيـارة المتمثلـة في رغبـة البشـير في أن يظهـر للـرأي العـام العالمـي بأنـه ورغـم عزلتـه الدوليـة لا يـزال يتمتـع بحـب واسـع وسـط شـعبه، بدليـل أنـه اسـتطاع أن يقـدل بكلتـا سـاقيه داخـل معسـكر كلمـة، أكـبر مخيـم للنازحـين بدارفـور، ويتـوكأ عـلى تـراب «قريضـة» بعصـاه الـتي يحملهـا دومًـا ليهـز بهـا عـلى شـعبه ولـه فيهـا مـآرب أخـرى.

بيـد أن معظـم المتابعـين، واسـتنادًا إلى الخـبرة الواسـعة الـتي اكتسـبوها عـن أسـاليب نظـام البشـير في الالتفـاف عـلى الحقائـق ولَيِّ أعناقهـا، إضافـة إلى ضرورة المرحلـة الـتي تحتـم عليـه فعـل المسـتحيل لرفـع العقوبـات الأمريكيـة الـتي تقـض

مضاجعـه، قـد توصلـوا إلى أن الغـرض الأسـاسي مـن تلـك الزيـارة الاسـتعراضية يكمـن في خلـق ضوضـاء صاخبـة للفـت أنظـار إمبراطوريـة البيـت الأبيـض، بغيـة تغيـير وجهـة نظرهـا تجـاه العقوبـات الأمريكيـة الـتي يتضمـن رفعهـا تراخـي مجلـس الأمـن والمحكمـة الجنائيـة الدوليـة عـن ملاحقـة البشـير ومـن معـه مـن مجرمـي حـرب دارفـور ولـو لحـين. لكـن إرادة نازحـي معسـكر كلمـة حالـت دون ذلـك، فاضطـر البشـير لاختصـار زيارتـه إلى رئاسـة محليـة عوضًـا عـن معسـكر كلمـة الـذي عـاد عنـه مذمومًـا مدحـورًا.

# مجزرة مستري والصمت المريب

لا أشك أبدًا في أن هذه المجازر التي انطلقت تحصد عشرات الأرواح بصورة منتظمة وتجتاح المناطق قرية إثر أخرى، ما هي إلا امتداد لمشروع الإبادة الجماعية الذي لم يتوقف منذ أكثر من عقد ونصف في قرى دارفور بذات القادة والقواعد والسواعد والسلاح، تحت ذرائع متعددة، فتارة تغير تلك القوات على قرى آمنة فتعيث فيها سلبًا وتقتيلًا واغتصابًا بحجة أنها تابعة لحركات متمردة، وأحيانًا أخرى باسم النزاع القبلي، والنزاع حول ملكية الأراضي.. وكلها مجرد وسائل للعزف على دفوف مواصلة مشروع الإبادة الجماعية المخطط له بإحكام.

إن صمت الجهات المسؤولة عن تلك الفظائع التي تجاوزت حد العفوية واكتفاءها ببيانات تنديد واستنكار، لأمر يدعو إلى الحيرة والتكهن بمشاركتها في كل ما جرى ويجري هناك، سيما وأن الفترة الزمنية بين حادثة «فتا برنو وقريضة وحي الجبل الجنينة والبيضة ومستري» التي وقعت في يوليو٢٠٢٠

لـم تتجـاوز العـشرة أيـام، بـل جـاءت متواتـرة كحبـات المطـر ولـم تتدخـل الجهـات المسـؤولة إلا بعـد توقـف أزيـز المدافـع وقعقعـات الرصـاص. وهـو مـا يثـير التسـاؤلات حـول مـا دور الحكومـة الجديـدة وشركائهـا إزاء مـا يجـري؟

ألـم تكـن ميليشـيات الجنجويـد الـتي تفعـل تلـك الأفاعيـل هـي ذاتهـا قـوات الدعـم السريـع التابعـة للقـوات المسـلحة الـتي يدعـي قادتهـا بأنهـم شركاء في نجـاح الثـورة وحماتهـا؟

وإذا لـم يكـن ذلـك كذلـك، فمـا المانـع مـن الحيلولـة دون حـدوث مـا يحـدث؟

وإذا كان مـن يقومـون بذلـك هـم أعـداء السـلام مـن فلـول النظـام البائـد، فكـم يتطلـب منهـم الصـبر عـلى أولئـك «المندسـين» والمتفلتـين قبـل أن تـنزل عليهـم هدايـة مـن الله أو عـذاب مـن عنـده؟

وكـم تحتـاج فـترة هدايتهـم مـن الأرواح لتكـون مهـرًا للحفـاظ عـلى هـذا السـلام المنشـود؟

ومـا دور النشـطاء السياسـيين والإعلاميـين والقانونيـين والأحـزاب والحـركات المسـلحة ممـا يجـري غـير التنديـد؟

مـع يقيـني المؤكـد أن مجـزرة مسـتري الـتي خلفـت ٢٣٠ قتيـلًا وجريحًـا نهـار السـبت ٢٥ يوليـو2020 لـم تكـن الأخـيرة في ظـل هـذا التواطـؤ الحكومـي المريـب.

# محاولات لخوشقة إرادة النازحين

بـات مـن الأمـور المضحـكات حـتى البـكاء، أن يطـل عـلى السـاحة كل حـين وآخـر بعـض ممـن أدمنـوا لعـق دمـاء الشـعب السـوداني في دارفـور بثـوب الحادبـين عـلى تضميـد جراحـات مـن تبقـى منهـم في أزقـة مخيمـات الـنزوح الـتي بلـغ عددهـا حـتى الآن ١٧٤ معسـكرًا للـنزوح.

وكأن الفاعـل جـان مـارد خـرج فجـأة مـن تحـت الأرض السـابعة فخـرب، ونهـب، وسـلب، واغتصـب وأحـرق، وأبـاد، قبـل أن يفلـت ويفـر عائـدًا إلى قـاع الجحيـم!

ومـا فـتئ مهندسـو الإبـادة الجماعيـة يبحثـون عـن مخـرج لكبيرهـم الـذي باتـت تلاحقـه العدالـة الدوليـة لمـا يقـارب العقـد مـن الزمـن جـراء مـا ارتكبـه مـن جرائـم حـرب ضـد المدنيـين العـزل في دارفـور، فعمـدوا عـلى محاولـة وأد كل مـا مـن شـأنه إظهـار آثـار المحـارق والمذابح بتقسـيم تلـك الأراضي المحروقـة المهجـرة أهلهـا وتمليكهـا لقبائـل رعويـة وافـدة مـن

دول الجـوار، لتقـوم تلـك الأجسـام الغريبـة بدورهـا بتغيـير أسـماء تلـك الحواكـير والقـرى المحروقـة إلى أسـماء تتمـاشى مـع توجهاتهـم بغيـة دفـن الأسـماء القديمـة مـع أصحابهـا وإلى الأبـد.

إذا مـا أعـدتَ النظـر -عزيزي القـارئ- إلى عملية الإحـلال والإبدال الـذي تـم هنـاك، يتضـح جليًّـا أن تسـليم تلـك الأراضي جـاء وفـاءً لعهـد قُطـع سـلفًا مـع هـذه الجهـات مـن جهـة، وطمـرًا للأدلـة الـتي سـتعرض صناديـد المؤتمـر الوطـني الوالغـين في دمـاء أهـالي تلـك القـرى إلى المحاسـبة مـن جهـة أخـرى.

ولـم يكـن ذلـك بمنـأى عـن عمليـات إخفـاء المقابـر الجماعيـة المكتشـفة بإخـراج رفـات الضحايـا وحرقهـا.

وقبلهـا طـرد بعـض مـن المنظمـات الدوليـة العاملـة في مجـال حقـوق الإنسـان لإرغـام النازحـين إلى الهـرب جوعًـا مـن مخيمات الـنزوح، ظنًّـا منهـم أنهـم بذلـك قـد أخفـوا كل الأدلـة الـتي مـن شـأنها توريـط رئيسـهم السـفاح وأمـراء حربـه، لكـن لات حـين منـاص.

وبمـا أن مخيمـات النازحـين المتناثـرة عـلى سـوح مـدن دارفـور وجبـال النوبـة والنيـل الأزرق وأطرافهـا المختلفـة قـد أضحـت معالـم بـارزة لا تخطئهـا أعـين الـزوار مـن المراقبـين الدوليـين، والأقمـار الصناعيـة السـابحة في فضـاءات تلـك البقـاع، وحـتى الـزوار المناصريـن والداعمـين للنظـام مـن بعـض دول المحيـط

الإقليمي، كان لزامًا على تلك العصابة -حكومة الإنقاذ- محو تلكم المعالم المحرجة والمثيرة لسخط الدول الآبهة لحقوق الإنسان، فتولدت فكرة إزالتها وطمسها بأي ثمن!

منذ انطلاق الجولة قبل الأخيرة لمفاوضات الدوحة لسلام دارفور التي تمخضت عنها اتفاقية الدوحة، أقدمت حكومة البشير على استصدار قرار إزالة معسكرات النازحين عبر بعض ممن أسمتهم السلطات الحكومية «أعيان نازحي دارفور» الذين فرضتهم على النازحين وأحضرتهم للمشاركة في جميع مراحل التفاوض تحت مظلة «منظمات المجتمع المدني ونازحي دارفور» بالرغم من بيانات الشجب والاستنكار الصادرة من قبل هيئة النازحين واللاجئين -الممثل الشرعي لنازحي دارفور- وقتذاك، إضافة إلى وقفات النازحين الاحتجاجية التي كان لها دور كبير في تقزيم تقدم تلك المساعي، فلم تحرز أي تقدم في هذا الصدد، فاضطرت السلطات إلى إيكال الأمر برمته إلى رئيس السلطة الانتقالية آنذاك الدكتور التجاني سيسي الذي صرح في أكثر من موضع بضرورة تفكيك معسكرات النازحين، وتبعتها تصريحات ولاة ولايات دارفور، وبعض منسوبي السلطة الانتقالية، وما مخططات والي شمال دارفور وحميدتي بخصوص معسكر زمزم من ذلك ببعيد.

فأن يسعى أولئك السادة لوضع حد لمعاناة أهلهم النازحين أمر محمود، إلا أنه من الوقاحة بمكان أن يُلزَم

النازحـون بشـد رحالهـم عـن معسـكرات الـنزوح -ذات الأمـان النسـبي- دون أن يتطـرق أولئـك الآمـرون إلى البدائـل والخيـارات المتاحـة بعـد تهجيرهـم وتشريدهـم مـرة أخـرى!

# رسوب أممي فاضح في ملف النازحين

أكتفي في هذا الصدد بما كتبته الناطق الرسمي الأسبق لبعثة الاتحاد الإفريقي والأمم المتحدة بدارفور الكاتبة والإعلامية المغربية عائشة البصري في مقال نُشر على موقع العربي الجديد في عدده الصادر في ١٤ يناير ٢٠٢١ بعنوان:

«مجلس الأمن ودارفور.. مسرحية في خمسة فصول» أتركك معها -عزيزي القارئ- دون أي إضافات أو تعديل:

«لم يُصغِ مجلس الأمن الدولي لطلب السودانيين المشرّدين في مخيمات النزوح، بإبقاء بعثة الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي في إقليم دارفور (يوناميد)، إلى حين يستتب الأمن ويتحول اتفاق جوبا للسلام من حبر على ورق إلى حقيقة على الأرض. قرّر بالإجماع أنه حان وقت رحيل حفظة السلام، تاركين وراءهم أزيد من مليوني نازح، لا يجرؤون على العودة إلى ديارهم وأراضيهم، وقد استولى عليها مستوطنون مدجّجون بالسلاح. في ظاهر الأمر، يبدو لمتتبع

الشأن السوداني أن مجلس الأمن قد أتمّ مهمته، ولم يدّخر جهدًا لحماية المدنيين في هذا الإقليم، منذ دخلت الحركات المتمرّدة في مواجهة مسلحة مع نظام الرئيس السابق، عمر البشير، في ربيع ٢٠٠٣. لقد اتّخذ بالفعل عدة خطوات، واعتمد حزمة قرارات، اعتبرها بعضهم جادّة، في حين أن كل واحد منها لم يكن في واقع الأمر إلا فصلًا من الفصول الخمسة لمسرحية دامت ستة عشر عامًا.

انطلقت لعبة الخداع الأممي في صيف العام ٢٠٠٤، أي بعد أزيد من سنةٍ من هجوم النظام على القبائل غير العربية، وقَصْفِه مئات القرى في شمال دارفور، وتطويقها بدباباته واستباحة دم أهلها وعرضهم وأرضهم من طرف جيشٍ بلا رحمة، شكّلت ميليشيات الجنجويد العربية رأس حربته. اضطر المجلس إلى الاستجابة لضغط تحالف «أنقذوا دارفور» الأمريكي، الذي ضم أكثر من ١٩٠ منظمة دينية وسياسية وحقوقية، خاضت حملة مناصَرة لم تشهد أمريكا لها مثيلًا منذ حرب فيتنام. لم يكن في وسع إدارة الرئيس جورج بوش الابن آنذاك تجاهُل هذه الحملة، بعد أن انضم إليها مشاهير هوليوود.

مجلس الأمن يسند مهمة الحماية في دارفور لقواتٍ، إن قُدّر لها أن تنتشر، سيشترك فيها من قتل واعتدى على المدنيين

كان الخمس الكبار في مجلس الأمن وقتها متّحدين، إلى حد كبير، حول ملف السودان، وداعمين حكم البشير

المتفـاني في خدمتهـم عـلى حسـاب الشـعب السـوداني. كان يسـهل اسـتثمارات الصـين واسـتغلالها نفـط السـودان ومـوارده، ويفتـح لروسـيا الأبـواب الموصـدة ليصبـح السـودان بوابتهـا إلى أفريقيـا، ويخـدم أمريـكا وحلفاءهـا الأوروبيـين في «الحـرب ضـد الإرهـاب». اسـتفاد البشـير مـن تزامـن بدايـة حروبـه في دارفـور مـع محادثـات السـلام بـين الحكومـة والحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان، منـذ انطلاقتهـا في صيـف 2002 إلى حـين انتهائهـا باتفـاق نيفاشـا للسـلام في يناير/كانـون الثـاني 2005. كانـت أمريكا تحـابي النظـام وتغازلـه، كي تضمـن تسـهيله انفصـال جنـوب السـودان في العـام ٢٠١١، وإن كان ذلـك عـلى حسـاب دارفـور.

كل هـذه الخدمـات السـديدة وضعـت الخرطـوم تحـت حمايـة الخمـس الكبـار الذيـن سـيوهمون العالـم أنهـم يقفـون في وجـه نظـام البشـير، في حـين أنهـم كانـوا يسـاعدونه عـلى البقـاء، وارتـكاب مزيـد مـن الفظائـع والإفـلات مـن العقـاب. تبـدأ المسرحيـة في يوليو/تمـوز ٢٠٠٤ بتبـنّي مجلـس الأمـن القـرار ١٥٥٦ الـذي اعتـبر ميليشـيات الجنجويـد «طرفًـا» في الـنزاع، وكأنهـا كيـان قائـم بذاتـه، لا صلـة لـه بالنظـام الـذي جيّشـها وسـلّحها ودفـع رواتبهـا وأمرهـا بقتـل المدنيـين والاسـتيلاء عـلى أراضيهـم بعـد تهجيرهـم. نسـب المجلـس لـ«الجنجويـد» كل الجرائم من «هجمـات عشـوائية ضـد المدنيـين، والاغتصـاب، والتشريـد القسري، وأعمـال العنـف، خاصـة مـا ينطـوي منهـا عـلى بُعـد عـرقي». تجاهـل الخمـس الكبـار أن هـذه المريليشـيات جـزء مـن جيـش عرمـرم، يضـم أيضًـا القـوات المسـلحة والشرطـة وجهـاز

الأمـن والمخابـرات. وحسـب توزيـع محكـم لـلأدوار، كان هجوم هـذه القـوات ينطلـق غالبًـا بقصـف جـوي يسـتهدف القبائـل غـير العربيـة، وتدخـل بعدهـا مـسرح الجريمـة القـوات البرّيـة، بجيشـها وشرطتهـا وأمنهـا وجنجويدهـا، يقتلـون وينهبـون ويحرقـون ويغتصبـون جنبًـا إلى جنـب، ثـم ينسـحبون جميعًـا في عرباتهـم ومدرّعاتهـم وخيلهـم وجمالهـم، لينسـبوا بعدهـا جرائمهـم لعنـاصر «متفلتـة».

لـم يتخـذ مجلـس الأمـن أيـة إجـراءات عقابيـة ضـد الحكومـة السـودانية، ناهيـك عـن روسـيا والصـين، واكتفـى بمنـع اعتمـاد تقاريـر الخـبراء، والتكتـم عـلى هـذه الحقائـق

غـض القـرار ١٥٥٦ الطّـرف عـن كل هـذه الحقائـق المؤكـدة، وطالـب مجلـس الأمـن الحكومـة السـودانية بـنزع سـلاح الجنجويـد، واعتقـال قادتهـم الذيـن «حرّضـوا» عـلى ارتـكاب الفظائـع. بهـذه السرديـة الكاذبـة، بـرّأ المجلـس النظـام، وأوكل إليـه مهمـة تطبيـق العدالـة عـلى ميليشـياته، ثـم حـاول أن يبـدو جـادًّا وصارمًـا، فهـدّده باتخـاذ مزيـد مـن الإجـراءات في حـال عـدم امتثـاله لقـراره. كان البشـير يعلـم أن الأعضـاء الدائمـين في المجلـس غـير جادّيـن في تهديداتهـم، فمـضى يؤسّـس لدولـة الميليشـيات، بالمـوازاة مـع الأجهـزة النظاميـة الـتي قـرّر أن يهمّشـها سـنة بعـد سـنة. وبـدل أن يـنزع سـلاح الجنجويـد ويسرّحهـا، أدخـل عـددًا كبـيرًا منهـا ضمـن قـوات «حـرس الحـدود» التابعـة للجيـش السـوداني، ثـم أصـدر لاحقًـا

قـرارًا خـوّل «قـوات الدعـم السريـع»، آخـر نسـخة للجنجويـد وأخطرهـا، أن تصبـح تحـت إمرتـه. ولـكي يضمـن ولاء هـذه الميليشـيات واسـتقلالها عـن أجهـزة الدولـة، منحهـا النظـام امتيـازاتٍ تجاريـة وسـمح لهـا بالاسـتيلاء عـلى مناجـم الذهـب، إلى أن أصبـح قائـد الجنجويـد، محمـد حمـدان دقلـو، المدعـو حميـدتي، يديـر شركـة «الجنيـد» لتعديـن الذهـب، ويجـني ملايـين الـدولارات ممـا يقترفـه في دارفـور.

ازدادت الأوضـاع سـوءًا في هـذا الإقليـم، وواصـل مجلـس الأمـن مسرحيتـه، وتبـنّى القـرار ١٥٦٤ في سـبتمبر/أيلول ٢٠٠٤، القـاضي بإنشـاء لجنـة دوليـة للتحقيـق في جرائـم دارفـور، أي الفصـل الثـاني مـن تمثيليتـه. بعـد ثلاثـة أشـهر مـن تقـصي الحقائـق عـلى الأرض، خلُصـت اللجنـة إلى أن الحكومـة السـودانية لـم تنهـج سياسـاتٍ بنيّـة الإبـادة الجماعيـة، إلا أن الجرائـم ضـد الإنسـانية وجرائـم الحـرب الـتي ارتكبتهـا الحكومـة في دارفـور لا تقـل خطـورةً عـن الإبـادة. ولكـن اللجنـة لـم تسـتبعد أن يكـون بعض الأفـراد، بمـن فيهـم مسـؤولون حكوميـون، قـد قامـوا بأفعـال بنيّـة الإبـادة الجماعيـة، فأوصـت أن يحيـل مجلـس الأمـن قضية دارفـور إلى المحكمـة الجنائيـة الدوليـة، وطالبتـه بـأن ينظـر في فـرض عقوبـات عـلى السـودان.

في ظـل ضغـوط ائتـلاف «أنقـذوا دارفـور»، واسـتفحال جرائـم النظـام والمتمرّديـن، تبـنّى المجلـس القـرار ١٥٩٣ في مـارس/ آذار ٢٠٠٥، وأحـال ملـف دارفـور إلى المحكمـة الجنائيـة الدوليـة.

كان الفصل الثالث أكثر فصول المسرحية الأممية دراميةً، إذ بدت الخطوة كأنها أكثر قرارات المجلس جرأة والتزامًا بإقرار العدالة. لعبت المحكمة دورها، وأصدرت مذكّرات توقيف بحق البشير، بتهم ارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب وإبادة جماعية، بالإضافة إلى مذكرات توقيف بحق متهمين آخرين. ولكن سرعان ما تبين للجميع أنه لا حول ولا قوة لهذه المحكمة التي لا تتوفر على آليةٍ لتوقيف المتهمين، وتنتظر أن يُسَلِّم المتهمون أنفسهم للعدالة الدولية، أو أن يتم اعتقالهم وتسليمهم من الدول الأعضاء في المحكمة. واتضح أيضًا أن أمريكا والصين وروسيا هم أكبر أعداء المحكمة، بدل أن يكونوا أحد أعضائها.

أوصت لجنة دولية أن يحيل مجلس الأمن قضية دارفور إلى المحكمة الجنائية الدولية

في الفصل الرابع من مسرحيته، يواصل المجلس جعجعته، ويعتمد في السنة نفسها القرار ١٥٩١، يفرض بموجبه على الحكومة السودانية حظر أسلحة جزئيًّا وعقوبات غير مجدية، إذ سمح للنظام بأن يشتري ويستخدم ما يشاء من الأسلحة في السودان، شريطة ألا يستعملها في دارفور، من دون أن يوفّر على الأرض آلية مستقلة ودائمة لرصد هذا الحظر العجيب. وفرض أيضًا عقوباتٍ، أو بالأحرى تهديداتٍ، بحظر سفر وتجميد حسابات وأصول عدد من الأشخاص؛ عقوباتٍ رمزية لم تكن ذات أثر رجعي، ولم

تحـدث فارقًـا هـي الأخـرى. طفـت عـلى السـطح فضائـح حظـر الأسـلحة، عندمـا تسرّبـت أكـثر مـن مـرة تقاريـر لجنـة الخـبراء المعنيـة برصـد هـذه العقوبـات في السـودان، تفيـد بـأن الحكومـة السـودانية تسـتعمل طائـراتٍ حربيـة وصواريخ اشـترتها مـن روسـيا وبيلاروسـيا، وذخائـر اقتنتهـا مـن الصـين. لـم يتخـذ مجلـس الأمـن أيـة إجـراءات عقابيـة ضـد الحكومـة السـودانية، ناهيـك عـن روسـيا والصـين، واكتفـى بمنـع اعتمـاد تقاريـر الخـبراء، والتكتـم عـلى هـذه الحقائـق.

اسـتمر النظـام والمتمـرّدون في اعتداءاتهـم عـلى المدنيـين، في ظـل الفشـل المـدروس لـكل القـرارات السـابقة، ولـم يبـق في جعبـة مجلـس الأمـن إلا أن يعتمـد القـرار ١٧٦٩، وينـشر بعثـة حفـظ السـلام بالـشروط الـتي أملتهـا عليـه الخرطـوم. دام الفصـل الخامـس والأخـير مـن مسرحيتـه ثلاثـة عـشر عامًـا، وقـف خلالهـا المجلـس يتفـرّج عـلى نظـام البشـير وهـو يهاجـم قـوات «يوناميـد»، ويقتـل حفظـة السـلام، ويشـلّ حركتهـم، ويتحكّـم في كل تفاصيـل عملهـم ويعرقلهـا. وعـلى الرغـم مـن إعرابهـم المتكـرّر عـن الذعـر والقلـق البالـغ إزاء الوضـع في دارفـور، لـم يسـتجب الخمـس الكبـار، أو أيـة دولـة أوروبيـة، لطلبـات «يوناميـد» الملحّـة، ولـم يزودهـا أحدهـم بالمعـدات اللازمـة، ولـو بطائـرة هليكوبـتر واحـدة تمكّنهـم مـن رصـد وضـع المدنيـين، والتدخـل في الوقـت المناسـب لحمايتهـم. منـح المجلـس «يوناميـد» الحـق في اسـتخدام القـوة بموجـب الفصـل السـابع، لكنـه لـم يمنحهـا القـوة.

استفاد البشير من تزامن بداية حروبه في دارفور مع محادثات السلام بين الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان

على الرغم من خذلان مجلس الأمن لها، ومن محاربة النظام لوجودها، وعلى الرغم من القهر والقتل الذي طاول موظفيها، ظلت البعثة الأممية تقوم بدورياتها اليومية، وتتفقد أحوال النازحين، وظلت مكاتبها تستقبل آلاف الفارّين من قصف النظام قراهم، وتضمّد جروح الناجين، بمن فيهم ضحايا الاغتصاب الجماعي والممنهج. واليوم وقوات «يوناميد» تحزم حقائبها، لم يعد للمشرّدين من أبناء القبائل غير العربية ملاذ، لم يعد في وسعهم إلا أن يحبسوا أنفاسهم، في انتظار أن تنشر حكومة عبد الله حمدوك القوات المشتركة التي أعلنت عنها منذ أزيد من ثمانية أشهر.اليوم يُسدل الستار على آخر فصلٍ من فصول مسرحية مجلس الأمن، وتنجلي قمة سخريته، وهو يُسند مهمة الحماية في دارفور لقواتٍ، إن قُدّر لها أن تنتشر، سيشترك فيها من قتل واعتدى على المدنيين، من جيش البشير، والحركات المتمرّدة، وميليشيات القتل السريع بقيادة حميدتي الذي كان من المفترض أن يحاكم على ما ارتكبته القوات التابعة له من جرائم. اليوم يتضح أن مجلس الأمن لم يأبه في أي يوم بمصير المدنيين في دارفور، بقدر ما كان حريصًا على حماية نظام البشير، وما زال حليفًا لبقايا هذا النظام وأفوله». *

[30] العربي الجديد – عدد الخميس ١٤ يناير ٢٠٢١

# الفصل التاسع

## «وللاجئين أشجانهم وأحزان»

# انتحار بعد طول انتظار

نصت كل من اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين للعام١٩٥١ المعدلة في ١٩٦٧ البروتوكول الخاص بوضع اللاجئين الموقع عليها من قبل المكونة للأمم المتحدة، ومبادئ بانكوك حول وضع اللاجئين ومعاملتهم المعتمدة في منظمة الاستشارية القانونية الآسيوية الإفريقية ١٩٦٦، واتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية التي تحكم الجوانب المختلفة لمشاكل اللاجئين في إفريقيا ١٩٦٩، وإعلان قرطاجنة بشأن اللاجئين لدول أمريكا اللاتينية ١٩٨٤، وتوصيات المجلس الأوروبي المعنية بالحالة الواقعية للاجئين ١٩٧٦، وتوجيهات مجلس الاتحاد الأوروبي بشأن المعايير الدنيا لتأهيل وضع رعايا البلد الثالث والأشخاص عديمي الجنسية كلاجئين أو غيرهم ممن يحتاجون إلى الحماية الدولية، ومحتوى الحماية الممنوحة ٢٠٠٤، نصت على أن اللاجئين هم الأفراد الذين خارج بلدهم الذي يحملون جنسيته أو محل إقامتهم المعتاد، ولديهم تخوف له ما يبرره من التعرض

للاضطهاد بسبب عرقهم أو دينهم أو جنسيتهم أو انتمائهم إلى فئة اجتماعية معينة أو آرائهم السياسية، غير قادرين على أو ليس لديهم الرغبة في الاستفادة من حماية ذلك البلد أو العودة إلى هناك خوفًا من الاضطهاد.*

لكن يبدو أن غالبية تلك الشعارات واللافتات المضيئة الموضوعة على أوجه المباني الشاهقة ومداخلها وسط المدن المزدحمة التي تحمل عناوين وأسماء ترمز إلى امتهان واضعيها مهنة العمل في المجال الإنساني مثل منظمة مراقبة حقوق الإنسان، والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ومكتب منسق الشؤون الإنسانية، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة، وصندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة وما إلى ذلك.

يبدو أنها تضحك على نفسها قبل الآخرين بتلك الشعارات البراقة، وذلك لأن أسماءها تتنافى تمامًا مع ما يدور داخل تلك المباني من أفعال في أحيان كثيرة.

إذ لو قدر لجدران تلك المؤسسات النطق لصرخت مستغيثة طالبة الفكاك والخلاص من براثن زيف البشر وكذبهم وقساوتهم وضحك بعضهم على البعض الآخر باسم الإنسانية وحقوق الإنسان.

هزت حادثة انتحار اللاجئة الإثيوبية «الأرومية» حرقًا أمام

[30] موقع المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين

مكتب المفوضية السامية للأمم المتحدة للاجئين بالقاهرة جدران الضمير الإنساني، حينما أشعلت النار في نفسها ضمن سيدتين أخريين وشاب، على مرأى من كاميرات مكتب المفوضية في ٢٦ من شهر يوليو ٢٠١٦ في القاهرة، في منظرٍ ينفطر له القلب حسرة، أدت إلى وفاتها متأثرة بإصابات بالغة غطت كل جسدها، بعد أن تم نقلها إلى المشفى لتلقي العلاج، لتخلف وراءها طفلتين لا مأوى لهما ولا آوي.

تأتي هذه الواقعة بعد أن أعيت المفوضيةُ انتظارَهم بمنحهم مواعيد لمقابلة تحديد الوضع والتي تزيد مدتها في الغالب عن السنتين، قاسوا خلالهما كل أنواع البؤس والشقاء بدولة لا يموت اللاجئ فيها ولا يحيا، ودون معونة تلبي احتياجاتهم اليومية. ليجد اللاجئ نفسه مضطرًّا أمام خيارات ثلاثة: إما ركوب البحر المتوسط ليغدو في سفينة تتأرجح بين كفي الحظ فتوصله إلى الضفة الأخرى، ليختصر بذلك انتظار السنين، إن لم تلتقمه حيتان المتوسط حيث لم تكن هذه الفرصة متاحة للجميع. وإما التسول في الطرقات والأسواق والكورنيش لجلب لقمة العيش، وهنا غالبًا ما يواجه اللاجئ المتسول خطر مداهمة تجار أعضاء الآدميين الذين يوجدون بكثافة في مثل هذه الأماكن لأخذ بعض «الإسبيرات» من جسمه المنحول قبل أن تُلقى بقية جثمانه على المجاري ومجمعات النفايات. وإما التوجه نحو المصانع والشركات للبحث عن أعمال يومية بأجور ضئيلة لا تكاد تفي أجرة المواصلات فضلًا

عـن أن تكفـي لتغطيـة إيجـارات الشـقة ومتطلبـات أفـراد الأسرة اليوميـة.

أكملـوا سـنين الانتظـار وكلهـم أمـل في أن يحظـوا بـ«البطاقـة الزرقـاء» الـتي تؤكـد أحقيتهـم لوضـع اللاجـئ، والتمتـع بحـق الحمايـة الدوليـة، وإعـادة التوطـين في دولـة يحـترم إنسـانُها الإنسـانَ والإنسـانية. ليفاجَئـوا بعدهـا بخـبر مفـاده رفـض المفوضيـة منحهـم وضعيـة اللاجـئ، كمـا قـررت بموجبـه سـحب البطاقـة الصفـراء «بطاقـة الحمايـة المؤقتـة» الـتي بحوزتهـم. الأمـر الـذي دفـع بالبعـض منهـم مرغمـين إلى السـعي لوضـع حـد لحياتهـم عـبر الانتحـار بعـد طـول انتظـار. مـا دفعـت الإدارة العامـة لمكتـب المفوضيـة بالقاهـرة للإعـلان الفـوري عن إغلاق المكتب الرئيسي للمفوضية بـ٦ أكتوبر وتوقف أنشـطته لحـين إشـعار آخـر، حسـبما نشرتـه المفوضيـة السـامية لشـؤون اللاجئـين بمـصر عـبر صفحتهـا عـلى الفيسـبوك في ذات الوقـت.. لتسـتأنف عملهـا بشـكل طبيعـي بعـد بضعـة أيـام. علمًـا بـأن هـذه الحادثـة لـم تكـن الأولى مـن نوعهـا، فقـد شرعـت سـيدة سـودانية أيضًـا في الانتحـار شـنقًا بالقـرب مـن ذات المكتـب حسـبما ذكـره بعـض شـهود عيـان. إلى جانـب وفاة لاجـئ سـوداني آخـر ويدعـى «عـوض» نتيجـة إهمـال الجهـات المختصـة، حيـث ظـل يصـارع المـرض زهـاء الأربعـة أشـهر على مرمـى حجـر مـن مكتـب المفوضيـة قبـل أن تصعـد روحـه إلى بارئهـا بعـد يومـين فقط مـن نقله إلى المستشـفى في العـام ٢٠١٥ .

وكأن المفوضيــة تتلــذذ بمشــاهدة معانــاة اللاجئــين القابعــين أمــام مكاتبهــا. فهــل يــا تــرى ستســتدعي مثــل هــذه الوقائــع تدخــل رئاســة المفوضيــة العليــا -بجنيــف- لإعــادة النظــر حــول مئــات الآلاف مــن اللاجئــين مــن مختلــف دول الحــرب والاضطهــاد بمكاتبهــا المختلفــة، قبــل أن يحــذو اللاجئــون حــذو تلــك الســيدة الإثيوبيــة ورفيقاتهــا؟ والســؤال الــذي يطــل برأســه في مثــل هــذه المواقــف والأحــداث المتكــررة، هــو مــا المانــع مــن أن يُمنــح ملتمســو اللجــوء فــترة زمنيــة قصــيرة أقصاهــا شــهر أو شــهران لتحديــد أوضاعهــم رفضًــا كان أو قبــولًا بــدل الســنتين؟ ومــا الاحــترازات الــتي ســتنتهجها المفوضيــة للحيلولــة دون تكــرار وقــوع مثــل هــذه الكــوارث البشــعة؟ أسئلة ستظل تطارد ذوي الضمائر الحية ممن يهمهم سلامة أولئك المستضعفين وكرامتهم .

# وفي النيجر ألمٌ سوداني مماثل

نفـد صـبر اللاجئـين الموجوديـن في مخيمـات دولـة النيجـر بعـد طـول تحملهـم للانتهـاكات المتكـررة الـتي ظلـت تمارسـها الجهـات المعنيـة بحقهـم، فقـد واجهـوا اسـتهدافًا ممنهجًـا وترديًـا مقصـودًا في الأوضـاع الأمنيـة والمعيشـية والصحيـة، بجانـب ركـن ملفاتهـم وتجميدهـا مـن قبـل مكتـب المفوضيـة السـامية للأمـم المتحـدة لشـؤون اللاجئـين في النيجـر منـذ عـام ٢٠١٧ بعـد أن تـم ترحيلهـم مـن الأراضي الليبيـة عندمـا تعـرض المئـات منهـم لعمليـات بيـع وشراء كرقيـق عـلى أيـدي نخاسـين ليبيـين.

حـتى اضطـر أكـثر مـن ١٢٠٠ في صبيحـة الخامـس عـشر مـن ديسـمبر كانـون الأول ٢٠١٩ إلى الهـرب مـن المخيـم الـذي يبعـد عـن مدينـة أغاديـز النيجرية بنحـو ٢٠ كيلومـترًا وقـرروا الاعتصام أمـام مكتـب المفوضيـة في أغاديـز، سـبقهم في ذلـك المئـات إلى مكتـب العاصمـة النيجريـة نيامـي، في ظـل بـرد الشـتاء القـارس، وانعـدام الغـذاء والـدواء وأماكـن لـدورات الميـاه رغـم وجـود

المئات من الأطفال والنساء وكبار السن وبعض المرضى.

إلا أن المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين -وهي المسؤولة الأولى عن أرواح اللاجئين وسلامتهم وكرامتهم- كانت مصرة على أن تعيد بنا التاريخ إلى لحظات مجازر ميدان مصطفى محمود بالقاهرة وانتهاكات مكتب المفوضية بالأردن، فقد غضت الطرف عن المعتصمين وسدت أذنيها عن أنين الأطفال الرضع والحوامل وتأوهاتهم لعشرين يومًا متتالية.

وبدلًا من الجلوس مع اللاجئين المعتصمين والنظر في مطالبهم المشروعة، أصفقت المفوضية أبوابها في وجوههم، بل وقطعت حتى مياه الشرب عنهم، وأدارت ظهرها عن المعتصمين لتتولى أمرهم السلطات النيجرية المتمثلة في والي ولاية أغاديز الذي قام بدوره في صبيحة السبت الرابع من يناير الجاري بإصدار أوامره القاضية بمهاجمة مقر الاعتصام وفضه بواسطة ٤٠ سيارة عسكرية.. فاستخدموا القوة المفرطة دون أن يكترثوا لأمر الأطفال أو النساء، نتجت عنها إصابة ١٣٢ لاجئًا ولاجئة إصابات متفاوتة، بجانب اعتقال أكثر من ٣٥٠ لاجئًا وتعريتهم داخل الزنازين، إضافة إلى فقد العشرات.

إن هذا الصمت القاتل والتجاهل اللذين قوبلت بهما تلك الجرائم النكراء التي يتعرض لها اللاجئون في دولة النيجر، لا يفسران بسوى شيئين اثنين، هما: إما أن الإنسان المعني في

تلـك الشـعارات والقوانـين المضمنـة في المواثيـق الدوليـة هـو غـير الإنسـان المرغـم عـلى الهـرب مـن جحيـم وطنـه للبحـث عـن الأمـان بعـد أن اسـتعصى عليـه البقـاء في دولتـه بسـبب الكـوارث الطبيعيـة أو المكتسـبة بفعـل الحكومـات.. وبذلـك تكـون قـد ناقضـت تلـك التعريفـات المذكـورة آنفًـا.

وإمـا أن جميـع تلـك القوانـين والمـواد المنصوصـة بشـأن اللجوء وحقـوق الإنسـان مـا هـي إلا تقنـين لعمليـات تجـارة الرقيـق، وتصديـر شـعوب البـلاد المنكوبـة وفقًـا لحاجـة البلـدان الكـبرى إلى الأيـادي الرخيصـة العاملـة، سـيما وأن أغلـب تلـك الـدول كانـت رائـدة في هـذا المجـال قبـل تحريمـه في أواخـر القـرن التاسـع عـشر.

# جريمة مقتل الطفل اللاجئ السوداني

لـم يفـق مجتمـعُ اللاجئـين السـودانيين بمـصر عـن صدمـة حرق الطفـل السـوداني ذي السـبع سـنوات في وضـح النهـار أمـام أعـين الناظريـن في مدينـة ٦ أكتوبـر حـي أبنـاء الجـيزة المحاذيـة لمسـاكن عثمـان سـيئة السـمعة في سـبتمبر٢٠٢٠، حـتى فجعـوا في ذات الموضـع بجريمـة أكـثر إيلامًـا وأكـبر بشـاعة هـزت أركان القاهـرة نهـار الخميـس ٢٩ أكتوبـر ٢٠٢٠، كانـت نتيجتهـا تمزيـق جسـد الطفـل اللاجـئ السـوداني محمد حسـن عبـد الله الذي لم يتجـاوز الثالثـة عـشرة مـن العمـر جـراء هجـوم غـادر بالسـكين مـن قبـل رجـل خمسـيني مـصري يدعـى «مجـدي» الـذي قـام بطعـن الطفـل في أماكـن حساسـة مـن جسـده بجانـب بضـع طعنـات في منطقـة الصـدر والبطـن واليديـن والفخذيـن.

ويعـود سـبب الحادثـة -بحسـب إفـادة شـهود عيـان مقربـين مـن أسرة القتيـل- أن للجـاني علاقـة صداقـة ومعامـلات ماليـة مـع والـد الطفـل «حسـن عبـد الله» الـذي يعمـل حـدادًا في ورشـة صغـيرة في حـي مسـاكن عثمـان الواقـع في مدينـة ٦ أكتوبـر

بمحافظة الجيزة المصرية، وقد عجزوا عن تسديد المبالغ المعنية، مما خلق توترًا بينه وبين الجاني.

وفي تمام الساعة الثانية ظهرًا، تفاجأ الطفل بالرجل يقتحم شقة سكنهم، وينهال عليه بالطعنات والسباب، بينما لاذت شقيقته الكبرى بالفرار بعد أن جاءت من الخارج وشاهدت الدماء تخضب أرضية صالة الجلوس، وقد انتهز الجاني غياب والدي الطفل فأتم جريمته بكل حرية وبرودة دم قبل أن يغادر المبنى ليترك محمدًا مضرجًا في الدماء وهو يصرخ وينزف بغزارة في مشهد تتقطع له القلوب والأكباد، إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة قبل وصوله إلى مستشفى الشيخ زايد بعد أن رفض مستشفى فودافون استقباله.

وقد ألقت الأجهزة الأمنية القبض على والد الطفل مع العشرات من السودانيين بعد تجمع احتجاج حاول السودانيون تسييره إلى مقر المفوضية السامية للأمم المتحدة للاجئين الواقعة في الحي السابع بمدينة ٦ أكتوبر، أطلق بعضهم لاحقًا، بينما بقي عشرة منهم في المعتقل أبرزهم الأستاذ محمد بشر صاحب مدرسة سودانية، والأستاذ معتصم أحمد ناشط في مجال حقوق الإنسان، ولم يطلق سراحهم إلا بعد أكثر من شهر، حيث خرجوا بعد مقابلة النيابة بكفالة مالية، بينما بقي الجاني حرًّا طليقًا لعدة أيام بعد الحادث، إلى أن ألقت السلطات القبض عليه لاحقًا ولم يحسم أمره بعد.

تزامـن ذلـك مـع وقـوع حادثـة طعـن أخـرى في مدينـة فيصـل بالقاهـرة أصيـب عـلى إثرهـا طفـل لاجـئ سـوداني آخـر يدعـى محمـد سـليمان ويبلـغ مـن العمـر ١٤ عامًـا. عـلى أيـدي ثلاثـة شـباب «بلطجيـة» ولاذوا بالفـرار.

إن ظاهـرة الاعتـداء عـلى الأطفـال اللاجئـين في مـصر لـم تكـن بالأمـر الجديـد، منـذ مجـزرة ميـدان مصطفـى محمـود بالمهندسـين في العـام ٢٠٠٥، لكـن مـا يثـير القلـق أكـثر هـو ذلـك الازديـاد المهـول في أعـداد الانتهـاكات الصارخـة بحـق الطفـل اللاجـئ هنـاك، ولا سـيما اللاجئـين مـن ذوي البـشرة الداكنـة مـن «السـودان وجنـوب السـودان»، بينهـا حـوادث التنمـر والاغتصـاب والأذى الجسـدي، وسـط تجاهـل وصمـت مطبـق مـن قبـل السـلطات المختصـة وقسـمي الأطفـال والحمايـة بمكتـب المفوضيـة السـامية للأمـم المتحـدة لشـؤون اللاجئـين بالقاهـرة.

إن مـا تنـشره هيئـة اللاجئـين السـودانيين بمـصر* عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي مـن صـور ومقاطـع فيديـو لعكـس مـا يجـري مـن انتهـاكات، لا يتجـاوز الواحـد في المئـة مـن جملـة الاعتـداءات اليوميـة الـتي يواجههـا اللاجئـون السـودانيون هنـاك. لكـن المحـزن والمخـزي حقًّـا هـو أن السـلطات الأمنيـة لا تكـترث لمـا تصلهـا مـن شـكاوى، خصوصًـا إذا كان المجـني عليـه مـن مجتمـع اللاجئـين، بحسـبان أن اللاجئـين عـادة مـا

[31] منصة رقمي تعنى بأخبار اللاجئين السودانيين في مصر.

يختلقـون قصصًـا كاذبـة لتحريـك «كيسـاتهم» لـدى المفوضيـة أو هكـذا تعتقـد الشرطـة والمفوضيـة معًـا.. ممـا جعـل التعامل مـع الشرطـة أمـرًا في غايـة التعقيـد، وهـو مـا دفـع المتهوريـن إلى التمـاضي في التنكيـل بتلـك الشريحـة الضعيفـة الـتي قذفتهـا مدافـع الحـروب والخـراب إلى بلـد حسـبوه ملجـأ أو معـبرًا نحـو بقـاع أكـثر أمانًـا.

والسؤال الذي سيبقى مطروحًا بإلحاح:

مـن المسـؤول عـن دمـاء الأطفـال اللاجئـين السـودانيين في دول اللجـوء؟

ومـا دور المفوضيـة السـامية للأمـم المتحـدة لشـؤون اللاجئـين حيـال مـا جـرى ويجـري مـن اعتـداءات للاجئـين في ظـل تخـلي السـفارة السـودانية عنهـم بحجـة أنهـم تحـت حمايـة الأمـم المتحـدة؟

# ما يطلبه اللاجئ في يومه العالمي

في العام ٢٠١٨ أقلّتني قدماي نحو إحدى الحدائق التي شهدتْ جانبًا من احتفالات اليوم العالمي للاجئ الذي وافق الثالث والعشرين من يونيو تلبية لدعوة إحدى الهيئات المشاركة في تنظيم الحفل، ومذ أن تلقيت تلك الدعوة قبل عدة أيام توقعت أن أعثر على ما يشفي غليلي من بشريات أو رؤى وأفكار وأصوات تتناول مواجع اللاجئين وآهاتهم وتطلعاتهم، أو في أضعف الإيمان «لافتات» و«بنرات» تحكي جانبًا مما تمر به مجتمعات اللجوء وأسباب مغادرتهم لبلدانهم ومحاولة إيجاد حلول لمشاكلهم في ظل هذا التعتيم الإعلامي المضروب بإحكام على كل ما يتعلق بمآسي اللاجئين في دول المنشأ والدول المستضيفة، فحضرتُ باكرًا حتى لا يفوتني شيء من المتوقعات آنفة الذكر، إلا أنه سرعان ما بدأت آمالي تتضاءل شيئًا فشيئًا لتقفز في نهاية المطاف إلى حاوية التلاشي بعد أن اصطدمتُ بحقيقة أن هذا اليوم مجرد

ملتقى ثقافي لاستعراض الرقصات الشعبية للترفيه والتسلية فقط لا غير.

إن الصورة التي عرضت على الفضائيات العربية والعالمية بخصوص هذا اليوم، لم تعبر عن واقع ما يعيشه اللاجئون والنازحون بمخيمات الذل والاسترقاق في بلدانهم والدول المضيفة البتة، ولا يمكن فهم صورة اللاجئ في مثل هذا اليوم إلا مرفقة مع صوته الذي بحّته صرخات الاستغاثة من بعض مجتمعات الدول المضيفة التي لم تتقبل إطلاقًا فكرة أن يتقاسم اللاجئون معهم أوطانهم كآدميين، فطفقوا يشبعونهم إذلالًا وتنكيلًا وهدرًا لكرامتهم في الطرقات والمركبات العامة وفي الأسواق وأماكن العمل وحتى في دور العبادة، وهو ما تحاول الجهات المعنية تغطيته بشتى السبل وعكس الصورة الناعمة فقط لاستدرار عواطف الدول المانحة وبالتالي استمرار عملية استدرار الأموال التي لم يصل منها إلى اللاجئين إلا بشق الأنفس.

فأن يخصص العالم يومًا يستذكر فيه ملايين من بقايا جرائم الحروب والإبادة الجماعية الذين كتبت لهم النجاة من همجية أنظمتهم القمعية المؤدلجة، أمر يلامس معنى متقدمًا من معاني يقظة الضمير الإنساني، أما أن يسعى منظمو تلك الحفلات الصاخبة لاستغلال تلك المناسبات للتكسب وذر الرماد على العيون بعكسهم صورة مغايرة لذاك الواقع الأليم الذي عليه اللاجئ، فهو لأمر يعكس

حجـم الضعـة والانحطـاط الأخـلاقي الـتي تتمتـع بهـا تلـك الفئـات.

لـم يكـن اللاجـئ بحاجـة إلى أن يسـتعرض مأكولاتـه وأزيـاءه وعاداتـه وتقاليـد بلـده بقـدر مـا يحتـاج إلى:

- اجتثـاث جـذور الأزمـة في بلـدان المنشـأ حـتى يعـود إلى مهـد كرامتـه عزيـزًا منعمًـا، بعـد أن يَئِـد العالـمُ وبشـكل نهائي أسـباب مغادرتـه لبلـده الأم.

- يحتـاج اللاجـئ في هـذا اليـوم إلى البـوح بحاجتـه الملحـة إلى توفـير الخدمـات الضروريـة كالحمايـة، والعـلاج والتعليـم والمسـاعدات الماليـة، ولا سـيما في ظـل تدهـور اقتصاديـات معظـم دول الاسـتضافة المؤقتـة (الأردن، غانـا، مـالي، مـصر، تركيـا، جنـوب السـودان، السـودان، نيجـر، ليبيـا، لبنـان) وغيرها.

- يحتـاج اللاجـئ إلى التسـهيل في عمليـة تكملـة الإجـراءات القانونيـة اللازمـة كتجديـد الإقامـة، إذ إن الإذلال الـذي يواجـه الفـرد اللاجـئ في أثنـاء اصطفافـه في طوابـير إجـراءات الإقامـة في بعـض دول الاسـتضافة المؤقتـة يـكاد يفـوق مـا واجهـه اللاجـئ مـن مـآسٍ وتقتيـل بدولتـه.

- اللاجئـون في حاجـة إلى الإسراع في توفيـق أوضـاعِ مَـن حصـل منهـم عـلى الاعـتراف مـن قبـل المفوضيـة السـامية للأمـم المتحـدة لشـؤون اللاجئـين وإعـادة توطـين مـن تنطبـق عليـه معايـير التوطـين العاجـل والآجـل.

- في هـذا اليـوم يناشـد اللاجـئ العالـم بـضرورة عـزل كل مـن يثبـت تورطـه في التلاعـب بأمنـه واسـتقراره ومحاسـبته حـتى يجـد الطريـق سـالكًا نحـو العـودة إلى بـلاده آمنًـا مطمئنًّـا.

الفصل العاشر

# «السودان بعد الإطاحة بالبشير»

# جيل الكيبورد!

لـم يـدر بخلـد عصابـة نظـام الإنقـاذ البائـد أن جيـل الكيبـورد هـذا يختلـف اختلافًـا كليًّـا عـن أسـلافه الطيبـين مـن حيـث قراءة السـيناريوهات قبـل حدوثهـا، ووضـع الخطـط اللازمـة بدقـة وإحـكام، للتعاطـي معهـا فـور الحـدوث، بعقليـة وسرعـة في البديهـة تفـوق تلـك الحيـل والاسـتهبال المتبعـة لـدى «الجبهجيـة» بسـنين ضوئيـة، وهـو مـا بـدا واضحًـا للعيـان في تلـك المرحلـة المفصليـة مـن تاريـخ السـودان، رغـم الدعـم الهائـل المغـدق عـلى الحكومـة مـن بعـض الـدول الناهبـة لمـوارد البـلاد طـوال فـترة حكـم الإنقاذيـين.

مـا يجـدر الإشـارة إليـه وحسـبما يـراه المراقبـون هـو أن أي تنصيـب لأي فـرد يرتـدي زيًّا عسـكريًّا في هذه المرحلة الاسـتثنائية مـا لـم يتوفـر فيـه المعايـير الـتي حددتهـا مطالـب الشـعب السـوداني يعتـبر بدايـة حتميـة لنهايـة مشـوار التحـرر الطويـل الـذي ابتدرتـه خـيرة أبنـاء الوطـن واستشـهدوا في سـبيل ذلـك بـكل بسـالة وشـموخ كالجبـال الراسـيات منـذ الثلاثـين مـن يونيـو

١٩٨٩ بعـد مسرحيـة انقـلاب بُنِيَـت عـلى ذات السـيناريوهات الـتي تشـهدها البـلاد هـذه الأيـام -لعبـة السـجن والقـصر- وهـي مـا دفعـت الحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان بقيـادة الشـهيد د. جـون قرنـق ديمبيـور ورفاقـه وقتهـا للعـدول عـن قرارهـم القـاضي بالجلـوس للتفـاوض مـع حكومـة الديمقراطيـة الثالثـة قبيـل الإطاحـة بهـا، وتصعيـد عملياتهـم ضـد النظـام الجديـد بعـد أن تكشـفت لهـم حقيقـة وجهـه الأيديولوجـي باكـرًا، ليتسـع ماعـون الحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان الـتي شـملت جبـال النوبـة فالنيـل الأزرق، ثـم دارفـور الـتي اسـتطاع فيهـا النظـام أن يقمـع الثـورة الـتي يتزعمهـا الشـهيد داود يحـيى بـولاد ورفاقـه لفـترة في مطلـع التسـعينيات كمـا أسـلفنا.

فيمـا اسـتمر لهـب الظلـم والقهـر والاسـتبداد المسـتعر يحـرق أجـزاء الوطـن، ممـا أرغـم العديـد مـن أحـرار السـودان عـلى إعـلان موقفهـم باكـرًا مـن تلـك العصابـة، إمـا بتقديـم مذكرات احتجاجيـة مـن داخـل المؤسسـات الـتي يفـترض أنهـا وطنيـة مسـتقلة كالقـوات المسـلحة والقضـاء، وإمـا بتكويـن أحـزاب رافضـة للمنهـج الإخـواني.

لكـن كـدأب مثـل هـذه الجماعـات المتطرفـة في التعاطـي مـع غـير الموالـين لهـا بـدلًا مـن النظـر في مطالبهـم دشـنت حملتهـا الإجراميـة ضدهـم بمذبحـة ٢٨ مـن خـيرة ضبـاط القـوات المسـلحة المسـتقلين في الثامـن والعشريـن مـن رمضـان الموافـق أبريـل ١٩٩٠، لتعقبهـا سلسـلة مـن حمامـات الـدم،

فاتسعت الهوة بينها وبين المواطن بأنشطة بيوت الأشباح، واستفحلت الأزمة بتصريحات الرئيس المخلوع الأسبق عمر البشير: «جبناها بالبندقية.. والعايزها اليجي يشيلها مننا بالبندقية.. والزارعنا غير الله الجي يقلعنا...»

فكان له ما أراد بأن أسرع شباب شرق السودان ودارفور في نهاية التسعينيات ومطلع الألفية الثالثة في امتطاء -سيارات اللاندكروزر- مكونين حركات تحررية مسلحة، بلغ عددها في دارفور وحدها أكثر من ٨٠ حركة مسلحة، كلها مجمعة على زوال نظام الإنقاذ القاتل.

وقد ترتب على ذلك فقدان أكثر من مليون ونصف المليون قتيل في جنوب السودان، قبل أن يلتحق بهم الشطر الجنوبي كاملًا بكل ما يحتويه من بشر وموارد وخبرات وخيرات لا تحصى، مما أقعد اقتصاد البلاد وقلب جميع أوضاعها رأسًا على عقب، إضافة إلى أكثر من ثلاثمائة وستين ألف قتيل في دارفور، وأربعة ملايين نازح ولاجئ ما زالوا يتسولون المساعدات الإنسانية في دول العالم بعد تهجيرهم قسرًا، بأيدي ذات الجهات المنفذة لهذه المسرحية السمجة (ابن عوف، حميدتي، قوش، عبد الفتاح البرهان) وغيرهم.

بعد كل هذه الانتهاكات والتضحيات، لم يشأ عباقرة العصابة البائدة أن ينفقوا ولو دقيقة من أوقاتهم للوقوف بجدية حول وضع حد لهذه المذابح والمهازل، فطفقوا يقتلعون الأقوات من الأفواه الفاغرة، إما دعمًا للميليشيات

المأجـورة المقاتلـة دفاعًـا عنهـم وشراء للذمـم، أو اسـتثراء بتلـك الأمـوال وتخزينهـا في الخـارج، غـير مكترثـين بمـا تـؤول إليـه أحـوال الشـعب السـوداني المهـدد بالانقـراض جوعًـا.

ممـا جعـل مواطـني السـودان الأوسـط البسـطاء يدركـون مؤخرًا مشروعيـة مطالـب تلـك الحـركات التحرريـة وتلـك الأحـزاب السياسـية المناديـة بإسـقاط النظـام، فنالـوا بذلـك حظًّـا وافـرًا مـن الوعـي الثـوري السـلمي، وهـو في اعتقـادي مـن أبرز مكاسـب ثـورة ديسـمبر وإليـه يعـود الفضـل -بعـد الله تعـالى- في تعجيـل رحيـل نظـام المؤتمـر الوطـني الفاسـد، فتبلـور مفهـوم تجمـع المهنيـين السـودانيين الـذي تجاهلـه المخلـوع الثـاني عـوض بـن عـوف في بيانـه العسـكري الهزيـل الـذي مجـد فيـه أدوار زملائـه الجلاديـن في قمـع المظاهـرات السـلمية بـدلًا مـن تقديمهـم للقصـاص، فجلـب إلى سـخط الشـارع السـوداني ليجـد نفسـه محزمًـا أمتعتـه لاحقًـا بسـلفه بعـد يـوم واحـد قضـاه في كـرسي يغـلي بنـيران الثـورة المتقـدة.

مـن هنـا كان يجـب أن يعـي قـادة المؤتمـر الوطـني وأتباعهـم وأشـياعهم وحاشـيتهم ومناصروهـم وميليشـياتهم جيـدًا أن عهدهـم قـد ولى دون رجعـة، وقـد أزف وقـت رحيلهـم، وبالتالي فـأي محاولـة جديـدة للتلاعـب بعقـول الشـعب السـوداني سـتجعل قِـدرة الشـارع مسـتمرة في الغليـان بمـن ظـل النظـام ينعتهـم بـ«ثـوار الكيبـورد» و«شـذاذ الآفـاق».

# روائح مميتة.. تنبعث من غرف وكلاء النظام السابق

بما أن رئيس المجلس الانتقالي الفريق عبد الفتاح البرهان قد جاء تعيينه بقرار مباشر من رئيس المجلس الانتقالي المخلوع الفريق عوض بن عوف عقب قرار تنحيه، فقد وجدت نفسي كغيري مرغمًا على اشتمام روائح مميتة تنبعث من داخل مطبخ «جوكية» النظام السابق ترمي لاستخراج كوادر الثورة وتجميعهم ومن معهم من صغار الضباط الشرفاء الذين أعلنوا التحاقهم بركب الثورة، بغرض حرقهم والانقضاض عليهم حتى لا تقوم بعدهم للثورة قائمة، ومن ثم إعادة البشير إلى منصبه بعد نجاح المسرحية، أو على أقل تقدير يتم تنصيب من يضمن عدم ملاحقته، كنسخة طبق الأصل لصفقة الرئيس اليمني السابق الراحل علي عبد الله صالح مع مخلصه عبد ربه منصور هادي اللذين أدخلا اليمن في نفق مظلم واصطليا بنيرانه قبل الآخرين.

يتضح ذلك لكل من قرأ بتأنٍ تلك الإشارات التي تحملها مواقف حميدتي وغيره من منسوبي الحكومة السابقة المتشبثة بثياب الحوار الوطني التي تظهر بوضوح ما تخبئه تلك الجماعة من فخاخ في حالة ما إذا لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق يرضي هوى النظام السابق.

وإلا فهل كان التوقيت يسمح بالحديث عما كان يقصده من حوار مع الحكومة السابقة؟

وما تلك الجهة المفوضة لاختيار رؤساء المجالس الانتقالية؟

وماذا كانت تعني هذه الجهة المفوضة باختيارها في كل مرّة مجرم حرب من الحلقة الضيقة للرئيس الأسبق عمر البشير أمثال عوض بن عوف وعبد الفتاح البرهان مع ما اقترفاه من جرائم في دارفور؟

الثورة مبتدؤها ومنتهاها مِلكٌ لكل الشعب السوداني الحر الشامخ بلا إقصاء أو تمييز لأحد، لكن لا يعني ذلك تسليم زمام أمرها وثمرة نجاحها للجلادين من أتباع النظام الهالك وأمراء حربه مرة أخرى.

فالرئيس المخلوع عمر حسن أحمد البشير كشخص، سقط وطويت صفحته بلا شك، إنما البشير كمؤسسة أمنية إخوانية إرهابية جهادية إجرامية متخصصة في قتل الشعب وسلب أملاكه وبيع أجزاء الوطن، بل وبيع أبناء الوطن وكرامته بثمن بخس دراهم معدودة، تتطلب المزيد

مـن الغربلـة لاجتثاثهـا مـن أعمـاق الجـذور، وتقديـم جميـع منسـوبيها إلى العدالـة، واسـتعادة كل الأمـوال المنهوبـة، وتفكيـك كل تلـك المؤسسـات وإعـادة «عجنهـا» بمـا يتوافـق مـع متطلبـات الشـعب السـوداني الثائـر.

وبمـا أن تسـليم السـلطة للعسـكر الموالـين للنظـام البائـد مـرة أخـرى سـوف يفتـح النوافـذ والأبـواب واسـعة أمـام لصـوص الثـورة كمـا حـدث في بعـض دول الربيـع العـربي -عـلى اختـلاف وضعيتهـا- كان لزامًـا عـلى ممثـلي الثـورة الحقيقيـين تـولي إدارة تكليـف الشـخص المناسـب لرئاسـة الحكومـة الانتقاليـة ممـن لـم يتلطـخ بدمـاء شـعب جبـال النوبـة ودارفـور والنيـل الأزرق وكل أجـزاء السـودان، حـتى يسـتطيع هـذا الجيـل الحـر الواعـي التمتـع بقطـف ثمـار الثـورة وتناولهـا بـلا خـوف.

لكـن ذلـك لـم يحـدث، إذ اضطـر الشـعب إلى الرضـوخ لمشـيئة العسـكر في اتفاقيـة تـم توقيعهـا بـين المكـون المـدني والعسـكر بعـد شـد وجـذب اسـتمر لأكـثر مـن أربعـة أشـهر بعـد سـقوط رأس النظـام في الحـادي عـشر مـن أبريـل ٢٠١٩.

حيـث وقـع نائـب رئيـس المجلـس العسـكري محمـد حمـدان دقلـو وممثـل تحالـف قـوى الحريـة والتغيـير أحمـد الربيـع السـبت ١٧ أغسـطس ٢٠١٩ في السـودان عـلى وثيقـة الاتفـاق الذي توصـل إليـه الطرفـان بعـد أشـهر مـن المفاوضـات والـذي مـن شـأنه أن يضمـن الانتقـال إلى حكـم مـدني في البـلاد الـتي مزقتهـا الاحتجاجـات منـذ ١٩ كانـون الأول/ ديسـمبر.

لكـن بقـي المكـون المـدني في المجلـس السـيادي مجـرد «كومبـارس» لا قـرار لهـم إلا بمـا يتفـق مـع هـوى العسـكر.

# حميدتي.. من الفريق إلى الفريق.. فمن وراءه؟

كاد محمد حمدان دقلو حميدتي أن يضاهي الأسد في كثرة الألقاب والأوصاف، فقد عرف بين أقرانه من أبناء البادية بـ«حميدتي»، وأسماه الرئيس المخلوع «حمايتي»، وسماه أتباعه ومحبوه بـ«القائد»، وأسمته القوات المسلحة «الفريق أول»، وأطلقت عليه الإدارات الأهلية اسم «القائد المنقذ» وناداه الإعلام المصري وبعض دول الخليج العربي بـ«حَمِدِدْتي» ونعته الثوار في الخرطوم في بادئ الأمر بـ«الضكران الخوّف الكيزان» قبل أن يستبدلوا به «الفريق خلا»، ثم لاحقًا «رجل الغانون»، و«وزير القراية»... ولا تزال الألقاب والنعوت تتوالى عليه تترى كلما فعل أو قال ما يستوجب التسمية.. بينما لا يزال في نظر ضحاياه من أهل دارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق هو نفس الشخص «الجنجويدي» الذي قتل ونهب وحرق كغيره من قادة ميليشيات الجنجويد الدمويين الذين قال عنهم الروائي

السـوداني القديـر عبـد العزيـز بركـة سـاكن في روايتـه ذائعـة الصيـت «مسـيح دارفـور»: «أهـون لجمـل أن يلـج مـن ثقـب إبـرة مـن أن يدخـل جنجويـد ملكـوت الله». [*]

رغـم هـذه الأسـماء والصفـات الحميـدة منهـا والشـنيعة الـتي تحصـل عليهـا حميـدتي نتيجـة أفعالـه وأقوالـه، لـم يـدر بخلـده أن هـذا الشـعب الطيـب جـدًّا يتمتـع بـكل هـذه الصلابـة والعنـاد، رغـم التقتيـل والتنكيـل والإذلال الـذي ظلـت قواتـه تمارسـه ضـده قبـل إسـقاط النسـخة القديمـة مـن نظـام البشـير وفي أثنائـه وبعـده والـذي عجـن طينـة حميـدتي وصنعـه بهـدف حمايتـه مـن شر هـذا الشـعب السـاخط.. وقـد كان في خدمتـه وحمايتـه حـتى اللحظـات الأخـيرة مـن السـقوط.

وبمـا أن وقائـع النكـث بالعهـود الـتي عرفـت بـه لا تـزال تداعـب مخيلـة مـن عرفـوه جيـدًا كواقعـة الانقـلاب عـلى الحـركات المسـلحة في دارفـور الـذي كان جـزءًا منهـا لبضعـة أشـهر في العـام ٢٠٠٧، ومـع بـني عمومتـه ورفاقـه وقائـده الروحـي الشـيخ مـوسى هـلال في مسـتريحة أواخـر نوفمـبر ٢٠١٧، وأخـيرًا قفـزه مـن قـارب ولي نعمتـه البشـير بعـد أن أشرف عـلى الغـرق -أو هكـذا خيـل إلينـا- حينمـا اضطـر إلى الانحيـاز إلى مـن كانـوا لا تـزال دماؤهـم لينـة لـم تجـف بعـد.. وسرعـان مـا اتسـعت دائـرة شـهيته لالتهـام إرادة الثـوار والاسـتحواذ عـلى السـلطة

[32] عبـد العزيـز بركـة سـاكن - روايـة مسـيح دارفـور، صـادرة عـن منشـورات ويلـوز هـاوس

-رغـم تصريحاتـه المتكـررة بعـدم رغبتـه في السـلطة- بعـد أن جـاءت إليـه تمـشي عـلى قدمـين في ظـل عجـز القـوات المسـلحة التـام عـن الوقـوف أمامـه.

لـم يسـتطع حميـدتي أن يقنـع نفسـه بـأن هـذا الشـعب المعلـم بعـد مـا تذوقـه مـن العـذاب والتخلـف في ظـل الأنظمة العسـكرية طـوال الـ٦٠ عامًـا الماضيـة، لـم يـرضَ حتى بالعسـكر النظاميـين المتعلمـين مهمـا كانـت صفاتهـم كرؤسـاء للدولـة، فضـلًا عـن أن يـرضى بـه هـو.. لكـن بعـد أن أداروا ظهورهـم عنـه وفشـلت كل حيلـه لاسـتمالتهم مـرة أخـرى أيقـن أنـه كان في حلـم جميـل، فطفـق يبحـث لـه عـن سـند وتفويـض وحلفـاء جـدد، وللحصـول عليهـم أنفـق المليـارات لتأليـف قلوبهـم، فاسـتجلب الإدارات الأهليـة وأقـام لهـم مخيمًـا مفتوحًـا داخـل العاصمـة لعـدة أيـام طلبًـا للتفويـض بغيـة تجـاوز الثـوار، لكـن يبـدو أن ذلـك أيضًـا لـم يكـن كافيًـا ليؤهلـه للوصـول إلى مقعـد رئاسـة البـلاد الـذي يدفعـه إليـه عوامـل عـدة متداخلـة.

وبـين هـذا وذاك، يـبرز السـيناريو الأخـير والخطـير الـذي قـد يلجـأ إليـه حميـدتي في حالـة مـا إذا فشـل في الوصـول إلى رئاسـة الجمهوريـة..

وهـو أن يعقـد صفقـات وتحالفـات مـع بعـض مكونـات ثـوار دارفـور باسـم الهامـش، ليـس مـن أجـل دعـم قضيـة أهـل الهامـش بدارفـور، وإنمـا للوصـول عبرهـم إلى تقريـر المصـير وفصـل دارفـور نهائيًّـا عـن السـودان إذا فشـل في الوصـول إلى

كـرسي الرئاسـة، ومـن ثـم يتـاح لـه الاسـتفراد بحكـم دارفـور وضـم دولـة تشـاد الـتي يعتبرهـا مستشـار حميـدتي الخـاص جـزءًا مـن خارطـة دولـة «التجمـع العـربي» كأحـد أهـم الأهداف الاسـتراتيجية، حسـبما ورد في المواثيـق وجغرافيـا تنظيم التجمع العـربي المسربـة المعروفـة بـ«وثيقـة قريـش ١»* و«قريـش٢» الـتي تنـص وبـكل وضـوح عـلى خطـة متكاملـة للاسـتيلاء عـلى السـلطة في السـودان في مـدة أقصاهـا العـام ٢٠٢٠.

وفي حالـة العجـز، تقتـصر الخطـة عـلى دارفـور، عـلى أن تضـم إليهـا لاحقًـا دولـة تشـاد وأخريـات مـن دول الجـوار. وحينهـا مـن السـهل التخلـص مـن جميـع السـكان الأصليـين مـن غـير العـرب -حسـب الوثيقـة- بمـن فيهـم حلفـاء حميـدتي المحتملـون الذيـن ينحـدرون مـن الإثنيـات المغضـوب عليها.

وقـد مهـد لذلـك فعليًّـا بحمـلات جمـع السـلاح مـن قبائـل معينـة قبيـل إسـقاط البشـير تجنبًـا لحـدوث أي نـوع مـن أنـواع المقاومـة، كمـا قـام بجلـب المزيـد مـن القبائـل البدويـة مـن دولـة النيجـر والكاميـرون وتشـاد وإفريقيـا الوسـطى، وانتظمـوا أجمعـين في ميليشـيات الجنجويـد الـتي سـميت مؤخـرًا بالدعـم السريـع.

---

[33] أدناه رابط مصدر الوثيقة

http://www.darfurna.com/node/1_Darfur/Alliance1_Arabs/Alliance/1_Darfur_Alliance.htm

إضافة إلى عمليات توسيع دوائر احتلال الحواكير والاستيطان في غرب دارفور ووسطه وأقصى شمال دارفور، تحديدًا مناطق دار الزغاوة -وادي هور- التي استحوذت ميليشيات حميدتي على ثلثيها أو يزيد، وغيروا حتى أسماء المناطق، وقسموا الحواكير للقبائل الوافدة.. في ظل صمت وتغاضٍ رهيب من قبل السلطات.. وما ميليشيات «أم باخة» في التسعينيات و«كتيبة ابن عمر» في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي إلا بداية لتدشين هذا المشروع طويل المدى!

إن أي تحالفات مع ميليشيات حميدتي تحت أي مسمى كان، يصب في خدمة السيناريو آنف الذكر.. لذلك يتحتم على من يفكر في التحالف مع حميدتي أن يدرك أن وضعه لم يكن أفضل ممن انشقوا سابقًا عن الثوار وانخرطوا في صفوف ميليشيات حميدتي أمثال محمدين أوقاجور رئيس هيئة الأركان الأسبق لحركة تحرير السودان مناوي وعبد الله شغب أحد قادة الإسكادرو بالحركة وآدم صالح أبكر الناطق الأسبق باسم جيش الحركة والترابي من حركة العدل والمساواة وغيرهم ممن وجههم النظام السابق لإبادة شعوبهم بعد أن كانوا حماتها!

وبالتالي أي تحالف مع ميليشيات حميدتي سيسهم بشكل مباشر في قيام دولة التجمع العربي التي لا تحتمل سوى أصحاب هذا المشروع، علمًا بأن حميدتي نفسه ما هو إلا آلة في يد اللجنة المفوضة من قبل تنظيم التجمع العربي

التي باركها رئيس الوزراء السوداني الأسبق السيد / الصادق المهدي في أكتوبر ١٩٨٧ بعد تكوينها وتسلمه جزءًا من الوثيقة، كما دعمتها حكومة الإنقاذ بكل سخاء.

وأعضاء اللجنة هم:

عبد الله مسار، وشارف علي جقر، وإبراهيم يعقوب، وحسين حسن الباشا، والناظر حامد بيتو، وتاج الدين أحمد الحلو، وأيوب البلولة، ومحمد خوّف الشتالى، وزكريا إبراهيم أبو لحيو، ومحمد زكريا دلدوم، والناظر الهادي عيسى دبكة، والطيب أبو شمة، وسندكة داؤد، وهارون على السنوسي، والدكتور عمر عبد الجبار، وعبد الله يحيى، وسليمان جابر أبكر، والناظر محمد يعقوب العمدة، وحامد محمد خير الله، ومحمد الدومة عمر، وعبد الرحمن علي عبد النبي، وأحمد شحاتة أحمد، أبو بكر أبوه الأمين، وجابر أحمد الريح.. إضافة إلى الوجوه الجديدة حسب الهيكلة الإدارية الجديدة للتنظيم حسبما تقتضيه الظروف من عجز ووفاة وما إلى ذلك.

وإذا ما أخذنا في الاعتبار ذلك الدعم اللامحدود الذي يتدفق إليه مدرارًا من دولتي السعودية والإمارات مؤخرًا من جهة، وإصرار قوى الحرية والتغيير على مطالبتها بالسلطة المدنية من جهة أخرى، يصبح هذا الخيار واقعًا ملموسًا لا سبيل إلى الخلاص منه إلا بالنأي عن المشاكسات الانصرافية بين مكونات الثورة السودانية المسلحة منها والمدنية، وتوحيد

الجهـود لقيـام دولـة مدنيـة تعيـد الميـاه إلى مجاريهـا.

وغدًا ستكشف الأيام ما سكتت عنه الأقلام.

الفصل الحادي عشر

# «المجلس الانتقالي»

# اللجنة الأمنية التي أراحت صانعها

يقول الصحفي السوداني المقرب من النظام السابق جمال عنقرة في مقال نشره على صحيفة البيان في السابع من يناير ٢٠٢١ موضحًا من خلاله سبب سقوط النظام وما كان يخطط له الرئيس المعزول قبيل السقوط مع لجنته الأمنية:

«وسقوط الإنقاذ الذي حدث، لم يحدث لقوة منطق الداعين للسقوط، ولا لأن عناصر الثورة قد اكتملت، ولكن الإنقاذ سقطت لأنها فقدت كل مقومات البقاء، وعجل من ذلك أيضًا تعارض مصالح أركان الإنقاذ، واختلافهم على قراءة المشهد، ففي يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر فبراير حدث شبه اتفاق على أن يحدث الرئيس البشير تغييرات جذرية في الحكم، وكان من ضمن هذا الاتفاق أن يتخلى عن حزب المؤتمر الوطني، ويتنازل عن رئاسته، وأبلغ بذلك اللجنة الأمنية المكونة من وزير الدفاع، ومدير

جهـاز الأمـن الوطـني، ومديـر عـام الشرطـة، وقائـد قـوات الدعـم السريـع، وكلـف الرئيـس مديـر جهـاز الأمـن الفريـق أول مهنـدس صـلاح عبـد الله «قـوش» لتبليـغ الخـبر لقـادة الصحافـة والإعـلام، وذهـب هـو إلى إبـلاغ المكتـب القيـادي للمؤتمـر الوطـني، ولكنـه تعـرض لضغـوط كثيفـة اضطـر معهـا إلى تغيـير الاتفـاق، وتغيـير الخطـاب الـذي كان ينتظـره الشـعب السـوداني كلـه، وكان مقـدرًا أن يقدمـه للقيـادات الـتي كانـت محتشـدة في حدائـق القـصر الجمهـوري، فألقـى البشـير خطابًـا مختلفًـا تمامًـا، وكانـت هـذه هـي النقطـة الفاصلـة في مسـيرة الثـورة، فالذيـن كانـوا يأملـون في الإصـلاح ضعـف أملهـم حـد التـلاشي، وازداد الشـارع غليانًـا واشـتعالًا، إلا أن التغيـير ذا الأثـر الكبـير كان في اللجنـة الأمنيـة، فالذيـن يحسـنون فيهـم الظـن يقولـون إنهـم فقـدوا الأمـل في الهبـوط الآمـن بعـد أن تراجـع الرئيـس عـن اتفاقـه معهـم، وآخـرون يتهمونهـم بخيانـة أمانـة التكليـف، ولسـت في مقـام ترجيـح رأي عـلى الآخـر، ولكـن الـذي ثبـت أنهـم كانـوا واهمـين حينمـا ظنـوا أنهـم سـيجدون القبـول عنـد القـوى المؤثـرة في الشـارع، ولنكـون أكـثر تحديـدًا فـإن وزيـر الدفـاع الفريـق أول ركـن عـوض بـن عـوف، ومديـر جهـاز الأمـن الفريـق أول صـلاح قـوش، همـا أصحـاب الأثـر الأكـبر في قـرار الانحيـاز العسـكري للشـارع، ثـم يـأتي بعدهـم، وفي مرحلة لاحقـة الفريـق أول محمـد حمـدان دقلـو (حميـدتي)، وكانـت المفاجـأة والمفارقـة الـتي لـم يضـع لهـا هـؤلاء العسـكريون حسـابها، أنهـم لـم يجـدوا القبـول عنـد المحركـين للثائريـن،

والمؤثرين فيهم، وكانت هذه هي المفارقة التي أحدثت شرخًا في جسد الثورة ظل يؤثر سلبًا على مسيرتها حتى اليوم»*

وعلى ضوء هذه الخطة، خرج العسكر فجأة ليعلنوا أنهم حماة الثورة وشركاء أساسيون في نجاحها، حتى صدقوا أنهم كذلك.. وصدقهم الشعب.

إذن كانت هذه جزئية صغيرة مما كان يدبر له النظام بليل، للالتفاف على إرادة الشعب، وامتصاص غضبه بتلك المسرحية التي أوقن بأن عنقرة لم يبُح بجميع فصول مشاهدها. وذكرت فضائية الجزيرة الإخبارية ما توصلت إليه اللجنة الأمنية عقب الإطاحة بالرئيس السوداني الأسبق عمر البشير وخلفه عوض بن عوف قائلة: «أخيرًا وبعد طول انتظار وترقب، جرى الكشف عن أسماء المجلس العسكري الانتقالي الذي يفترض أن يشرف على مرحلة انتقالية لا تتجاوز العامين في السودان بعد الإطاحة بنظام الرئيس عمر حسن البشير.

وأدى أعضاء المجلس العسكري الانتقالي اليمين الدستورية أمس السبت ٢٠١٩\٤\١٣ أمام رئيس المجلس الانتقالي الفريق أول عبد الفتاح البرهان، إيذانًا ببدء عملهم في مناصبهم الجديدة.

وقال البرهان إن المجلس يلتزم بفترة انتقالية مدتها عامان

[35] جمال عنقرة-صحيفة البيان نيوز العدد الصادر بتاريخ 2021\1\7

كحـد أقـصى تفـضي إلى تشـكيل حكومـة مدنيـة، متعهـدًا باجتثـاث رمـوز النظـام السـابق».*

[36] قناة الجزيرة الإخبارية

# من هم أعضاء المجلس العسكري؟

تألف المجلس العسكري في بداية تكوينه من عشرة أعضاء، من بينهم رئيسه الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان، ونائبه الفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي)، وثمانية أعضاء آخرين.

ومفاصيلهم على نحو ما يلي:

الفريق أول ركن عبد الفتاح البرهان (الرئيس): من مواليد منطقة «قندتو» غرب مدينة «شندي» بولاية نهر النيل في السودان، ظهر في واجهة المؤسسة العسكرية بعد تعيينه في فبراير/شباط ٢٠١٩ في منصب المفتش العام للجيش السوداني.

عمل البرهان في إدارة العمليات بالقوات البرية، كما شغل منصب قائد القوات البرية السودانية، وعمل في مناطق عدة بولاية جنوب دارفور التي اشتهر فيها بمقولته الشهيرة «أنا رب الفور».

تخـرج في الكليـة الحربيـة في الدفعـة الـ٣١، وعمل مدربًـا بمعاهد عسـكرية بمنطقـة جبيـت شرقي البـلاد، كمـا أشرف عـلى القـوات السـودانية الـتي شـاركت مـع التحالـف العـربي بحربـه في اليمـن، وقـضى الفـترة الأخـيرة متنقـلًا بـين اليمـن والإمـارات.

الفريــق أول محمــد حمــدان دقلــو (حميــدتي) (نائبًــا للرئيــس) ولـد في عـام ١٩٧٥ في ولايـة شـمال دارفـور وتلقـى تعليمـه في الكتاتيــب التقليديــة. وفي مرحلــة مبكــرة مــن شــبابه نشــط في تجـارة الإبـل وحمايـة القوافـل.

ينتمـي حميـدتي لفخـذ المحاميـد مـن قبيلـة الرزيقـات الهلاليـة ذات العمـق الشـعبي الكبـير في دارفـور وتشـاد والعديـد مـن دول إفريقيـا.

يحمـل رتبـة فريـق رغـم أنـه لـم ينتسـب لأي كليـة حربيـة. ويقـود قـوات الدعـم السريـع شـبه العسـكرية المنبثقـة عـن ميليشـيا الجنجويـد المتهمـة بارتـكاب أبشـع المجـازر في إقليـم دارفــور.

الفريق أول عمر زين العابدين محمد

قــدم في التشــكيلة الأولى للمجلــس العســكري باعتبــاره رئيسًــا للجنــة السياســية بالمجلــس، وقــدم مؤتمــرًا صحفيًّــا عقــب ســقوط البشــير قــدم فيــه تطمينــات بشــأن نيــة المجلــس العسـكري وأهدافـه، لكنـه اضطـر إلى تقديـم اسـتقالته تحـت ضغـوط الشـارع بعـد أن صرح بعدائـه للثـورة وولائـه للنظـام

البائـد.

الفريق أول شرطة الطيب بابكر

جـرت ترقيتـه في سـبتمبر/أيلول ٢٠١٨ إلى رتبـة فريـق أول (شرطة)، وعينـه الرئيـس البشـير في ١٤ مـن الشـهر ذاتـه مديـرًا عامًـا لقوات الشرطة.

وذكـرت وسـائل إعـلام سـودانية أنـه مـن مواليـد الشـقالوة شـندي، وأنـه عمـل في عـدة أقاليـم سـودانية، كمـا ذكـرت أنـه تـولى إدارة العمليـات في جهـاز الشرطـة بالخرطـوم.

الفريق طيار صلاح عبد الخالق

جـرى ترفيـع اللـواء طيـار ركـن صـلاح الديـن عبـد الخالق سـعيد إلى رتبـة فريـق، وتعيينـه رئيسًـا لأركان القـوات الجويـة في ٢٧ فبراير/شـباط ٢٠١٨.

الفريق أمن جلال الدين الشيخ

عـين في فبراير/شـباط نائبًـا للمديـر العـام لجهـاز الأمـن والمخابـرات الوطـني، وأدى القسـم أمـام البشـير في ٢٢ مـن الشـهر ذاتـه.

وقالـت وسـائل إعـلام سـودانية إنـه ينحـدر مـن شـمال أم درمـان، وتخـرج في كليـة القانـون، قبـل أن يلتحـق بالقـوات المسـلحة السـودانية الدفعـة ٣١، متنقـلًا في وحداتهـا إلى أن

وصـل إلى رتبـة اللـواء.

وذكـرت أيضًـا أنـه عمـل بالملحقيـة العسـكرية بسـفارة السـودان بالريـاض، قبـل أن يعـود إلى السـودان.

الفريق ركن شمس الدين كباشي

اختـير ليكـون الناطـق الرسـمي باسـم المجلـس العسـكري الانتقـالي، وهـو أيضًـا نائـب رئيـس أركان القـوات البريـة والتدريـب السـودانية.

الفريق ركن ياسر عبد الرحمن العطا

يحمـل رتبـة فريـق ركـن، وسـبق أن قـاد الفرقـة ١٤ مشـاة، وتـولى مواجهـة التمـرد في جنـوب كردفـان. وكذلـك شـغل العطـا منصـب قائـد قـوات حـرس الحـدود «الجنجويـد». ويعتـبر مـن الشـخصيات المؤثـرة في القـوات المسـلحة السـودانية.

الفريق ركن مصطفى محمد مصطفى

عـين البشـير الفريـق مصطفـى محمـد مصطفـى رئيسًـا لهيئـة الاسـتخبارات العسـكرية في ١٨ سـبتمبر/أيلول ٢٠١٨، بعـد ترقيتـه مـن رتبـة لـواء، خلفًـا للفريـق ركـن جمـال عمـر.

اللواء مهندس بحري إبراهيم جابر

بقـي أن نشـير إلى أن المذكوريـن أعـلاه هـم ذات الجـنرالات المكونـين للجنـة الأمنيـة الـتي كان قـد شـكلها الرئيـس المخلـوع

بغـرض تضييـق قبضـة الخنـاق عـلى رقـاب المغضـوب عليهـم مـن الشـعب السـوداني، وهـو مـا يعـزز فرضيـة أن العسـكر قـد يلعبـون عـلى العقـول في مسرحيـات معلومـة المغـزى.

# الأفعى المخنوقة!

في حوار لي مع أحد الحكماء حول الراهن السوداني وتمسك قوى إعلان الحرية والتغيير بمطالبها وموقفها والتزام مواقعها في الاعتصام أمام أسوار القيادة العامة في ظل محاولة المجلس العسكري نهب الثورة وتسفيه مكوناتها وتصفيتها.. شبّه هذه المرحلة بالشخص الذي ظل يتلقى اللدغة تلو الأخرى من حية عملاقة سامّة احتلت جانبًا من منزله وما فتئت تصطاد من أبنائه في كل مرة لتقتاته.. ورغم تلك اللدغات المتتالية لم يتقهقر الرجل أو يتوانَ عن الدفاع عن أطفاله المستهدفين من قبل تلك الأفعى، حتى أضحى كل جزء من أجزاء جسمه داميًا بفعل اللدغات في أثناء المقاومة.. فطفق يبتكر أساليب وطرقًا أكثر ذكاء سعيًا منه للوصول إلى سانحة مناسبة تمكنه من إحكام قبضته على عنق الأفعى.. إلى أن تمكن مؤخرًا من الإطباق عليها بعد أن بلغ التعب والإرهاق منهما كل مبلغ.. ورغم

فرحته القوية بهذا الانتصار إلا أنه وجد نفسه أمام واقعين أحلاهما مر.

إما أن يظل ممسكًا بعنق الأفعى بكل ما أوتي من قوة رغم السياط التي تلهب ظهره ورقبته جراء فرفرة الأفعى التي تحاول هي الأخرى أن تجد طريقها إلى التحرر من القبضة.. حتى (تفطيسها) وإما أن ينصاع لضربات السياط وسخونة القبضة والتفافها حوله فيستسلم ويطلق سراح الأفعى الهائجة السامة الجائعة، وفي هذه الحالة ستنقض عليه الأفعى وتلتقمه انتقامًا وهو مليم.

فإذا ما صبر على خنق الأفعى للحظات قليلة قادمة فستلفظ أنفاسها الأخيرة لا محالة، إما جوعًا وعطشًا وإرهاقًا وغيظًا.. وإما تأثرًا بالخنقة، وحينها سيتخلص منها الشخص وإلى الأبد.

بالوقوف عند التشبيه أعلاه نجد أن وضع قوى ثورة ديسمبر يطابق من حيث المشبه والمشبه به ووجه الشبه واقع هذا الرجل الذي استطاع بعد جهد وعناء أن يمسك بعنق أفعاه.

وأي أفعى أنقع سمًّا وأوحش وأبشع وأنتن لدغة وأحقد من عصابة المؤتمر الوطني التي عمدت منذ ظهورها إلى تغيير جلدها كالأفعى.. فتارة تتسمى بالجبهة القومية الإسلامية، وتارة بجبهة الميثاق الإسلامي، ثم ثورة الإنقاذ الوطني،

فالمؤتمريـن الوطـني والشـعبي، مـرورًا بالمجلـس العسـكري رقـم واحـد، وانتهـاءً بالمجلـس العسـكري رقـم اثنـين، وهكـذا دواليـك...

قـد يسـتغرب البعـض مجـرد التفكـير حـول حقيقـة تلـوّن المجلـس العسـكري الانتقـالي برئاسـة الفريـق أول ركـن عبـد الفتـاح البرهـان ويقـف البعـض مشـدوهًا أمام تلـك التصريحات المسـتفزة التي نفثهـا نهـار السـبت 20 أبريـل 2019 مـن خـلال حـواره مـع تلفزيـون السـودان القومي ولقائـه مـع الضبـاط مـا فـوق الرائـد!

بيـد أن مـا بـدا للعيـان لا يعـدو كونـه ظهـورًا للوجـه الحقيقـي للبرهـان الـذي لطالمـا حـاول المجلسـان إخفـاءه، غـير أنهمـا سرعـان رسـبا أمـام امتحانـات شـباب الثـورة العباقـرة، وهـو مـا عجـل بانهيـار مجلـس الفريـق أول عـوض بـن عـوف بعـد سـويعات فقـط.. ومـا أطالـت مـن عمـر مجلـس البرهـان إلا تلك المواقـف الضبابيـة الـتي تفـاءل بهـا البعـض خـيرًا.. ليتبـين لاحقًا أنـه مجـرد مجلـس انتقامـي ضـد تطلعـات الشـعب السـوداني، الـذي قـذف برئيسـهم السـابق إلى سـلة مبولـة التاريـخ.

ليبقـى أمـام الثـوار خيـار واحـد لا ثـاني لـه.. هـو اليقظـة والتعامـل الجـاد مـع تلـك الأفعـى حـتى لا يبقـى ممـا ينسـب لجماعـة الإخـوان المسـلمين الإرهابيـة بالسـودان إلا تاريخهـم الدمـوي.

الفصل الثاني عشر

# «العسكر يريد التفويض»

# من هم كتائب الطحن والسحن؟!

عـادة مـا يلجـأ مفلسـو الفكـر والعقلانيـة مـن الطغـاة إلى استخدام اليـد والرجـل ضـد مـن يهزمونهـم بالمنطـق والعقـل مـن عامـة الشـعب، كتعويـض عمـا يفتقـرون إليـه مـن مقارعـة الحجـة بالحجـة بغـرض الإيحـاء للطـرف الآخـر بأنـه يملـك مـن القـوة والبـأس مـا لا يملكـون، مـن بـاب إذا كنتـم ذوي فكـر وعقـل.. فنحـن ذوو بطـش وقتـل.

أكاد لا أصـدق عيـني وأنـا أتابـع المؤتمـر الصحفـي الـذي عقـده المجلـس العسـكري في الثانيـة مـن صبـاح يـوم الثلاثـاء ١٤ مايـو ٢٠١٩، بحضـور رئيـس هيئـة الأركان وقائـد العمليـات العسـكرية وقائـد شـعبة الاسـتخبارات العسـكرية وقائـد الفرقـة السـابعة مشـاة وقيـادة منطقـة الخرطـوم وقائـد العمليـات بالدعـم السريـع إضافـة إلى الناطـق الرسـمي باسـم المجلس العسـكري، حـول مـا جـرى مـن مجـازر بحـق المعتصمـين بالقيـادة العامـة وشـارع النيـل وكوبـري الحديـد ومدخـل جامعـة الخرطـوم وغيرهـا مـن أجـزاء مقـر الاعتصـام المحيطـة بالقيـادة العامـة

مساء الاثنين الثامن من رمضان الموافق ١٣ مايو ٢٠١٩، إذ إن ما صرح به قادة القوات المسلحة خلال المؤتمر الصحفي من أقوال تغاير تمامًا ما شاهدناه وشاهده الملايين من الشعب السوداني عبر اللايفات المنقولة من أرض الحدث والتي تبث بوضوح انكباب عشرات من التاتشرات العسكرية المحملة بقوات تابعة للدعم السريع -حسبما بدت- على المعتصمين أمام بوابة جامعة الخرطوم في أثناء الإفطار وإمطارهم ضربًا بالهراوات والعصي قبل أن تتوعدهم بـ«الطحن»!

فقد أجمع المتحدثون من ممثلي قوات الشعب المسلحة على أن ما جرى كان استهدافًا مباشرًا لقوات الجيش المتمركزة أمام المعتصمين لفك المتاريس، وأن قوات مسلحة مندسة من ناحية البحر والكوبري حيث تمركُز الثوار هي من أطلقت النار تجاه الجيش فأصابت من أصابت وقتلت من قتلت من الثوار والجيش على حدٍّ سواء، ففضل الجيش الانسحاب حفاظًا على أرواح المدنيين المعتصمين ولم يطلق رصاصة واحدة!

إن إنكار القبيح لأمر بديهي جبلت عليه البشرية جمعاء، لكن الإنكار وحده غير كافٍ لتبرئة الجاني، خصوصًا عندما تتوفر الأدلة الدامغة التي تثبت تورطه بالصوت والصورة المباشرة مصحوبة بتلك الإرهاصات والتهديدات التي تؤكد النية المبيتة من قبل تلكم الجهات لطحن المعتصمين مع

سبق الإصرار والترصد، علاوة على تلك النظرات الواضحات والهمسات والهمزات واللمزات والغمزات اللا شعورية التي وزعها الضباط المتحدثون والتقطتها كاميرات البث المباشر خلال المؤتمر الصحفي، والتي تعكس بدورها هي الأخرى أن فاعل الحدث هو هذا المتحدث أمامنا لا غيره.

فتعمد تجاهل الضباط المتحدثين لنتائج هذه المجزرة التي خلفت العشرات من المصابين بجانب أكثر من أربعة قتلى وتركيزهم على أمر تصعيد المعتصمين وتصلّبهم أمام المتاريس والإشادة بدور القوات المسلحة في إزالة جزء منها وعدم اكتراثهم هذا بتلك الدماء التي سُكبت مدرارًا لأمور تفضح ما حرصوا على إخفائه وتعريه.

وما همسات قائد شعبة الاستخبارات الاستهتارية حول سلمية الثورة وحديثه عن تكدس الشاحنات التموينية المتجهة إلى دارفور في الخرطوم بسبب التروس، إلا شرح واضح لما خفي من سوء النيات.

حديث قائد عمليات الدعم السريع بخصوص الاستفزاز الصادر من بعض المعتصمين وتلميحه بأحقية قواته في اقتسام كعكة الثورة -دون مزايدة من أحد- زلة أخرى تكشف القناع عن القاتل المتخفي بثوب البراءة.

كما أن إشارات الناطق الرسمي باسم المجلس العسكري بخصوص طلب جديد ينوي المجلس تقديمه في لقاء الغد

بقـوى الحريـة والتغيـير نقطـة تحمـل دلالات تبـين أن هـذه الحادثـة مفتعلـة مـن قبـل المجلـس العسـكري نفسـه وبتخطيط مـن قـادة النظـام السـابق الذيـن مـا فتئـوا يسرحـون ويمرحـون دون حسـيب، للضغـط عـلى الثـوار للتنـازل عـن بعـض مـا تـم التوصـل إليـه مـن اتفـاق قبيـل هـذه المجـزرة.

فـلا منـدس ولا كتائـب ظِـل ولا جماعـة جهاديـة ولا ثـورة مضادة غـير المجلـس العسـكري الـذي يحـاول جاهـدًا التـذاكي عـلى مـن يفوقونـه عقـلًا وفكـرًا ودهـاءً ويسـعى بـكل مـا أوتي مـن مكـر ودهـاء لإعـادة إنتـاج النظـام البائـد وتخليـص المجرمـين منهـم مـن ملاحقـة عدالـة السـلطة المدنيـة ريثمـا يلتقطـون الأنفـاس ليعـودوا مـرة أخـرى بصـورة أكـثر وحشـية ودمويـة.

وإلا فمـا المانـع مـن أن يـسرع المجلـس العسـكري في حـل كتائـب الظـل وتجريدهـا مـن عتادهـا الحربيـة واعتقـال قادتهـا عـلى الأقـل وكل مـن يثبـت تورطـه في قتـل أبنـاء الشـعب السـوداني وتعذيبـه؟

ولمـاذا الانسـحاب مـن مواجهـة تلـك القـوات المندسـة -حسـب قولهـم- وتـرك المعتصمـين العـزل أمـام وابـل مـن الرصـاص لأكـثر مـن ثـلاث سـاعات أو يزيـد؟

ولمـاذا لـم يتـم الإعـلان عـن تلـك الجهـات طالمـا هـي ليسـت تابعـة للدعـم السريـع ولا القـوات المسـلحة؟

حـتى تتوفـر الإجابـات المقنعـة عـلى هـذه التسـاؤلات وغيرهـا

مـن خـلال أفعـال لا أقـوال، يظـل المجلـس العسـكري هـو المتهـم الوحيـد الـذي يقتنـص أرواح المعتصمـين بغيـة إركاعهـم وتمريـغ أنوفهـم الشـامخة، لكـن هيهـات.. هيهـات.

# العسكر يريد

مـا جعلـني أشـم روائـح قويـة لانقـلاب عسـكري وشـيك جـدًّا تنبعـث مـن بـين ثنايـا خطابـات القـادة العسـكريين في لقائهـم الحمـاسي الحاشـد الـذي تـم صباح الاثنـين ٢٥ أغسـطس ٢٠٢٠ في قيـادة وادي سـيدنا، هـو أن المسـألة ليسـت كمـا تبـدو للعيـان مـن أنـه صراع -ومجابـدة- بـين مكونـات الحكومـة الانتقاليـة -المدنيـين والعسـكر- حـول اسـتئثار الأخـير بالمـوارد الاقتصادية القوميـة الكـبرى الـتي تمثـل ٨٣٪ مـن جملـة اقتصـاد السـودان، كمـا صرح بذلـك رئيـس الـوزراء عبـد الله حمـدوك، وجـنّ بـه جنـون العسـكر.

وليسـت المسـألة كمـا يتخيلهـا جـلُّ الشـعب السـوداني مـن أن الشـق المـدني يحـاول الاسـتيلاء عـلى اسـتثمارات القـوات المسـلحة وتجريدهـا وشـلها تمامًـا عـن التطويـر الحـربي والاسـتثمار الصناعـي الـتي تُحتمهـا واجبـات الاسـتراتيجية الدفاعيـة والأمنيـة كغيرهـا مـن جيـوش العالـم الـتي تسـاهم في النهـوض باقتصـاد بلدانهـم عـن طريـق فتـح متاجـر وزوايـا

وصوامـع للمـواد الغذائيـة بأسـعار مخفضـة لرفـع المعانـاة عـن كاهـل المواطـن مـن جهـة، وترغـم القطـاع الخـاص عـلى الالـتزام بأسـعار السـلع مـن جهـة أخـرى.

المسألة -عزيـزي القـارئ- أن هنـاك نظامًـا اضطـر بفعـل إصرار الشـعب السـوداني الثائـر أن يلعب دور الوكيـل في مسرحية تبادل أدوار وإيـكال الأمـر لأتبـاع وزمـلاء وإخـوان وحلفـاء مخلصـين، بعـد أن اسـتنفد كل حيلـه ومكـره وكذبـه وتدليسـه طـوال ثلاثـة عقـود، نـادى خلالهـا في النـاس بـأن ثمـة اسـتهدافات خارجيـة مـن قبـل عمـلاء وجهـات تسـتهدف وحـدة البـلاد وعقيدتهـا وعروبتهـا وأمنهـا واسـتقرارها وخيراتهـا وثومهـا وعدسـها وبصلهـا وفولهـا وفحولتهـا وأولياءهـا الصالحـين.. فصـدق الشـعب ولـبى النـداءات كلهـا وبـارك كل تلـك الحـروب العبثيـة ولعنـوا إسرائيل وروسـيا وأمريـكا لإخـراج المسرحيـات بصـورة مُرضيـة.

وعندمـا انقشـعت غيـوم الزيـف، انكشـفت الحقائـق وعـرف الشـعب مـن هـم العمـلاء والقتلـة واللصـوص والكذابـون وأعـداء البـلاد وعقيدتهـا ولاعقـو أحذية تلـك الـدول سِرًّا وعلانية

وتلك قصص أخرى.

ويلـوّح بـأن القـوات المسـلحة وحينمـا يـصرح السـيد البرهـان بـأن الثـورة لـم تغـير شـيئًا، ويصـف الـشركاء المدنيـين بالفشـلة مثلمـا اسـتجابت للشـعب في أبريـل الآن رهـن إشـارة الشـعب لتجيـب، وينفلـت منـه مهـر لسـانه الجمـوح سـهوًا ليقفـز

بـه عاليًـا صـوب مفـردة «الانقـلاب» قائـلًا: «لـن ننقلـب عـلى الشـعب» مـع أن محـور حديثـه لا يمـتّ إلى الانقـلاب بصلـة، فاعلـم أن «لـن» في لغـة العسـكر المأدلجـين الطائعـين الذيـن مـا برحـوا يأتمـرون بأوامـر نظـام ظننـاه سـاقطًا تعـني «سـوف».

وحينمـا يزمجـر يـاسر العطـا غاضبًـا مـن شيء مـا، ويحـاول التملـق بدهائـه المعهـود للجنـة التفكيـك الـتي يترأسـها هـو، ويجـزم بأنهـم عـلى اسـتعداد للمحاسـبة إذا ثبـت تورطهـم -كقـوات مسـلحة- في جريمـة فـض الاعتصـام، فذلـك يعـني باختصـار أننـا لـن نسـمح بحـدوث المحاسـبة وفي يدنـا ذات السـلاح الـذي نفـذت بـه جميـع المجـازر في السـودان.

وعندمـا يبـدي الفريـق الحسـين ناجذيـه اسـتعدادًا لمزيـد مـن «الكنكشـة» في الـشركات الأمنيـة الـتي اسـتقطعت أساسًـا مـن لقمـة الشـعب السـوداني لأغـراض غـير الـتي ذُكـرت آنفًـا وليـس مـن مرتبـات الجنـد، لدرجـة أن ينعـت الهاتفـين باسـترداد تلـك الأمـوال إلى جيـب وزارة الماليـة بـ«المواهيـم»، فاعلـم بـأن كل شيء يجـري بتخطيـط وخطـوات ثابتـة لاسـتدراج السـودان نحـو أزمـة اقتصاديـة أشـد ممـا هـو عليهـا الآن سـعيًا لتأديـب الشـعب الـذي عـصى ولـم يُجـدِ معـه العصـا فيمـا مـضى، بجانـب السـعي لتنفـيره ممـا يسـمى بالحكـم المـدني وإجبـاره للعـودة إلى حضـن العسـكر والركـوع بـين يديـه وتقبيـل «البـوت والدبشـك» اللذيـن لطالمـا أشـبعاه ضربًـا وركلًا طيلـة العقـود الماضيـة .

فـإذا مـا قـدر لذلـك الحـدوث، فسـوف تصبـح البـلاد في يـوم مـا لتفاجـأ بعـودة النظـام السـابق بشـحمه ولحمـه إلى حلبـة الرقــص، وعــودة الثــوار الشرفــاء إلى المعتقــلات ومنهــا إلى القبـور الجماعيـة المجهولـة، وحينهـا سـتجد كل شيء قـد عـاد إلى أسـوأ ممـا كان عليـه في السـابق، ولـن تقـوم للثـورة الحاليـة ولا القادمـات قائمـة.

وغدًا ستكشف الأيام ما صمتت عنه الألسن والأقلام.

# عبد الخالق يستعير لغة المعزول

تُعرّف الحرب لغة كما ورد في معجم المعاني الجامع أنّها: قتال بين فئتين.

وفي القانون الدولي العام فإن التعريف التقليدي للحرب هو أنّها عبارة عن نزاع مسلّح بين فريقين من دولتين مختلفتين، إذ تُدافع فيها الدول المتحاربة عن مصالحها وأهدافها وحقوقها، ولا تكون الحرب إلّا بين الدول.

أما التعريف الحديث للحرب فقد تم توسيعه ليشتمل على أي نزاع مسلح ولو لم تتوافر فيه عناصر التعريف التقليدي من امتلاك الجماعة المسلحة لصفة الدولة، كما أصبحت النزاعات الأهلية التي تحدث في نفس الدولة تندرج تحت اسم الحرب.*

إذن فإنّ كلمة «حرب» تشير بمعناها اللغوي إلى القتال، وليس شرطًا أن تكون عادلة وإنما قد تكون لوقوع العدوان من طرف على طرف آخر، وهي عبارة عن صراع بين طرفين

[37] معجم المعاني الجامع

يسعى كلٌّ منهما للتغلب على الطرف الآخر وتدمير قوته وكيانه.

تملكتني الدهشة وأنا أطالع ما أوردته صحيفة «سودان تربيون» من تصريحات لعضو المجلس العسكري الفريق طيار صلاح عبد الخالق عضو المجلس العسكري أمام حشد من الإدارات الأهلية نهار الخميس ٣٠ مايو ٢٠١٩، والذي ألمح خلالها وبصورة أقرب إلى التحدي اللا مدروس الذي اعتاد الرئيس المخلوع عمر البشير إطلاقه بين كل حين وآخر، بأن السلطة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق «الحرب» فقط لا غير.. «إن السلطة يمكن تسليمها فقط إذا انتصرت قوى الحرية والتغيير في الحرب على المجلس العسكري».*

وفي أول لقاء مباشر بين المجلس العسكري ووفد قوى الحرية والتغيير، فضحه الميكروفون عندما همس لأحد زملائه بالقول «أنا أكعب من حميدتي.. لكن هم ما عارفنّي ساي»، ليؤكد لمستمعيه أنه ما طفق يتدثر بتلك العقلية التي أوصلت السودان إلى ما هو عليه! إن مثل هذه التصريحات الخطيرة هي نفسها التي أشعلت النيران في أرجاء السودان المختلفة والتي لا تزال مستعرة تطحن بنات هذا الوطن وأبناءه بلا رحمة.

---

[38] صحيفة "سودان تربيون" العدد المشور بتاريخ 2019\5\30

ولعـل مـن نافلـة القـول التذكـير هنـا بـأن أهـم عوامـل إذكاء نـار الحـرب في دارفـور هـي لغـة الرئيـس المخلـوع عمـر البشـير العنجهيـة عندمـا ظهـرت بـوادر الثـورة المطلبيـة في دارفـور فقـد قـال فيمـا قـال: «نحنـا السـلطة دي جيبناهـا بالبندقيـة.. والدايرهـا اليشـيل سـلاحه ويجـي»، فـكان لـه مـا أراد ومـا لـم يـرد.

فقـد قبـل أبنـاء دارفـور التحـدي وحملـوا السـلاح في مطلـع العـام ٢٠٠٣، وعندمـا تدخـل بعـض الحكمـاء كالفريـق إبراهيـم سـليمان والي شـمال دارفـور الأسـبق لحث البشـير عـلى التفاوض مـع الثـوار والاسـتماع إلى مطالبهـم قبـل اسـتفحال المسـألة، صـب البشـيرُ الزيـتَ عـلى النـار بتصريـح أكـثر سـماجة، قائـلًا بعـد فاصـل «كارب» مـن الرقـص أمـام الجمهـور: «نحـن لـن نجلـس مـع قطـاع الطـرق ورعـاة خارجـين عـن القانـون...».

لـم ينتبـه النظـام إلى نتيجـة تهوراتـه اللفظيـة إلا عندمـا فوجـئ بـدويّ المدافـع تهـز أركان إحـدى أكـبر قواعدهـا الاسـتراتيجية بشـمال دارفـور في السـاعة ٥:٣٠ مـن صبيحـة يـوم الجمعـة الموافـق ٢٥ أبريـل ٢٠٠٣ عندمـا دخلـت قـوة مشـتركة مـن جيـش تحريـر السـودان وحركـة العـدل والمسـاواة تسـتقل ٣٣ سـيارة لاندكـروزر الفـاشر وهاجمـت موقعًـا عسـكريًّا، فدمـرت أربـع طائـرات الأنتونـوف وثـلاث مروحيـات هليكوبـتر عـلى الأرض، وقتلـت ٧٥ جنديًّـا طيـارًا وتقنيًّـا وأسرت ٣٢، بمـا في ذلـك قائـد القاعـدة الجويـة اللـواء طيـار إبراهيـم البـشرى، واقتادتهـم إلى

(المناطق المحررة) في غارة لم يسبق لها مثيل في السودان.

أذلت تلك الغارة النظام البائد، فأصبحت الحكومة في وضعية استراتيجية صعبة، تلتها انتصارات ساحقة للثوار ضد الحكومة، ففي الأشهر الوسطى من ٢٠٠٣ انتصرت ثورة دارفور المتمثلة في حركتي العدل والمساواة وجيش تحرير السودان في ٣٤ من أصل ٣٨ اشتباك، في مايو دمر جيش تحرير السودان كتيبة في كتم، فقتل ٥٠٠ وحرر ٣٠٠ سجين، وفي منتصف يوليو قتل ٢٥٠ في هجوم ثانٍ على تين. ثم بدأ جيش تحرير السودان في التوسع شرقًا، مهددًا بنشر الحرب في كردفان.

هذه الهجمات التي كانت تحولًا لافتًا في نشاط الثورة في دارفور لم تأتِ إلا نتيجة حتمية للغة الغطرسة التي انطلقت كالصاعقة من أفواه قادة حكومة الإنقاذ، في ظل عدم قناعة القوات المسلحة بقتال شعبها في دارفور بعد حرب عبثية استمرت لأكثر من عشرين عامًا في جنوب السودان.

فلم تجد الحكومة بُدًّا من تفعيل دور ميليشيات الجنجويد التي استخدمتها سابقًا لقمع انتفاضة المسالیت من ١٩٨٦ إلى ١٩٩٩. أصبح الجنجويد بعد ذلك محور استراتيجية مكافحة التمرد الجديدة بعد أن تحطمت مراكب الجيش في صخرة إرادة شعب دارفور الثائر، فقامت ميليشيات الجنجويد الدارفورية -بعد تسليحها اللا محدود- بتغيير مسار الحرب لصالح الحكومة.

أعتقـد أن هـذه المرحلـة المفصليـة مـن تاريـخ السـودان يسـتوجب ضبـط الألفـاظ أو الـتزام الصمـت نهائيًّـا.. سـيما عندمـا يتعلـق الأمـر بالحـرب، لأن مثـل هـذه الاسـتفزازات كان مـن شـأنها أن تدفـع المعتصمـين بالقيـادة العامـة عـلى اعتـلاء سـيارات الدفـع الرباعـي وحمـل السـلاح بـدل «الصَـبّ» واعتـلاء كوبـري النفـق والمتاريـس.. خصوصًـا وأن قـوى الحريـة والتغيـير -في ذلـك الوقـت- كانـت تضـم في مكوناتهـا ذات الحـركات المسـلحة الـتي اسـتطاعت في يـوم مـا أن تـدك حصـن النظـام البائـد داخـل أمدرمـان وقبلهـا الفـاشر كمـا أسـلفت.

يلاحـظ أن تصريـح عبـد الخالـق هـذا كان آخـر تصريـح رسـمي يصـدر مـن جهـة رفيعـة المسـتوى قبـل وقـوع مجـزرة القيـادة العامـة أي بعـد يومـين فقـط، وهـو مـا يضـع مئـات مـن علامات الاسـتفهام كلمـا ورد ذكـر تلـك المجـزرة البشـعة.

الفصل الثالث عشر

# "حدث ما حدث"

# مجزرة فض الاعتصام

تكاد السماوات يتفطرن من فوقنا، وتتشقق الأرض، وتخرّ الجبال هدًّا لهول ما ارتكبت من مذابح طالت أعدادًا أعجز الجميع حصرها.. لتترك على فضاءات القيادة العامة سُحبًا كثيفة من الدخان التي تجمعت لترسم علامة استفهام كبيرة حول من هو الآمر بفض الاعتصام بهذه الطريقة الوحشية؟!

هل هو الفريق أول عبد الفتاح البرهان رئيس المجلس العسكري الانتقالي؟

أم أن الفريق أول/ عمر زين العابدين، والفريق أول/ جلال، والفريق أول/ الطيب بابكرالذين كانوا قد أرغموا على الاستقالة من عضوية المجلس العسكري تحت ضغوط من المعتصمين بعد أن انجلت حقيقة ولائهم المطلق للنظام السابق هم من عادوا منتقمين برفقة الآلاف من عناصر كتائب الظل لتأديب المارقين الملحدين؟

أم أن الأمـر برمتـه قـد أوكل إلى المرتزقـة مـن الجنجويـد وجماعـة بكـو حـرام وحركـة إسـكود الذيـن أوفـدوا مـن دول تشـاد والنيجـر ونيجريـا والكاميـرون ومـالي وإفريقيـا الوسـطى وجنـوب ليبيـا بزعامـة نائـب رئيـس المجلـس العسـكري الفريـق أول حميـدتي؟

أم أن جماعـة نـصرة الشريعـة هـي الـتي اسـتلت سـيوف الجهـاد لكبـح جمـاع بـني العلمـان والشـيوعيين إرضـاء لله ولعبـاده المؤمنـين وصونًـا للشريعـة الإسـلامية الـتي سـوف تنهـار بـزوال دولـة أمـير المؤمنـين عمـر بـن أحمـد البشـير إن لـم يتـم القضـاء عـلى مـن تسـبب في إسـقاطه؟!

ظلـت تلـك السـحب الدخانيـة وعلامـات الاسـتفهام عالقـة في الفضـاء لعـشرة أيـام ولياليهـا، إلى أن انقشـعت بصـورة نهائيـة مسـاء الخميـس ١٣ يونيـو٢٠١٩ مـن خـلال المؤتمـر الصحفـي الـذي عقدتـه اللجنـة السياسـية بالمجلـس العسـكري عـلى لسـان الناطـق الرسـمي والمسـؤول السـياسي الفريـق شـمس الديـن الكبـاشي وبـكل وضـوح أن: «المجلـس العسـكري هـو الـذي أمـر بفـض الاعتصـام في الخرطـوم.. في الليلـة مـا قبـل الحادثـة عقدنـا اجتماعًـا حـضره القـادة العسـكريون.. رئيـس المجلـس العسـكري وأعضـاؤه، ورئيـس هيئـة الأركان ورئيـس المخابـرات العسـكرية، ومديـر جهـاز الأمـن والمخابـرات ونائبـه ومديـر عـام الشرطـة ونائبـه، ورئيـس القضـاء والنائـب العـام للاتفـاق عـلى فـض الاعتصـام.. ثـم أمـر القـادة العسـكريون

بالتخطيط لإنهاء هذا الاعتصام وفقًا للإجراءات العسكرية المعروفة.. وحدث ما حدث).

وحسبما نقلته قناة الغد الفضائية من تصريحات يقول الكباشي: «في الليلة السابقة للتنفيذ دعونا لاجتماع موسع، حضره كل أعضاء المجلس العسكري الانتقالي، حضره كل قادة القوات النظامية وقادة المسلحة، رئيس الأركان ومجموعته، ورئيس الاستخبارات العسكرية، مدير جهاز الأمن والمخابرات الوطني ونائبه، مدير عام الشرطة ونائبه، وقائد قوات الدعم السريع.. وطلبنا أيضًا من السيد رئيس القضاء والنائب العام أن يحضروا هذا الاجتماع، لتقديم المشورة القانونية.

ويضيف الكباشي قائلًا: كل اللي ذكرتهم كانوا حضور في ذلك الاجتماع وأخذنا الاستشارات القانونية اللازمة في كيفية التعامل مع مثل هذه الظروف وفي هذه المنطقة الحساسة، وشاكرين السيد رئيس القضاء والنائب.. قدموا لنا الاستشارات اللازمة، ثم خرجوا.

ومن ثمّ وجهت القيادات العسكرية بالتخطيط لفض هذا الاعتصام وفق الإجراءات العسكرية والأمنية المعروفة.

القيادات العسكرية ذهبت وضعت خطتها العسكرية، ونفذت.. وحدث ما حدث».[39] انتهى.

وبما أن الاعتراف عند فقهاء القانون هو دليل الإثبات

الأول في ترتيب أدلة الإثبات الجنائية، وهو سيد الأدلة كما يقال، فقد قطعت إفادات الناطق الرسمي باسم المجلس العسكري ورئيس اللجنة السياسية بالمجلس العسكري الفريق شمس الدين الكباشي قول كل خطيب أو محلل كان يسعى لجمع البراهين والقرائن لسحب الغطاء عن وجه الجهة التي فكرت وقدرت وخططت وأمرت بفض اعتصام القيادة العامة في ٢٩ رمضان ٣ يونيو ٢٠١٩ بهذه الطريقة التي تقشعر لها الأبدان، بعد أن أنكرت كل الجهات المذكورة علاقتها بما جرى رغم الأدلة القاطعة من فيديوهات وصور وإفادات الناجين التي تظهر خلاف ما كانوا يدعون.

وليس أوضح من ذلك ما أدلى به جنديٌّ كان يعمل في الشرطة «للراكوبة نيوز» ونقله موقع اسبوتنك عربية الذي جاء فيه: «كشف شرطي عن امتلاكه أدلة تثبت تورط ضباط من الشرطة في فض الاعتصام، مناشدًا الثوار والرأي العام الوقوف إلى جانبه في محاكمته العسكرية التي ستجرى في العشرين من الشهر الجاري (سبتمبر٢٠١٩) على خلفية انحيازه للثورة ومشاركته في مواكب الحراك التي أدت إلى إسقاط النظام.

ووفقًا لصحيفة «الراكوبة نيوز»، قال الجندي: «وقفتُ إلى جانب الثوار منذ ١٢ ديسمبر/ كانون الأول وتمردت على العمل بالشرطة وشاركت في المواكب، وعندما أصدر رئيس المجلس العسكري الفريق ركن عبد الفتاح البرهان قرارًا

بإعـادة كل النظاميـين الذيـن انحـازوا للثـورة إلى وحداتهـم العسكرية عـدتُ لعملي، إلا أن الكيزان بـإدارة الشرطـة تربصـوا بي».

وكشـف الجنـدي عـن تدريـب عـدد مـن الشرطيـين لفـض الاعتصـام في معسـكر الرويـان بالقـرب مـن مدينـة شـندي، متابعًـا: «تـم ترشيحي للـدورة ورفضـت ذلـك، وتـم ترشيحي مجـددًا لـدورة حـرب المـدن، وأرجـع إقـدام قيـادات المؤتمـر الوطـني عـلى تصميـم تلـك الـدورة بسـبب توقعاتهـم لنشـوب حـرب مـدن بالخرطـوم»، وأكـد الجنـدي الشرطـي امتلاكـه لأدلة تثبـت تـورط ضبـاط.

وحـول المخاطـر الـتي قـد يتعـرض لهـا بسـبب تصريحاتـه، أوضـح: «اتصـل بي ١٧ محاميًـا مـن تحالـف المحامـين وأبلغـوني بخطـورة مـا ذكرتـه».

وأتـم الجنـدي: «لسـت خائفًـا لأن قضيـتي تحتـاج إلى الضغـط الشـعبي»، مؤكـدًا امتلاكـه كافـة الأدلـة الـتي تؤكـد تـورط أطـراف متعـددة.

إلا أنـه قـد تعـرض للتصفيـة بعـد شـهر فقـط مـن جلسـة محاكمتـه الأولى، بعـد أن أحـس بالخطـر يحـدق بـه داخـل السـودان، فقـرر الهـرب إلى القاهـرة، لكـن يبـدو أن أذرع الغـدر امتـدت لتصلـه حيـث هنـاك.

ففـي الخامـس مـن نوفمـبر ٢٠١٩ أوردت صحيفـة صـوت

الهامش خبرًا مفاده «توفي الشرطي نزار النعيم الذي سبق وأن أعلن امتلاكه أدلة تكشف تورط قيادات رفيعة في جريمة فض اعتصام القيادة العامة للجيش في ٣ يونيو ٢٠١٩ توفي بجمهورية مصر العربية في ظروف غامضة». [*]

ليغلق ملفه بعد مقتله بساعات، فيما اندلعت مظاهرات منددة بمقتله في حي العباسية بأمدرمان موجهين أصابع الاتهام نحو الدعم السريع والمجلس العسكري.. إلا أن تلك النداءات لم تلفت انتباه أحد.

لكن المثير للضحك حد البكاء هو أن المجلس العسكري لا يزال مُصرًّا على إجراءات التحقيق في قضية فض الاعتصام للوصول إلى الجناة القتلة، المخططين منهم والمنفذين، مع رفض أية جهة أخرى خارجية كانت أو داخلية للقيام بهذه المهام!

مع العلم أن جميع لجان تقصي الحقائق التي تم تكوينها منذ أيام رئيس لجنة النائب العام الوليد سيد أحمد محمود الذي كان قد أُرغم على الاستقالة، ما انفكت تعمل وبشكل مباشر تحت إشراف الفريق أول عبد الفتاح البرهان الذي يصفه المراقبون بأنه يعمل بكل إخلاص وجهد لإرضاء نزوات نائبه الفريق أول محمد حمدان دقلو «حميدتي» الذي يعمل هو الآخر لإرضاء صديقه وصانعه الأول وشريك

[39] قناة الغد الغضائية 13\6\2019- صحيفة صوت الهامش الإلكترونية في عددها الصادرة بتاريخ 5\11\2019

استثماراته الفريق طه عثمان الحسين الذي يعمل هو الآخر ابتغاء لمرضاة سيديه ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وولي العهد الإماراتي الأمير محمد بن زايد آل نهيان اللذين يعملان ويأملان أن يستمر تدفق الرقيق السوداني إلى محارق حرب فرقاء الخليج العبثية مقابل ريالات ودراهم معدودة في ظل بقاء المجلس العسكري مهما كان الثمن.

وقد أتقن الجميع ما أوكل إليهم من مهام.. فقط لنيل رضا كفلائهم واستحسانهم.. حتى حدث ما حدث.

فكانت نتيجة ذلك أن مات المئات إما حرقًا في الخيام المنصوبة بساحة الاعتصام، وإما غرقًا في البحر، وإما ضربًا مباشرًا بالرصاص.

إلا أن اللجنة لم توفق في التوصل بعد إلى الجناة حتى اللحظة. ووفقًا للتقرير الصحفي الذي نشره «العربي الجديد» يقول فيه «بعد عام على مجزرة فض اعتصام محيط القيادة العامة للجيش في العاصمة السودانية الخرطوم، لا مؤشرات في الأفق، بحسب مراقبين، للوصول إلى الجناة أو تقديمهم لمحاكمة عادلة، وهو ما دفع كثيرين إلى تصعيد مطالبهم باتجاه التحقيق الدولي. مع العلم أن المجزرة وقعت في ٣ يونيو/ حزيران ٢٠١٩، قبل يوم واحد من عيد الفطر، وبعد نحو شهرين من الإطاحة بنظام الرئيس المعزول عمر البشير، وأدت إلى مقتل أكثر من ١٢٨ معتصمًا، على أقل تقدير، وأصيب مئات آخرون، بينما لا

يـزال مصـير عـدد آخـر مجهـولًا.

أوقفـت المجـزرة المفاوضـات الـتي كانـت قائمـة بـين المجلـس العسـكري الانتقـالي الـذي سـيطر عـلى الحكـم في حينـه بعـد إسـقاط البشـير، وقـوى إعـلان الحريـة والتغيـير. غير أن وسـاطة إثيوبيـة دفعـت إلى اسـتئناف المفاوضـات وتوقيـع اتفـاق بـين الطرفـين، نـصّ أحـد بنـوده عـلى تشـكيل لجنـة تحقيـق وطنيـة، يحـقّ لهـا الاسـتعانة بالاتحـاد الإفريقـي، عـلى أن تعلـن نتائجهـا خـلال ٣ أشـهر مـن تشـكيلها. *

[40] قناة العربية الفضائية 3\6\2020

# شهداؤنا ما ماتوا.. قتلوهم الغُدّار

قال الجاحظ: «الغدر هو نقض العهد مطلقًا في لحظة لم تكن متوقعة ولا منتظرة».

فأن يصطلي المواطن بجحيم نظام مستبد، فيقوده العشم إلى الاعتصام أمام مقر القيادة العامة لقواته المسلحة -باعتباره الملاذ الآمن عند الشدائد- ثم يأتيه الغدر من حيث المأمن، لدرجة أن تُسد الأبوابُ في وجهه في تلك اللحظة الحرجة جدًّا من تاريخ القوات المسلحة والنضال السوداني، فهذا يسمى الغدر.

وأن يقف أفراد القوات المسلحة متفرجين من خلف الأسوار وهم يشاهدون أرواحًا تُنتزع وأعراضًا تُنتهك، ولهبًا يتصاعد حارقًا بشرًا أحياء في الخيام وهم في سابع نومهم غارقون، فهذا هو أم الغدر وأبوه وجدته.

لا يختلف الموت والتقتيل الذي جرى في صبيحة يوم الاثنين ٣ يونيو ٢٠١٩ في سوح القيادة العامة في العاصمة السودانية عما اعتاده مواطنو المناطق الملتهبة في أجزاء السودان

طـوال سـنوات نظـام البشـير، إلا في كونـه حظـي بالبـث المباشر عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي الـتي اسـتطاعت عبرهـا بعـض الفضائيـات الإخباريـة أن تقـوم بنقـل مجريـات الأحـداث عـلى الهــواء، وتوثيقهــا كأول عمليــات قتــل وحــرق جماعــي تنقــل بهـذه الكيفيـة.

مـا يعـني بداهـة أن مـا جـرى في القيـادة العامـة لا يعـدو كونـه عمـلًا روتينيًّـا ظـل يقـوم بارتكابـه الجيـش مسـنودًا بميليشـياته في «تنقـلي ودلامـي ولبـدو ومـرلا وطويلـة وأبـو زريقـة وصليعـة وهبيلـة وهيبـان ومـورني وشـقي كارو وامـبرو وكرمجـي وشـنقل طوبـاي وطـور وجبـال مـون وأبقـي راجـل وبلاتومـا وماريـار ويابـوس وقُفّـه والفـوج والمناطـق المحيطـة بجبـل مـرة» وآلاف أخريـات مـن القـرى والمناطـق الـتي لا يـزال مـن بقـي مـن سـكانها قابعـين في معسـكرات الـذل والجـوع في تلكـم الأقاليـم عـلى أيـدي ذات القـوات المسـلحة.

لكـن مـا يحـير اللـب ويوقـف عجلـة التفكـير، هـو أن يخـرج أحـد أبـرز قـادة القـوات المسـلحة والمتحـدث الرسـمي باسـم المجلـس العسـكري عـلى أجهـزة الإعـلام في مؤتمـر صحفـي متباهيًـا ومُقـرًّا بمشـاركة كامـل عضويـة المجلـس العسـكري بالإضافـة إلى رئيـس القضـاء والنائـب العـام للتخطيـط فيمـا حـدث، ومـع ذلـك، يسـلم الشـارع راضيًـا بمـا يشـكله ذات المجلـس مـن لجـان لتقـصي الحقائـق حـول مـا جـرى، وبـكل طيـب خاطـر ينتظـر منـه محاكمـة نفسـه بنفسـه!

لا أعتقـد أن أحـدًا عاقـلًا يتصـور أن تقـود تلـك التحقيقـات الجاريـة مـذ عـام إلى نتائـج تـرضي ذوي الشـهداء والمفقوديـن والجرحـى في أحـداث فـض الاعتصـام، إلا إذا توصلـت التحقيقـات إلى الفاعـل الحقيقـي لعمليـات القتـل والتحريـق في المناطـق المذكـورة آنفًـا.. لأن الجهـة الفاعلـة واحـدة وهـي معلومـة للجميـع.. والعدالـة لا تتجـزأ.

وإلا فسـيصبح الجميـع مشـاركًا في الغـدر بالشـهداء الذيـن مـا كان لهـم أن يموتـوا بتلـك الصـورة البشـعة لـو لا غـدر الغادرين وخـذلان المتخاذلـين.

# عام ونصف العام والجناة طلقاء

في نهايــة أكتوبــر/ تشريــن الأول المــاضي -٢٠١٩، ســمّى رئيــس الــوزراء عبــد الله حمــدوك المحامــي نبيــل أديــب رئيسًــا للجنــة، غــير أن ذلــك لــم يــرضِ الثــوار أو أسر الضحايــا، الذيــن أبــدوا شــكوكهم في قــدرة اللجنــة عــلى الوصــول للجنــاة، تحديدًا أعضــاء المجلــس العســكري المتهمــين المباشريــن بالتخطيــط لفــض الاعتصام وتنفيــذ تلــك الخطــط، حســب كل الشــواهد والأدلــة، ومــن بينهــا إفــادات شــهود عيــان حــضروا ليلــة الفــض والقتــل والســحل. وهــذا مــا أكدتــه ودعمتــه تحقيقــات أخــرى، مثــل تحقيــق منظمــة العفــو الدوليــة، الــتي أكــدت تــورط قــوات الشرطــة وجهــاز الأمــن وجهــاز المخابــرات الوطــني وقــوات الدعــم السريــع في الهجمــات المميتــة ضــد المعتصمــين. وأعــادت المنظمــة التذكــير بالاعــتراف العلــني للمتحــدث باســم المجلــس العســكري في ذلــك الوقــت، الفريــق الركــن شــمس الكبــاشي، بــأن المجلــس العســكري هــو الــذي أمــر بتفريــق المحتجــين.

ولـم تخـرج الشـكوك حـول إمكانيـة إفـلات قـادة المجلـس العسـكري مـن العدالـة، مـن الثـوار وأسر الضحايـا فحسـب، بـل عززتهـا تصريحـات أديـب في أكـثر مـن مناسـبة، حـين لمّـح إلى أن مهمـة لجنتـه ليسـت محصـورة بمحاكمـة أو تسـمية قـوات شـاركت في فـض الاعتصـام، بـل في تقديـم المتهمـين بالقتـل المبـاشر للمحاكمـة. كمـا أن قـرار اللجنـة بسـحب ملفـات قضايـا الضحايـا مـن النيابـات العامـة أثـار شـكوكًا إضافيـة.

ووفقًـا للعـربي الجديـد «لـم تعلـن اللجنـة نتائجهـا في ينايـر/ كانـون الثـاني ٢٠٢٠، بعـد انتهاء فـترة التكليف، وبـررت ذلك بعدم انتهـاء التحقيـق، معلنـة حاجتهـا إلى ثلاثـة أشـهر إضافيـة. وأثـار الموقـف غضبًـا شـديدًا بـين الثـوار الذيـن خرجـوا للشـوارع للتظاهـر، ووصفـوا الأمـر بـ«المماطلـة في الكشـف عـن الحقائـق الـتي ينتظرهـا الشـعب السـوداني والثـوار وأسر الضحايـا».

على المسـتوى السـياسي، أصدرت الأحزاب والتحالفات السياسية بيانـات لإحيـاء ذكـرى المجـزرة وللمطالبـة بالقصـاص للضحايـا، فيمـا اختـار تجمّـع المهنيـين السـودانيين توجيـه خطـاب رسـمي للحكومـة لإعـلان اليـوم يومًـا للحـداد الوطـني وتنكيـس الأعـلام بجميـع المقـرّات الرسـمية وغـير الرسـمية داخـل السـودان وممثليـات الخرطـوم في كل أنحـاء العالـم، حِـدادًا عـلى ضحايـا مجـزرة فـضّ الاعتصـام أمـام القيادة العامـة بالعاصمـة. وجدّد التجمّـع التأكيـد عـلى عـدم التنـازل عـن القصـاص للضحايـا. مـن جهتـه، يؤكـد عضـو مجلـس السـيادة الانتقـالي محمـد

الفكي سليمان، في حديثٍ لـ«العربي الجديد»، أن جريمة فض الاعتصام من الجرائم الكبرى التي هزت وجدان الشعب السوداني بعد انتصار ثورة شعبية عظيمة. وجاءت الحادثة في اللحظة التي كان الشعب يحتفل فيها بالانتصار والتفكير في مستقبل بلاده وتشكيل مؤسسات انتقالية، وحصلت عملية الغدر والقتل من دون واعز أخلاقي أو سياسي. ويعتبر سليمان أنه لا مناص مطلقًا من الكشف عن المتورطين في المجزرة ومحاسبتهم. وحول مدى تأثير تسمية أي شخصيات عسكرية متورطة للمشاركة في العملية السياسية والشراكة بين العسكر والمدنيين، يؤكد عضو مجلس السيادة أن الذي يؤثر على العملية السياسية وحده، هو التغاضي عن الحقيقة وإفلات المتهمين من العقاب. أما القيادي في قوى الحرية والتغيير، معز حضرة، فيصنّف ما حصل في صبيحة ٣ يونيو/ حزيران ٢٠١٩ بـ«الحدث الأكثر إيلامًا في التاريخ السوداني»، لا سيما أنه ارتبط بالغدر من جهات كان عليها حماية المعتصمين لا قتلهم، وهم ينتظرون عيد الفطر ويحلمون بغد أفضل في الحرية وسيادة حكم القانون. ويوضح حضرة لـ«العربي الجديد»، أن كل الدلائل والمؤشرات تشير إلى تورط العسكر في الجريمة، بما في ذلك تصريحاتهم قبل أيام من الواقعة، وكذلك العدد الكبير من مقاطع الفيديو التي سجلها الثوار لحظة الفض، عدا آلاف الشهود الذين كانوا هناك، رافضًا الخوض في أعمال

لجنـة التحقيـق إلى حـين إعـلان نتائجهـا».30* سـبتمبر، ٢٠٢٠

وأوردت صحيفـة المواكـب السـودانية في الثلاثـين مـن سـبتمبر ٢٠٢٠ تقريـرًا حـول مفقـودي فـض الاعتصـام جـاء فيـه:

«كشـفت هيئـة الطـب العـدلي بـوزارة الصحـة ولايـة الخرطـوم، عـن وجـود أكـثر مـن (٨٠٠) جثـة موجـودة بالمشـارح منـذ فـض اعتصـام القيـادة العامـة العـام المـاضي.

وأشـارت الهيئـة أنهـا بصـدد انتظـار تقريـر لجنـة التحقيـق في جريمـة فـض اعتصـام القيـادة لدفـن تلـك الجثـث، وقـال د. هاشـم محمـد صالـح مديـر الطـب العـدلي بـوزارة الصحـة ولايـة الخرطـوم وعضـو لجنـة التحقيـق حـول جريمـة فـض الاعتصـام، لـدى مخاطبتـه ورشـة تحسـين فـرص العدالـة لضحايـا الاختفـاء القسـري وأسرهـم في السـودان، والـتي نظمهـا المركـز الإفريقـي لدراسـات العدالـة والسـلام، بفنـدق القرانـد هليـداي، إن انقطـاع التيـار الكهربـائي المسـتمر يؤثـر عـلى الجثـث الموجـود بثلاجـات المشـارح، لافتًـا إلى ضرورة إنشـاء مركـز لمجهـولي الهويـة ومـن خلالـه يمكـن تحديـد الحمـض النـووي لـكل جثـة .

فيمـا وصـف نقيـب المحامـين الأسـتاذ عـلي قيلـوب جريمـة فـض الاعتصـام بأنهـا مرتبطـة بالأنظمـة الطاغيـة تلجـأ إليهـا لتخيـف الناشـطين، وأن جرائـم الاختفـاء القسـري تعاقـب عليهـا

[41] العربي الجديد

القوانـين الدوليـة.

فيما وجـه رئيـس نـادي أعضـاء النيابـة أحمـد النـور الحـلا، هجومًـا عنيفًـا عـلى الحصانـات ووصفهـا أنهـا عائـق للوصـول للعدالـة، مؤكـدًا أن النائـب العـام لديـه الحـق في تفتيـش أماكن الاحتجـاز التابعـة للأجهـزة الأمنيـة، وقـال الخـلا إن بعـض الأجهـزة الأمنيـة لديهـا أماكـن إخفـاء المعتقلين مدججة بالسـلاح لا يمكـن الوصـول إليهـا مشـددًا عـلى ضرورة توفـر الإمكانـات العمليـة للوصـول للعدالـة.

فيمـا كشـفت النيابـة العامـة عـن اسـتمرار عمـل اللجنـة الـتي شـكلها النائـب العـام بشـأن البحـث عـن المفقوديـن والمختفـين قسريًّـا عقـب حادثة فـض اعتصـام القيـادة العامة وشـدد ممثل النائـب العـام وفاء دفـع الله، عـلى ضرورة المصادقـة للاتفاقات الدوليـة بشـأن الاختفـاء القـسري، لافتـة إلى أن السـودان لـم يصـادق حـتى الآن عليهـا وأضافـت أن النيابـة العامـة تعـاني شـحًّا في التمويـل وتحديـات في التدريـب». *

[42] صحيفة المواكب في عددها الصادر في الثلاثين من سبتمبر ٢٠٢٠

# كل ما تم كان مخططًا له سلفًا

بقدر ما كان يحرص الشعب السوداني الثائر الصامد على إيجاد فرص للتقارب بينه وبين المجلس العسكري على اعتبار أنه الشريك -المفترض- في إنجاح ثورة ديسمبر، نجد أن المجلس يهرول مبتعدًا عن الشعب، مصرًّا على الاستفراد بالحكم، والاستمرار في ضخ الدماء إلى شرايين نظام المؤتمر الوطني وإعادة إنتاجه وتقديمه في ثوب جديد، لينطلق مجددًا في الضحك على العقول لثلاثة قرون أخرى.

ولأن نجاح أي اتفاق صادق يرغم بالضرورة المجلس العسكري على التنازل عن التزاماته التنظيمية كونه نفس اللجنة الأمنية الحامية لنظام المؤتمر الوطني قبيل السقوط، كان من البديهي أن يحذو المجلس العسكري هذا الحذو مستترًا فيما يرتكب من جرائم خلف من اصطلح على تسميتهم بالمندسين والملثمين والسكارى والانقلابيين وما إلى ذلك لقطع الطريق أمام تنفيذ ما تم التوصل إليه من اتفاق.

إذ لا وجـود لأي ملثّـم أو منـدس أو سـكران البتـة، كمـا أنـه لا حقيقـة لمـا يشـاع كل مـرة مـن محـاولات انقـلاب أو اعتقـالات حقيقيـة لرمـوز النظـام السـابق.. فـكل مـا تـم كان وفقًـا لخطـة وضعتهـا اللجنـة الأمنيـة المسـماة بالمجلـس العسـكري وبـإشراف مـن مديـر الأمـن المقـال صـلاح قـوش وآخريـن.

وإلا لمـاذا يختفـي هـولاء القناصـون والملثمـون والمندسـون في أثنـاء المسـيرات الـتي ينفذهـا أنصـار النظـام والمجلـس العسـكري مثـل مواكـب جماعـة المستشـيخ عبـد الحـي يوسـف وموكـب «شـكر حميـدتي» في الخميـس ٢٥ يوليـو ٢٠١٩ وغيرهمـا؟!

إن مجـزرة الـ٢٩ مـن يوليـو ٢٠١٩ بحـق الطـلاب العـزل بمدينـة الأبيـض ومـا سـبقها مـن إعـلان ما خرجـت بـه لجنة فتـح الرحمن سـعيد مـن نتائـج حـول مجـزرة ٢٩ رمضـان بميـدان الاعتصـام بهـذه الطريقـة الهزليـة الدراماتيكيـة الـتي جـاءت متزامنـة مـع اللقـاءات شـبه النهائيـة بـين المجلـس العسـكري وقـوى الحريـة والتغيـير، لـم تكـن مجـرد مصادفـة، ولـم تكـن مجـرد محاولـة لتبرئـة قـادة المجلـس العسـكري الفاعلـين الحقيقيـين لفـض الاعتصـام، كمـا لـم تكـن تهـدف لإنـكار واقـع المذبحـة كما ظن البعـض.. لكـن وبـكل أسـف أتى كل شيء وفـق خطـة مدروسـة بعنايـة، بغـرض اسـتفزاز مشـاعر المواطنـين واجترارهـم إلى الشـارع، ومـن ثـم التصـدي لهـم بمزيـد مـن القمـع المفـرط بغيـة إشـاعة العنـف وانتشـار المـوت والذعـر وثقافـة الانتقـام، بحجـة انتفـاء صفـة السـلمية الـتي ظـل يحلـم بهـا المجلـس،

وبالتالي إعلان حالة الطوارئ في بعض أجزاء البلاد كخطوة أولية، على أن تعمم لاحقًا في جميع أنحاء السودان وفقًا لتلك الخطة.. وهو ما بدأ يحدث فعليًّا، فقد أصدر والي ولاية شمال كردفان المكلف اللواء الركن الصادق الطيب عبد الله فور وقوع مذبحة الأبيض القرار رقم ٨٠ لسنة ٢٠١٩ القاضي بإعلان حظر التجوال المفتوح بمدن الولاية، الأبيض، أم روابة، رهد أبو دكنة، بارا.. اعتبارًا من يوم الاثنين التاسع والعشرين من يوليو تموز ابتداءً من الساعة التاسعة مساءً وحتى الساعة السادسة صباحًا.

يؤكد ذلك ما تبعه من تعليق للدراسة في جميع أنحاء البلاد.

بقي أن نلفت النظر إلى ما سبق مجازر الثامن، والعاشر من رمضان، والثاني والعشرين، والتاسع والعشرين منه من تفاهمات وتقارب لوجهات النظر في المفاوضات التي بين «قحت» والمجلس العسكري الرافض أساسًا لأية اتفاقية.. ثم الإعلان المفاجئ من قبل المجلس بإلغاء الاتفاقية وتجميد التفاوض قبيل أن يتراجع المجلس العسكري مرغمًا بعد مليونية الـ٣٠ من يونيو حزيران.

الفصل الرابع عشر

# «الحكومة الانتقالية»

# التوقيع على الوثيقة الدستورية

شهدت قاعة الصداقة بالخرطوم نهار السبت السابع عشر من شهر أغسطس ٢٠١٩ حفلة توقيع الوثيقة الدستورية بين قوى إعلان الحرية والتغيير «قحت» وبين المجلس العسكري الذي تم حله بموجب تلك الاتفاقية، وبحسب فرنسية ٢٤ الإخبارية «وقع الاتفاق كل من نائب رئيس المجلس العسكري محمد حمدان دقلو المعروف باسم حميدتي كممثل للمجلس العسكري وأحمد الربيع كممثل لتحالف «قوى الحرية والتغيير»، على الاتفاق الذي توصل إليه الطرفان ومن شأنه أن يمهد لبدء مرحلة انتقالية تؤدي إلى حكم مدني في البلاد.

وفور انتهاء التوقيع، حمل رئيس المجلس العسكري عبد الفتاح البرهان الوثيقة التي وضعت في غلاف سميك باللون الأخضر عاليًا ولوح بها وسط تصفيق الحاضرين، وبينهم رؤساء دول وحكومات إفريقية وممثلون عن الاتحاد الإفريقي والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

كما حضر وزراء ومسؤولون من دول خليجية وعربية.

وتتضمن الوثيقة ستة فصول تتعلق بالمبادئ العامة والترتيبات الانتقالية والمجلس التشريعي ولجنة التحقيق في أحداث العنف الدامية التي ارتكبت ضد المعتصمين أمام مقر قيادة الجيش في الخرطوم يوم الثالث من شهر يوليو ٢٠١٩. ويتطرق الفصل الخامس من الوثيقة إلى مهام المرحلة الانتقالية بينما يتعلق الفصل السادس بالمساندة الدولية التي من شأنها «حشد الدعم القوي الاقتصادي والمالي والإنساني لتطبيق الاتفاق».

وقد جاءت الفصول على نحو ما يلي:

الفصل الأول: المبادئ المرشدة.

اتفق الطرفان على قدسية مبدأ السيادة الوطنية ووحدة التراب السوداني والوحدة الوطنية للسودان بكل تنوعاته.

يتعامل الطرفان بمبدأ الشراكة وحسن النية والكف عن الخطاب العدائي والاستفزازي

يلتزم الطرفان بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والقيم التقليدية للشعب السوداني.

اتفق الطرفان على مبدأ تسوية جميع الخلافات التي قد

تطـرأ بالحـوار والاحـترام المتبـادل.

الفصل الثاني: الترتيبات الانتقالية مجلس السيادة

يتشـكل مجلـس السـيادة مـن أحـد عـشر عضـوًا، خمسـة عسـكريين يختارهـم المجلـس العسـكري الانتقـالي وخمسـة تختارهـم قـوى إعـلان الحريـة والتغيـير. ويضـاف إلى العـشرة أعضـاء شـخصية مدنيـة يتـم اختيارهـا بالتوافـق بـين الطرفـين.

يـترأس مجلـس السـيادة لواحـد وعشريـن شـهرًا ابتـداءً مـن تاريـخ التوقيـع عـلى هـذا الاتفـاق أحـد الأعضـاء العسـكريين في المجلـس. يـترأس مجلـس السـيادة الثمانيـة عـشر شـهرًا المتبقيـة مـن مـدة الفـترة الانتقالية أحـد الأعضـاء المدنيـين بالمجلـس.

يحـدد المرسـوم الدسـتوري صلاحيـات ووظائـف وسـلطات مجلـس السـيادة مجلـس الـوزراء.

تختـار قـوى إعـلان الحريـة والتغيـير اسـم رئيـس الـوزراء للحكومـة المدنيـة وفـق الـشروط الـواردة بالمرسـوم الدسـتوري.

يتشـكل مجلـس الـوزراء مـن شـخصيات وطنيـة ذات كفـاءات مسـتقلة لا يتجـاوز عددهـا العشريـن وزيـرًا بالتشـاور يختارهـم رئيـس مجلـس الـوزراء مـن قائمـة

مرشـحي قـوى إعـلان الحريـة والتغيـير، عـدا وزيـري الدفـاع والداخليـة اللذيـن يعينهمـا المكـون العسـكري بمجلـس السـيادة. ولرئيـس مجلـس الـوزراء أن يرشـح اسـتثناءً شـخصية حزبيـة ذات كفـاءة أكيـدة لممارسـة مهمـة وزاريـة.

يحـدد المرسـوم الدسـتوري الانتقـالي صلاحيـات وسـلطات مجلـس الـوزراء.

لا يجـوز لمـن شـغل منصبًـا في مجلـس السـيادة أو مجلـس الـوزراء أو ولاة الولايـات في أثناء الفـترة الانتقالية الترشـح في الانتخابـات الـتي تـلي الفـترة الانتقاليـة.

الفصل الثالث: المجلس التشريعي

احتفـظ كل طـرف مـن هـذا الاتفـاق بموقفـه فيمـا يتعلـق بالنسـب في المجلـس التشريعـي الانتقـالي. اتفـق الطرفـان عـلى أن ترجـأ المناقشـات بشـأن تشـكيله إلى مـا بعـد تكويـن مجلـسي السـيادة والـوزراء، عـلى أن يتـم ذلـك في فـترة لا تتجـاوز ثلاثـة أشـهر مـن تكويـن مجلـس السـيادة.

إلى أن يشكل المجلس التشريعي الانتقالي، تؤول سلطات

المجلس التشريعي في ابتدار وسن مشروعات القوانين إلى مجلس الوزراء وتجاز من قبل مجلس السيادة.

الفصل الرابع: لجنة التحقيق

تشكل لجنة تحقيق وطنية مستقلة في أحداث العنف في الثالث من يونيو ٢٠١٩ وغيرها من الأحداث والوقائع التي تمت فيها خروقات لحقوق وكرامة المواطنين مدنيين أو عسكريين كانوا.

الفصل الخامس: مهام المرحلة الانتقالية

توضع السياسة والمنهج الفعال لتحقيق السلام الشامل في دارفور ومنطقتي النيل الأزرق وجنوب كردفان بالتشاور مع كافة الحركات المسلحة.

يعمل على إنهاء عملية السلام الشامل في المادة أعلاه في مدة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق.

يعتمد مجلس الوزراء خطة اقتصادية ومالية وإنسانية عاجلة لمواجهة التحديات الناجمة عن الأوضاع الاقتصادية والمالية والإنسانية الراهنة.

الفصل السادس: المساندة الدولية

تتـم دعـوة الاتحـاد الإفريقـي والأمـم المتحـدة والاتحاد الأوربي والجامعـة العربيـة ومنظمـة التعـاون الإسـلامي والـدول دائمـة العضويـة في مجلـس الأمـن وكافـة الدول الشـقيقة والصديقـة لحشـد الدعـم القـوي الاقتصـادي والمـالي والإنسـاني لتطبيـق هـذا الاتفـاق ومسـاندة السـلطات الانتقاليـة مـن أجـل النجـاح التـام لمهامهـا ووظائفهـا المختلفـة.

المسـاعدة في رفـع اسـم السـودان مـن قائمـة الـدول الراعيـة للإرهـاب ورفـع العقوبـات وإعفـاء الديـون.

تخضـع هـذه المسـاندة لمبـدأ الشراكـة البنـاءة بـين جمهوريـة السـودان وكافـة الـشركاء في إطـار الاحـترام التـام لسـيادة السـودان وعـدم التدخـل في شـؤونه الداخليـة مهمـا كان الشريـك ومهمـا كان موضـوع الشراكـة.

الأطراف الموقعة:
المجلس العسكري الانتقالي
قوى إعلان الحرية والتغيير. *

[43] وكالة مونت كارلو الدولية

وجلس حميدتي والربيع على المنصة الرئيسية وبجوارهما رئيس وزراء إثيوبيا أبي أحمد ورئيس وزراء مصر مصطفى مدبولي.

ووصف ممثل الاتحاد الإفريقي موسى فقي محمد في كلمة ألقاها خلال الاحتفال، التوقيع بـ«الإنجاز التاريخي العظيم».

ثم ألقى الزعيم المعارض الراحل الصادق المهدي كلمة اعتبر فيها أن هذا اليوم هو «يوم عبور إلى الحكم المدني الذي سيحقق السلام والتحول الديمقراطي عبر انتخابات حرة احتكامًا للشعب السوداني».

وأكد ضرورة فتح الباب أمام «كل القوى التي لم تلوث مواقفها بالاستبداد»، وإلى عدم إقصاء أحد.

ودعا القيادي في «قوى إعلان الحرية والتغيير» محمد ناجي الأصم في كلمة طويلة، أعضاء المجلس العسكري إلى أن «نطوي معًا صفحات مزمنة من الدكتاتورية البغيضة» في عهد الرئيس السابق عمر البشير، و«نؤسس معًا ديمقراطية مستدامة» في السودان.

وعن البشير قال إنه «لم يترك ذنبًا إلا واقترفه»، مشددًا على أن «المساءلة والمحاسبة القضائية من أهم واجبات الحكومة» الانتقالية المزمع تشكيلها.

كما أكد تمسك قوى الحرية والتغيير بـ«إجراء تحقيق شفاف

وموضوعي في مجزرة القيادة العامة وكافة الانتهاكات التي صاحبت الثورة» منذ كانون الأول/ديسمبر.

من جهة أخرى، طالب الأصم بالعمل على «وضع كافة أشكال التمييز ضد المرأة خلف ظهورنا»، مشيرًا إلى أن النظام السابق «اضطهد المرأة».

ودعا إلى تخصيص «40 في المئة كحد أدنى من مقاعد المجلس التشريعي الانتقالي» للنساء.

ووصف البرهان اليوم بأنه «يوم نصر أمتنا التاريخي». وقال متوجهًا إلى السودانيين «قواتكم المسلحة ستبذل الغالي والنفيس من أجل حماية الشعب السوداني وتحقيق الانتقال إلى الحكم الديمقراطي».

وعلى الرغم من أن الطريق إلى الديمقراطية لا تزال حافلة بالكثير من العقبات، فقد خيمت الأجواء الاحتفالية على البلاد منذ الصباح.

ولم يمضِ سوى أيام حتى أعلنت قادة الحركة الاحتجاجية أنهم اتفقوا على تعيين المسؤول السابق في الأمم المتحدة عبد الله حمدوك، وهو خبير اقتصادي مخضرم، رئيسًا للوزراء.

وينص الاتفاق على أن يعين العسكر وزيري الداخلية والدفاع، وسيرأسه بداية عسكري لمدة ٢١ شهرًا.

ولـدى خـروج دقلـو مـن قاعـة التوقيـع، اسـتقبله حشـد معـاد، فيمـا تـولى عنـاصر مـن القـوات شـبه العسـكرية الـتي يقودهـا، قـوات الدعـم السريـع المتهمـة بالمسـؤولية عـن تفريـق اعتصـام الخرطـوم، إدخالـه سريعًـا إلى سـيارته وسـط هتـاف المحتشـدين: «الـدم بالـدم».

وغابـت عـن حفـل السـبت المجموعـات المعارضـة المسـلحة في المناطـق المهمشـة مثـل دارفـور والنيـل الأزرق وكردفـان.

وكانـت «الجبهـة الثوريـة السـودانية» الـتي توحـدت هـذه الحـركات تحـت رايتهـا دعمـت الحركـة الاحتجاجيـة، قـد رفضـت الإعـلان الدسـتوري وطالبـت بتمثيـل في الحكومـة وبمزيـد مـن الضمانـات في محادثـات السـلام.*

[44] فضائية فرنسا 24 الإخبارية

# المجلس السيادي

ووفقًا للوكالة السودانية للأنباء فإن أعضاء المجلس السيادي في السودان، قد أدوا اليمين الدستورية، ليبدأ المجلس في إدارة شؤون البلد، خلال مرحلة انتقالية تستمر ٣٩ شهرًا.

وأدى رئيس المجلس العسكري الانتقالي المنتهية صلاحيته، الفريق عبد الفتاح البرهان، اليمين رئيسًا للمجلس السيادي، أمام رئيس جهاز القضاء.

بعدها أدى تسعة من الأعضاء العشرة الباقين اليمين أمام البرهان، ورئيس جهاز القضاء، على أن يؤدي العضو الأخير اليمين لاحقًا.

وتولى البرهان، رئاسة المجلس السيادي لمدة ٢١ شهرًا، ثم يتولى رئاسته بعده أحد أعضاء المجلس المدنيين لفترة ١٨ شهرًا، تعقبها انتخابات، بموجب اتفاق وقعه الطرفان في ١٧ أغسطس/ آب الجاري، برعاية إفريقية إثيوبية.

ويتألف المجلس السيادي من خمسة عسكريين هم: عبد الفتاح البرهان رئيسًا، محمد حمدن دقلو (حميدتي)، ياسر العطا، شمس الدين الكباشي، وإبراهيم جابر.

ويضم المجلس ستة مدنيين، ٥ رشحتهم قوى «إعلان الحرية والتغيير»، والسادس بتوافق مع المجلس العسكري.

وهم: عائشة موسى، صديق تاور، محمد الفكي سليمان، محمد حسن التعايشي، حسين شيخ إدريس، ورجاء نيكولا.

وقد ذكرنا تعاريف مبسطة لكل من عبد الفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو وياسر العطا وشمس الدين كباشي في الفصل الحادي عشر المتعلق بالمجلس العسكري الانتقالي.. أما باقي أعضاء المجلس السيادي فهم على نحو ما يلي:

- عائشة موسى

رشحتها قوى المجتمع المدني، أحد مكونات قوى التغيير، لعضوية المجلس السيادي.

أستاذة في الأدب الإنجليزي المقارن، وهي من مواليد مدينة الأبيض.

درست في معهد المعلمات بأم درمان، وانتدبت إلى جامعة ليدز الإنجليزية، حيث حصلت على دبلوم تدريس اللغة

الإنجليزيـة كلغـة أجنبيـة.

حصلـت عـلى درجـة ماجسـتير في تدريـس اللغـة الإنجليزيـة مـن جامعـة مانشسـتر البريطانيـة، وشـهادة تدريـب المعلمـين لتدريـس اللغـات مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

عملـت في كليـة اللغـة الإنجليزيـة والترجمـة بجامعـة الأمـير سـلطان بالريـاض، بعـد كليـة اللغـات والترجمـة في جامعـة الملـك سـعود، كمـا عملـت معلمـة للغـة الإنجليزيـة في مـدارس للمرحلـة الثانويـة.

صـارت مختصـة لغـة إنجليزيـة في إدارة معاهـد التأهيـل التربوي بـوزارة التربيـة والتعليـم السـودانية، ثـم مديـر عـام بالإنابـة لإدارة التأهيـل التربـوي.

وبجانـب نشـاطها الأكاديمـي، نشـطت في العمـل المـدني النسـوي، خـلال عملهـا في الاتحـاد النسـائي.

- محمد الفكي سليمان

رشـحه التجمـع الاتحـادي، أحـد مكونـات قـوى التغيـير، لعضويـة المجلـس السـيادي.

تعـود أصـول سـليمان (٤٠ عامًـا) إلى شـمال السـودان، لكنـه نشـأ في مدينـة أم روابـة، وتخـرج في كليـة الاقتصـاد والعلـوم السياسـية بجامعـة الخرطـوم.

حصل على ماجستير العلوم السياسية من جامعة الخرطوم، وهو عضو بارز في التجمع الاتحادي.

كتب في صحف سودانية عديدة، وكان له عمود يومي في صحيفة «القرار» عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، والتحق في العام التالي بصحيفة «العرب» القطرية.

له مؤلفات منشورة، هي رواية «حكايات السوق القديم»، و«صباحات زاهي ومساء الجنرالات»، وكتاب «تحديات بناء الدولة السودانية».

- حسن شيخ إدريس

رشحته كتلة «قوى نداء السودان»، أحد مكونات قوى التغيير، لتمثيلها في المجلس السيادي.

إدريس من شرقي السودان، وهو قيادي سابق في حزب الأمة القومي، تخرج في كلية القانون بجامعة الخرطوم، عام ١٩٧٢.

عمل وكيلًا للنيابة في ولاية كسلا (شرق)، ومستشارًا قانونيًّا للمحافظ والمجلس الشعبي التنفيذي، كما عمل مستشارًا قانونيًّا في سلطنة عمان حتى ٢٠٠٦.

انتخب إدريس عضوًا في الجمعية التأسيسية (البرلمان الديمقراطي بين ١٩٨٦ و١٩٨٩)، ثم عين وزيرًا للإسكان والأشغال العامة حتى انقلاب يونيو/ حزيران ١٩٨٩، حيث تفرغ لأعماله الخاصة حتى ٢٠٠٦.

- صديق تاور

رشـحه تحالـف قـوى الإجمـاع الوطـني، أحـد مكونـات قـوى التغيـير، لعضويـة المجلـس السـيادي.

أكاديمـي فيزيـائي متخصـص في شـؤون البيئـة، وقيـادي بحـزب البعـث، ولـد في مدينـة كادوقـلي بولايـة جنـوب كردفـان.

نـال تـاور (٦٠ عامًـا) درجـة الدكتـوراه في الفيزيـاء مـن جامعـة الخرطـوم، وعمـل أسـتاذًا في جامعـات سـودانية وسـعودية.

كمـا عمـل مستشـارًا علميًّـا في ولايـة جنـوب كردفـان، وامتـدت بحوثـه في المجـالات الحقوقيـة والبيئيـة وقضايـا الحـرب والسـلام، ودافـع كثـيرًا عـن السـلام في كردفـان.

قـدّم أوراقًـا علميـة متخصصـة في مؤتمـرات علميـة محليـة ودوليـة، وشـارك في حمـلات توعيـة بالمناطـق المسـتضيفة للتعديـن التقليـدي.

نُـشرت لـه دراسـات عديـدة، بينهـا: الواقـع والوقائـع وتأثـير التعديـن عـلى البيئـات المحليـة، حقـوق المجتمعـات المسـتضيفة للنشـاط التعديـني

- محمد حسن التعايشي

رشـحه تجمـع المهنيـين، أبـرز مكونـات قـوى التغيـير، لعضويـة المجلـس السـيادي، وهـو يقيـم في بريطانيـا، وقـد وصـل بعـد

أيـام إلى البـلاد وأدى اليمـين الدسـتورية.

ولـد التعايـشي (٤٦ عامًـا) في منطقـة رهيـد البـردي بولايـة جنـوب دارفور

تخـرج في كليـة الاقتصـاد بجامعـة الخرطـوم، وكان مـن القيادات الطلابيـة في حـزب الأمـة القومـي، بزعامـة الصـادق المهدي.

عمـل في وكالـة تطويـر الحكـم والإدارة بالخرطـوم بـين عامـي ٢٠٠٥ و٢٠١٣، ثـم صنـدوق تطويـر دارفـور.

شـارك في تأليـف كتـاب «أسـباب العنـف الطـلابي في الجامعـات السـودانية»، وشـارك في مؤتمـرات ونـدوات عـن «قضيـة دارفور».

- رجاء نيكولا عبد المسيح

هـي العضـو الحـادي عـشر بالمجلـس السـيادي، حيـث رشـحتها قـوى التغيـير، وحـدث توافـق بشـأنها مـع المجلـس العسـكري.

مـن مواليـد أمدرمـان، وحاصلـة عـلى ليسـانس حقـوق مـن جامعـة القاهـرة، عـام ١٩٨٠، وعينـت بعـد عامـين في وزارة العـدل.

أصبحـت مستشـارة، في ٢٠٠٥، ومثلـت وزارة العـدل في مفوضيـة مراعـاة حقـوق غـير المسـلمين.*

---

[45] سونا

# التشكيل الوزاري الأول للحكومة الانتقالية

أعلـن رئيـس الـوزراء السـوداني، عبـد الله حمـدوك، مسـاء الخميـس الخامـس من سـبتمبر ٢٠١٩، تشـكيل الحكومـة الجديدة الـتي طـال انتظارهـا، وعـزا حمـدوك، في مؤتمـر صحـافي، تأخـر إعـلان الحكومـة السـودانية، الـتي شـملت في البدايـة ١٨ وزيـرًا، إلى الحـرص عـلى تمثيـل كل الأطيـاف.

وأوضـح أن وزارتـين تبقتـا مـن غـير وزراء، وقال حمدوك «نسـعى لشـغلهما بوزيريـن مـن الـشرق والنيـل الأزرق». وكان عضـو مجلـس السـيادة السـوداني، الفريـق شـمس الديـن الكبـاشي، قـال في تصريـح لـ«العربيـة» إن مجلـس السـيادة اعتمـد ٢٠ وزارة و٦ وزراء دولـة.

وجاء التشكيل الوزراء كالآتي:

أسـماء محمـد عبـد الله، وزيـرة للخارجيـة (أقيلـت لاحقًـا وحـل محلهـا عمـر قمـر الديـن).

- إدريس الطريفي، وزيرًا للداخلية.

(تـوفي في أثنـاء فـترة إقامتـه في جوبـا للتفـاوض مـع الحـركات المسـلحة).

- الفريق أول جمال عمر، وزيرًا للدفاع.
- فيصل محمد صالح، وزيرًا للإعلام.
- نصر الدين عبد الباري، لوزارة العدل.
- انتصار الزين، وزيرة للتعليم العالي.
- مدني عباس، وزيرًا للتجارة والصناعة.
- نـصر الديـن مفـرح، وزيـرًا للشـؤون الدينيـة والأوقـاف.
- يوسف آدم الضي، وزيرًا للحكم الاتحادي.
- فيصل محمد صالح، وزيرًا للثقافة والإعلام.
- لينـا الشـيخ محجـوب، وزيـرًا للعمـل والتنميـة الاجتماعيـة.
- عيـسى عثمـان شريـف، وزيـرًا للزراعـة والمـوارد الطبيعيـة.
- يـاسر عبـاس محمـد عـلي، وزيـرًا للـري والمـوارد المائية.
- عادل علي إبراهيم، وزيرًا للطاقة والتعدين.
- محمد الأمين التوم، وزيرًا للتربية والتعليم.
- أكـرم عـلي التـوم، وزيـرًا للصحـة. (أقيـل لاحقًـا).

- إبراهيم أحمد البدوي، وزيرًا للمالية والتخطيط الاقتصادي.
- عمر مانيس، وزيرًا لشؤون مجلس الوزراء.*

[46] قناة العربية الفضائية

# الفصل الخامس عشر

## «وماذا بعد الحرب إلا السلام»

# محاولات محلية للصلح

لا شـك أن لضعـف السـلطات المتعاقبـة عـلى الحكـم في البـلاد دورًا كبـيرًا في الاحتـكاكات والحـروب الأهليـة الـتي لطالمـا أقعـدت السـودان عـن ركـب التقـدم، وشـدتها إلى مسـتنقعات الفقـر والتخلـف لفـترات طويلـة، ولا تـزال تفعـل ذات الأفاعيـل. إن ثمـة محـاولات أهليـة تهـدف إلى الصلـح تعقـب جـل تلـك النزاعـات المشـتعلة، فتوفـق في بعضهـا وتخفـق في أخريـات كـثر، أغلبهـا في دارفـور والأقاليـم النائيـة عـن المركـز.

يقول الكاتب الصحفي تاج السر عثمان:

الواقـع أن الصراعـات والصدامـات القبليـة في دارفـور ليسـت جديـدة، فعـلى سـبيل المثـال، لا الحـصر: حدثـت صدامـات قبليـة عـام ١٩١٦م، وهـو العـام الـذي تـم فيـه ضـم دارفـور للسـودان، وكذلـك في العامـين ١٩٥٨م، ١٩٦٨م، إلا أن تلـك الصدامـات، كانـت تحـل بطـرق سـلمية عـن طريـق مؤتمـرات الصلـح والأعـراف

التي توارثها أهل دارفور منذ عهود السلاطين. ولكن منذ عام ١٩٧٠، بدأت الصراعات القبلية تطل برأسها في الإقليم بشكل متواتر، وكان من عوامل ذلك السياسات الخاطئة للنظام المايوي مثل إقامة مشاريع التنمية العشوائية في السبعينيات من القرن الماضي وما نتج عنها من القطع الجائر للأشجار، مما أدى إلى الجفاف والتصحر والمجاعة التي عمت البلاد، وما نتج عنها من نزوح وسنين عانى فيها الناس من ضنك العيش(١٩٨٢- ١٩٨٤). وكان من نتائج ذلك شح المراعي وموارد المياه والنزوح من الشمال إلى الجنوب، والذي أدى إلى احتكاكات وصدامات بين بعض القبائل العربية والفور، ومحاولات طرد الفور من أراضيهم الخصبة، إضافة إلى العامل الأجنبي مثل الحرب التشادية - التشادية، والحرب الليبية – التشادية، ودخول بعض القبائل من تشاد والمتداخلة مع القبائل السودانية، ودخولها بأسلحة حديثة ومتطورة، زادت من فداحة الخسائر في الأرواح والممتلكات والمواشي.. إلخ. ويضيف عثمان: «بعد انتفاضة مارس – أبريل ١٩٨٥م، كانت الصراعات القبلية في دارفور قد وصلت إلى ذروتها، وخاصة في الفترة: ١٩٨٦ - ١٩٨٩م، مما أدى إلى قيام مؤتمر الصلح القبلي بين الفور وبعض القبائل العربية في الفترة: ١٩٨٩/٤/١٥ - ١٩٨٩/٧/٨م. وكان من أهم توصيات المؤتمر وقراراته:

أولًا: في الجانب الأمني:

أ- تصفيـة ميليشـيات الفـور والمجموعـات المسـلحة، وأي تنظيمـات قبليـة مسـلحة.

ب- أن تقـوم الحكومـة بإبعـاد كل الأجانـب الذيـن يدخلـون البـلاد بطـرق غـير مشروعـة مـن مناطـق الإقليـم.

ج- أن تقـوم الحكومـة بفتـح المراحيـل المتفـق عليهـا وفـق الاتفاقيـات السـابقة في الوقـت المناسـب، وأن تتخـذ الإجـراءات الأمنيـة والوقائيـة اللازمـة لذلـك، مراعـاة لحقـوق الرعـاة والمزارعـين.

د- أن تعمـل السـلطات المختصـة عـلى إصـدار أوامـر تنـص على تشـديد العقوبـة عـلى الذيـن يقومـون بحـرق المراعـي وقفـل المراحيـل، وإقامـة زرائـب الهـواء، وقطـع الأشـجار وإتـلاف المـزارع.

هـ- أن تعمـل الحكومـة عـلى فتـح المزيـد مـن مراكـز الشرطـة، ودعـم مراكـز الشرطـة بأجهـزة الاتصـال والقـوة المناسـبة.

و- الإسراع بمنح رجالات الإدارة الأهلية السلطات القضائية.

ز- يلـتزم الطرفـان بوقـف النهـب والسـلب والسرقـة وإيـواء المجرمـين، كمـا يـوصى بـأن يتعـاون الطرفـان في عمليـات الفـزع.

ثانيًا: المراعي والمراحيل ونقاط المياه:

أ- تحـدد فـترة دخـول القبائـل الرعويـة في شـمال دارفـور إلى مناطـق جنـوب دارفـور بنهايـة شـهر فبرايـر مـن كل عـام حـتى يتمكـن المزارعـون مـن جمـع محاصيلهـم الزراعيـة كمـا تحـدد فـترة خـروج هـذه القبائـل بنهايـة شـهر يونيـو مـن كل عـام (على السـلطات بشـمال دارفـور الإخطـار في حالـة الظـروف البيئيـة).
ب- إزالـة جميـع العقبـات الـتي تعـترض المسـارات والمراحيـل المتفـق عليهـا بمـا يمكـن القبائـل الرعويـة مـن الابتعـاد عـن التحـرش بالمزارعـين والمسـتقرين عمومًـا، كمـا يـوصى بإزالـة الزراعـة الهامشـية الـتي تلاحـم الطـرق العامـة، بمـا لا يقـل عـن مئـة مـتر مـن الجانبـين باسـتثناء المناطـق البسـتانية القديمـة.
ج- عـدم اسـتغلال أماكـن الرهـود والمـوارد العامـة للميـاه الخاصـة بالحيـوان وبالزراعـة أو الحجـز، أو أي أشـياء تمنـع الاسـتفادة منهـا عـلى أن تنظـم اسـتغلال المـوارد المشـتركة بـين المزارعـين والرعـاة وفـق الأعـراف المتبعـة.
د- عـدم فتـح مشـاريع جديـدة، إلا عنـد مصادقـة السـلطات الفنيـة المختصـة، حمايـة لمـا تبقـى مـن الغطـاء الشـجري مـع توعيـة المواطنـين مـن قبـل الجهـات المعنيـة والمسـؤولة.
هـ- عـدم قطـع الأشـجار والمحافظـة عـلى الـثروة الغابيـة مـع تشـجيع المزارعـين لزراعـة أشـجار الهشـاب.
و- تكثيـف الخدمـات البيطريـة بأماكـن المخـارف والمصايـف المصاحبـة للرحـل ضمانًـا لاحتـواء أي أمـراض تظهـر.
بالرغـم مـن سـلامة تلـك التوصيـات والقـرارات وصحتهـا، فإنهـا

لـم تجـد طريقهـا للتنفيـذ، وظلـت حـبرًا عـلى ورق.

وفي الفـترة: أبريـل ١٩٨٩ - فبرايـر ٢٠٠٣م، حدثـت متغـيرات جديـدة أهمهـا:

- اتسـاع دائـرة الجفـاف والتصحـر في دارفـور، ممـا أدى إلى شـح المراعـي، وإلى انفجـار الصدامـات القبليـة مـن جديـد.

- تدهور خدمات التعليم والصحة والمياه والكهرباء.. إلخ.

- تزايـد عمليـات النهـب المسـلح وانفـراط عقـد الأمـن وحـالات حـرق القـرى والمـزارع والصـدام بـين بعـض المجموعـات القبليـة والفـور والـصراع بـين المعاليـا والرزيقـات.

- كانـت القبائـل في دارفـور تعيـش في سـلام ووئـام، وكانـت الصراعـات القبليـة العابـرة تحـل عـبر الأعـراف، وكانـت ديـار القبائـل معروفـة ومحـددة. وبالتقسـيم الإداري الجديـد اختـل النظـام الـذي كان سـائدًا، ممـا أدى إلى الصدامـات.

- توقـف مشـاريع التنميـة في الإقليـم مثـل مـشروع جبـل مـرة للتنميـة الريفيـة.

- توقف العمل في طريق الإنقاذ الغربي.

- الـنزوح الكبـير مـن الأريـاف إلى المـدن، وتوسـع المـدن كمـا نلاحـظ في مدينـة نيـالا الـتي زاد عـدد سـكانها وتوسـعت وارتفعت فيهـا إيجـارات المنـازل وأسـعار الأراضي.

ملتقى الفاشر – فبراير ٢٠٠٣م:

جاء ملتقى الفاشر بعد انفجار الأحداث وتوصل إلى توصيات وقرارات في مجملها سليمة مثل:

- الإسراع بتكميل طريق الإنقاذ الغربي مع توفير تمويل أجنبي ومكون محلي له.

- إنشاء مفوضية لتنمية ولايات دارفور.

- تأهيل مرافق الصحة والمياه وتأمين الحد الأدنى من الخدمات للمواطنين في دارفور.

- وضع خطة استثنائية عاجلة لمعالجة التردي في الخدمات.

- التقسيم العادل للمشاريع التحتية القومية لدارفور.

- ضعف المقدرة الإدارية لبعض أجهزة الدولة وتباطؤها في التصدي للانفلات الأمني.

- معالجة عدم الالتزام بتنفيذ مقررات المؤتمرات السابقة.

- حمّل الملتقى الحكومة مسؤولية خلق كيانات إدارية جديدة والاستغلال السياسي للقبيلة والاعتماد على التوازنات القبلية في التعيينات السياسية. كما كان مدخل الملتقى سليمًا في حل المشكلة سلميًّا عن طريق التفاوض، ولكن الحكومة لجأت للحل العسكري الذي عقد الأمور وزادها تفاقمًا، حتى وصلت للمأساة الإنسانية

الـتي نعيشـها الآن في دارفـور. *

لكـن بعـد ظهـور حـركات الكفـاح المسـلح، بـرز عامـل آخـر أحـدث تغيـيرًا في المفهـوم السـائد لأسـباب الـنزاع الـتي كانـت عـادة مـا تعـود إلى المواطن المـزارع المسـتقر والمواطـن البدوي المتجـول، فجـاء عامـل آخـر واسـتحوذ عـلى جانـب كبـير مـن مسـببات الـنزاع القبـلي في دارفـور، هـو تأليـب السـلطات بعـض القبائـل ضـد أخـرى بحكـم أن تلـك القبائـل باتـت حاضنـة للحـركات المسـلحة، وعـلى ذلـك باتـت هنالـك قبائـل مؤيـدة للنظـام الحاكـم تعـادي القبائـل الـتي لـم تفعـل ذلـك، بجانـب أن الـنزاع الدائـر بـين الحـركات المسـلحة والحكومـة مـن جهـة وبـين فصائـل الحـركات المتناحـرة فيمـا بينهـا قـد أضافـت عاملًا رابعًـا زاد للطـين ميـاه إضافيـة.

**(الأزمـة في دارفـور: مـن مؤتمـر صلـح 1989 إلى ملتقـى الفـاشر - فبرايـر 2003م)**
**نـشره موقـع (الحـوار المتمـدن) في14\7\2008**

[47] تاج السر في مقال صحفي تحت عنوان

# مؤتمر «شعيرية» نموذج آخر

مـا لا يسـتطيع معظـم قـادة قبائـل السـودان عـلى اختـلاف ألسـنتها وألوانهـا إدراكـه، هـو أن الأنظمـة المتعاقبـة عـلى حكـم البـلاد لا تقيـم لقبائلهـم وزنًـا إلا مـن منظـور اتخاذهـا سـلّمًا لتعتـلي عبرهـا إلى مراميهـا في اسـتمرارية اسـتحكام قبضتهـا عـلى مفاصـل الدولـة لأطـول فـترة ممكنـة، مـع الأخـذ في الاعتبـار أن أي تقـارب يجمـع بـين قبيلتـين تعتـبره الحكومـة مهـددًا لبقائهـا، فتسـعى لقطـع خيـوط التواصـل بينهـا حـتى تضمحـل وتتهـاوى، وقـد بلغـت حكومـة المؤتمـر الوطـني في ذلـك شـأوًا عظيمًـا.

فمـا إن تفجـرت ثـورات التحـرر الأخـيرة في دارفـور حـتى هـرع أكابـر مجرمـي النظـام صـوب قبائـل بعينهـا، لطلـب الغـوث منهـا بغـرض كبـح جماح تلـك الـشرارة سريعـة الانتشـار، وعندما قوبلـت تلـك الخطـوة بالرفـض القاطـع مـن قبـل جـل عقـلاء تلـك القبائـل، اضطـرت الحكومـة للاسـتعاضة عنهـا بمتفلـتي

بعـض القبائـل و«همباتتهـا» المعروفـين سـلفًا لأهـل الإقليـم بخبيـث فعالهـم كأمثـال الشـيخ «مـوسى هـلال»، وغـيره مـن زعمـاء ميليشـيات «الأمر باخـة» حينـذاك.

ويطلـق هـذا الاسـم عـلى مجموعـة مـن العصابـات المتفلتـة مـن بعـض قبائـل الرحـل، وإليهـا تنسـب جـل الجرائـم الـتي ترتكـب في خواتيـم مواسـم الخريـف مـن حـرق للقـرى المجـاورة للمراحيـل ونهـب المـواشي بـل واختطـاف الأطفـال أحيانًـا، والـتي تـأتي متزامنـة مـع عـودة قبائـل الرُحـل إلى الصعيـد بعـد قضـاء فصـل الخريـف في أمـان وسـلام.

قامـت حكومـة البشـير باسـتقطاب زعمـاء تلـك العصابـات وتمليكهـم معـدات ومـؤن قتاليـة، وأطلقـت يدهـم ليعبثـوا بأمـلاك وأعـراض وأرواح مـن تراهـم الحكومـة مصـادر تغذيـة للحـركات المسـلحة، فـكان الهـدف الشرعـي لغـزوات تلـك الميليشـيات هـي قبائـل «الزرقـة عمومًـا» في دارفـور.

والغريـب أن الحكومـة كانـت تسـتقطب تلـك القبائـل العربيـة غـير الراغبـة في الوقـوف معهـا بـأن هـذه الجماعـات المتمـردة لـم تكـن تسـتهدف الحكومـة في المركـز بقـدر مـا هـي تعمل ضد الوجـود العـربي في دارفـور، وهـي ذات الشريحة التي اسـتخدمتها الحكومـة في حربهـا ضـد الحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان بقيادة الزعيم الراحل د. جون قرنق ديمابيور.

فتطـورت تلـك الميليشـيات لتغـدو فيمـا عـرف بـ«الجنجويـد»

فـ«حـرس الحـدود» فـ«الدعـم السريـع».. إلـخ.

كانـت قبيلتـا «البرقـد» و«الزغـاوة» السـودانيتان الدارفوريتـان قـد صنفتـا ضمـن قبائـل «الزرقـة»، فعانتـا أشـد أنـواع القهـر والبطـش والـنزوح عـلى أيـدي تلـك الميليشـيات، ورأت معظـم شـباب هاتـين القبيلتـين أن لا منـاص مـن الانخـراط في صفـوف الحـركات الثائـرة في وجـه نظـام الخرطـوم العنـصري الظالـم، فالتحقـوا بحـركات التحـرر زرافـات ووحدانًـا، إلا أن سـوء تفاهمٍ نشـب بـين بعـض منتسـبي هاتـين القبيلتـين داخـل الحـركات، واتسـعت رقعـة الخـلاف.

وتدخـل أهـالي الطرفـين منخرطـين في حـروب اسـتنزافية فارغـة لا ناقـة لهـم فيهـا ولا جمـل، وامتـدت الصراعـات لتشـمل عـدة مناطـق تناثـرت خلالهـا المئـات مـن الأرواح عبثًـا بـين القبيلتـين، في حـرب وصفـت بأنهـا حـرب وكالـة بامتيـاز، ذلـك أن قبيلـة البرقـد تحـارب قبيلـة الزغـاوة عـلى اعتبـار أنهـا هـي ذاتهـا «حركـة تحريـر السـودان منـاوي» معتقـدة أنهـا تهـدف إلى الاسـتحواذ عـلى أراضيهـا وتطلـق عليهـا اسـم المناطـق المحـررة، كمـا يتضـح ذلـك مـن خـلال نـص البيـان الختامـي لمؤتمـر شـعيرية للصلـح، ومـن جانـب آخـر يعتقـد أبنـاء قبيلـة الزغـاوة أن قبيلـة البرقـد مدعومـة مـن قبـل الحكومـة بالدفـاع الشـعبي وبعـض ميليشـيات الجنجويـد الـتي يقودهـا المدعـو «إبراهيـم أبـدور» إضافـة إلى «حركـة تحريـر السـودان الإرادة الحـرة» للقضـاء عـلى قبيلـة الزغـاوة وطردهـا مـن جغرافيـة دار

البرقـد، ويتهـم كلٌّ منهمـا الآخـر بتصفيـات جـرت بحـق أفـراد مـن الطرفـين بنـاء عـلى الانتمـاءات السياسـية لكلتيهمـا.

وأعتقد أن كلتيهما كانتا مخطئتين.

فلا «البرقد» تمثل الحكومة ولا «الزغاوة» تمثل الحركة.

أمـا انتسـاب أفـراد مـن قبيلـة مـا، لجهـة معينـة، سـواء كانـت حركـة مسـلحة، أو حزبًـا سياسـيًّا، أو طائفـة دينيـة، أو فريقًـا رياضيًّـا، لا يعـني بالـضرورة انتسـاب قبيلـة بأكملهـا إلى ذاك التنظيـم بـأي حـال مـن الأحـوال.

ومـا ارتكبـه أبنـاء القبيلتـين بحـق العـشرة الـتي دامـت بينهمـا لعقـود، لا يغفـره إلا مؤتمـر تصالحـات شـاملة يعيـد الميـاه إلى مجاريهـا، ويعيـد إلى كل ذي حـق حقـه بـلا مـنٍّ ولا أذى.

ولمـا كان لا بـد مـن العـودة إلى الرشـد بعـد طيلـة السـنوات الماضيـة، فقـد عقـدت القبيلتـان مؤتمـرًا للصلـح في رئاسـة محليـة «شـعيرية» في الثالـث عـشر مـن ينايـر ٢٠١٨ ليخـرج بعدة توصيـات وقـرارات وأحـكام عامـة، في اعتقـادي إذا مـا أنزلـت إلى أرض الواقـع سـتضمد حتمًـا تلكـم الجراحـات المتقيحـة وتصلـح مـا أفسـدته حماقـات «المُسْتَسْيِسـين» مـن أبنـاء الطرفـين وسـتصبح أولى خطـوات تقـدم إنسـان تلـك المناطـق نحـو اللحـاق بركـب الاسـتقرار والتنميـة.

# ألهاهم التفاوض!

إذا كان المفهـوم العـام للتفـاوض هـو: ذلـك النشـاط الـذي يتضمـن مشـاركة طرفـين أو أكـثر (أفـراد، مجموعـات، وفـود) في إطـار السـعي لإيجـاد حـل مُـرضٍ غـير عنيـف يسـهم في تحقيـق مصلحـة طرفـين أو أكـثر يربطهـم موقـف مشـترك، فـإن ثمـة بونًـا شاسـعًا بينـه وبـين الذوبـان والتماهـي الـذي عَرّفُـهُ الدكتـور مصطفـى حجـازي بأنـه «اسـتلاب الإنسـان المقهـور الـذي يهـرب مـن عالمـه كي يـذوب في عالـم المُتَسَـلِّط؛ أمـلًا في الخـلاص... وأن أقـصى حـالات التماهـي المُتَسَـلِّط تأخـذ شـكل الاسـتلاب العقائـدي، ونقصـد بذلـك تَمَثُّـل واعتنـاق قِيَـم النِّظـام، والانضبـاط والامتثـال، وطاعـة الرؤسـاء الكبـار، وهـي قِيَـم تخـدم -بمـا لا شـك فيـه- مصلحـة ذلـك المُتَسَـلِّط، لأنهـا تُعَـزِّز مواقعـه وتصـون مُكتَسَـبَاتَهُ» [٤٨]

فمائـدة التَّفـاوض إذن هـي سـاحة معركـة غـير عنيفـة تتطلـب إعمـال أقـصى درجـات الطاقـة العقليـة للحصـول عـلى أكـبر قدر

[٤٨] الدكتور مصطفى حجازي «سيكولوجية الإنسان المقهور»، ص ١٢٧.

ممكن من المصالح، بينما التماهي هو تطابق ناتج عن رؤية مصلحية تصل إلى حد تغييب العقل، وتصل في التوصيف الأخلاقي إلى النفاق والكذب مُجْتَمِعَيْنِ.

الملاحظ أن ثمة فئتين برزتا في الساحة السياسية السودانية بجانب المجلس العسكري الذي يوصف بأنه يمثل الوجه الجديد لنظام الرئيس المخلوع عمر البشير.. كلاهما يدعي الأحقية في الحكم.

إحداهما تحاول أن تجد لنفسها موطئ قدم في النظام بأي شكل كان ودون أي مفاوضات أو شروط مسبقة، وإذا اضطرت في يوم ما على التفاوض فسينحصر الحديث على كمية الأموال والمناصب التي يجود بهما الطرف المتسلط كثمن لذوبانها في ذاتية النظام، على أن تقوم بدورها في النباح بصوت النظام والدفاع عنه بشراسة تفوق ما لدى النظام نفسه، إضافة إلى القيام بدور التطبيل وتكسير «الثلوج» وتنفيذ مخططات النظام الرامية إلى إضعاف معارضيه وإلهائهم بسفاسف الأمور وبث دعايات التخوين لضرب وحدة الثورة.. يجسد هذه الفئة المتساقطون من تلك الأجسام التي عُرفت وسط الشارع السوداني بـ«أحزاب وحركات الفكة» بجانب الطوائف الدينية المنضوية تحت مظلة جبهة نصرة الشريعة، و«المخمومين» و«الغواصات» من نشطاء اللايفات، والمغرر بهم من رجالات الإدارة الأهلية وغيرهم، وهي بلا شك في وادٍ ومصالح الوطن والمواطن في

وادٍ آخـر.

أمـا الفئـة الثانيـة فهـي الـتي تسـعى للحصـول عـلى موطـئ قدم لهـا في السـلطة لكـن عـبر التفـاوض، وتختلـف عـن الفئـة الأولى في كونهـا تهـدف إلى المشـاركة في صنـع القـرار وممارسـة السـلطة الدسـتورية بشـقيها التشريعـي والتنفيـذي حسـبما نصـت عليـه الاتفاقيـة المبرمـة بينهـا والنظـام الحاكـم بمـا يتفـق مـع مطالـب الشـارع، كمـا أنهـا تمتـاز بـشيء مـن الاسـتقلالية وامتـلاك كـروت الضغـط الـتي يمكنهـا التلويـح بهـا عـلى الطـرف الآخـر بـين كل حـين وآخـر.. يجسـد هـذه الفئـة مكونـات قـوى الحريـة والتغيـير مـن نـداء السـودان وتجمـع المهنيـين وأحـزاب سياسـية أخـرى.

وبمـا أن الفئـة الأولى في مـيزان المعادلـة السياسـية لا تعـدو كونهـا جـزءًا أصيـلًا مـن النظـام، فـإن تحقيـق تطلعـات الثـورة السـودانية تظـل منوطـة بنجـاح مسـاعي الفئـة الثانيـة الـتي تمثـل قطاعـات واسـعة مـن الجماهـير الثائـرة.. وهنـا تـبرز نقطـة التحـدي الحقيقـي الـذي يواجـه هـذه الفئـة، في ظـل التشـظي الداخـلي الخفـي الـذي ألقـى بظـلال سـالبة عـلى مجريـات الأمـور، سـيما بعـد تعمـد المجلـس العسـكري ترتيـب لقـاءات أحاديـة مـع مكونـات قـوى الحريـة والتغيـير، مبـاشرة تـارة، وغـير مبـاشرة تـارة أخـرى مثـل لقـاءات مـصر والإمـارات وجوبـا.. إذ إن المشـكلة ليسـت فيمـن التقـى بمـن، أو كيـف وأين ولمـاذا التقيـا، إنمـا التحـدي الأكـبر الـذي يقـف أمـام طـرفي

الـصراع في السـودان (الشـعب - المجلـس العسـكري) يكمن في أن قـوى الحريـة والتغيـير لـم تفطـن لخطـورة عـدم وجـود جسـم تفـاوضي واحـد يحـوي جميـع ممثـلي الكتـل المنضويـة تحتهـا، وهـو مـا نتـج عنـه إحسـاس جـزء كبـير بالتهميـش والإقصـاء، وبالتـالي ظهـور لقـاءات فرديـة سريـة وفي العلـن هنـا وهنالـك، كأبـرز نقطـة ضعـف يتراقـص عـلى أنغامهـا المجلـس العسـكري.

فمقابلـة السـيد مـني منـاوي رئيـس حركـة تحريـر السـودان والبروفيسـور الطاهـر الفـكي رئيـس وفـد حركـة العـدل والمسـاواة بالسـيد محمـد حمـدان دقلـو نائـب رئيـس المجلـس العسـكري في العاصمـة التشـادية أم جمينـا الـتي أثـارت جـدلًا واسـعًا في الأوسـاط الإسـفيرية -وإن كانـت لا تعـدو كونهـا منـاورات سياسـية- مـا كان لهـا أن تكـون إذا تنبهـت قـوى الحريـة والتغيـير لحساسـية المسـألة باكـرًا وراعـت في أثنـاء تكويـن لجنـة التفـاوض تمثيـل كل الأطـراف المكونـة لهـا وأدرجـت في أروقتهـا قضايـا ضحايـا الحـروب مـن النازحـين واللاجئـين والأسرى.

إضافـة إلى أن احتـواء قـوى الحريـة والتغيـير عـلى أمثـال الراحـل الصـادق المهـدي ذي المواقـف المتأرجحـة الـتي تجعلـه ضمـن الفئـة الأولى السـاعية إلى الذوبـان والتماهـي في جسـم النظـام السـابق والمجلـس العسـكري -حسـب التصنيـف أعـلاه- يعتـبر عائقًـا أمـام تقـدم أي خطـوة نحـو تحقيـق الأهـداف الثوريـة المرجـوة.

لكـن الـذي حـدث هـو أن الأحـزاب المكونـة لقـوى الحريـة

والتغيـير قـد وقعـت في ذات الأخطـاء المميتـة الـتي أدمنتهـا النخـب السياسـية المعارضـة في ظـل النظـام البائـد، فلـم تـراعِ ترتيـب البيـت مـن الداخـل وتكويـن لجنـة تفاوضيـة تضـم كل ممثـلي «قحـت» مـن تجمـع المهنيـين وقـوى نـداء السـودان والجبهـة الثوريـة والأحـزاب السياسـية الأخـرى، بجانـب تحديـد أجنداتهـا وتضمينهـا في الوثيقـة التفاوضيـة مـع تقديـم مصلحـة الثـورة السـودانية عـلى الأطمـاع الحزبيـة الضيقـة، إذ ارتـأت لنفسـها الاسـتئثار بالسـلطة متجـاوزة حـركات الكفـاح المسـلح.. حـتى تـم التوقيـع عـلى الوثيقـة الدسـتورية في ١٧ أغسـطس ٢٠١٩ كمـا ذكـر آنفًـا.. ممـا دفـع حـركات الكفاح المسـلحة نحـو الإسراع في إنشـاء منـبر تفـاوضي جديـد في جوبـا تحـت رعاية دولـة جنوب السـودان ووسـاطة تـوت قلـواك إلى أن تـم التوصـل مؤخـرًا إلى اتفاقيـة حـضر بموجبهـا معظـم قـادة الحـركات المسـلحة، كمـا سـنبينه في حينـه.

# منبر جوبا للتفاوض

بعد أن تم التوقيع على مذكرة الاتفاق الإطاري بين المجلس العسكري والجبهة الثورية في يوليو ٢٠١٩، استُتبعت بافتتاحية جولة تفاوضية انطلقت الاثنين ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٩، في جوبا، عاصمة جنوب السودان، تناولت إمكانية التوافق على ترتيبات سياسية وأمنية جديدة، تقود إلى عقد مؤتمر للسلام يحقق المصالحة ويضمد جراح الحرب، فضلًا عن التوصل إلى أكبر مشاركة وطنية ممكنة في السودان.

وحسبما أوردتها صحيفة (اندبندنت عربية) فإن المبعوث الرئاسي لجنوب السودان ومسؤول ملف مفاوضات السلام السودانية توت قلواك، كان قد اجتمع في وقت لاحق مع الفريق أول عبد الفتاح البرهان، وسلّمه دعوة رئيس دولة جنوب السودان إلى حضور مراسم جلسات المفاوضات، كما أطلعه على ترتيبات واستعدادات استضافة المفاوضات، مؤكدًا حرص بلاده على إنجاح عملية السلام في السودان.

وأشـار قلـواك إلى أنـه تسـلم قوائـم أسـماء الوفـود المشـاركة في المفاوضـات مـن الجهـات المختلفـة، ويمثـل وفـد الحكومـة السـودانية نائـب رئيـس مجلـس السـيادة الفريـق أول محمـد حمـدان دقلـو رئيسًـا، وعضويـة الفريـق ركـن شـمس الديـن كبـاشي، والفريـق ركـن يـاسر العطـا، ومحمـد حسـن التعايـشي، ومحمـد الفـكي سـليمان، ووزيـر مجلـس الـوزراء عمـر مانيـس، ووزيـر الحكـم الاتحـادي يوسـف الـضي، ورئيـس مفوضيـة السـلام سـليمان الدبيلـو. كمـا أن حكومـة جوبـا أرسـلت خطابـات لرؤسـاء الـدول المجـاورة للسـودان ورؤسـاء «إيغـاد» (منظمـة دول شرقي إفريقيـا)، لحضـور الجلسـة الافتتاحيـة، موضحًـا أن المحادثـات سيشـارك فيهـا كل مـن وفـد الحكومـة السـودانية و«الجبهـة الثوريـة» و«الحركـة الشـعبية لتحريـر السـودان شـمال» بقيـادة الفريـق عبـد العزيـز آدم الحلـو. كمـا كشـف عـن توجيـه دعـوة إلى حركـة «تحريـر السـودان» بقيـادة عبـد الواحـد نـور للمشـاركة، لكـن مـن دون تحديـد موقفهـا. وقـال إن «المفاوضـات تجـد دعمًـا ومسـاندة إقليميـة ودوليـة، وستشـارك فيهـا السـعودية والإمـارات إلى جانـب دول الجـوار السـوداني».*

وقـد اسـتمرت جـولات التفـاوض رغـم اشـتداد أوار جائحـة كورونـا الـتي ضربـت جميـع أنحـاء العالـم، إلى أن تـم التوقيـع بالأحـرف الأولى في ٣١ أغسـطس ٢٠٢٠، ثـم التوقيـع النهـائي في ٣ أكتوبـر ٢٠٢٠.

[49] اندبندنت عربية

ونصت اتفاقية السلام الموقعة بين الحكومة الانتقالية في السودان والفصائل المسلحة المنضوية تحت لواء «الجبهة الثورية»، على ٨ بروتوكولات، تتعلق بالعدالة الانتقالية والتعويضات، وملكية الأرض، وتطوير قطاع المراعي والرعي، وتقاسم الثروة والسلطة، وعودة اللاجئين والنازحين، وهنا أهم تفاصيلها: منح الجبهة الثورية ٣ مقاعد في مجلس السيادة الانتقالي، و٥ وزراء في الحكومة التنفيذية، إلى جانب ٧٥ مقعدًا في البرلمان الانتقالي.

تمديد الفترة الانتقالية ٣٩ شهرًا، تسري بالتوقيع النهائي للسلام.

دمج مقاتلي الحركات المسلحة في الجيش السوداني على ٣ مراحل، تنتهي بانقضاء أجل الفترة الانتقالية. منح ٤٠ في المئة من السلطة في إقليم دارفور لمكونات مسار دارفور، و٣٠ في المئة إلى مكونات السلطة الانتقالية، و١٠ في المئة لحركات دارفور الموقعة على هذا الاتفاق، و٢٠ في المئة من السلطة لأهل المصلحة. وتم تخصيص ٢٠ في المئة من الوظائف في الخدمة المدنية والسلطة القضائية والنيابة العامة والسفراء للجبهة الثورية. استثنى الاتفاق قادة الحركات المسلحة من المادة ٢٠ بالوثيقة الدستورية التي تحرم كل من شغل منصبًا في السلطة الانتقالية من الترشح في الانتخابات المقبلة.

مـن أبـرز الحـركات المسـلحة الموقعـة: حركـة العـدل والمسـاواة، الـتي يقودهـا جبريـل إبراهيـم، وحركـة جيـش تحريـر السـودان، بزعامـة مـني أركـو منـاوي، الحركـة الشـعبية شـمال، بقيـادة مالـك عقـار، بجانـب فصائـل أخـرى صغـيرة منضويـة في تحالـف الجبهـة الثوريـة.*

[50] صحيفة الشرق الأوسط

# دارفـور.. وحدة القضية والحلول المجتزأة

عندمـا انطلقـت نـداءات الاسـتغاثة المتمثلـة في اعتصـام مواطـني نيرتـتي في أواخـر يونيـو ٢٠٢٠ وتبعتهـم فيهـا مناطـق كتم وفتابرنـو وكبكابيـة، لـم تكـن مـن بـين قائمـة مذكراتهـا المطلبيـة تخفيـض أسـعار الرغيفـة الـتي بلغـت عـشرة جنيهـات هنـاك، أو تخفيـض أسـعار برميـل ميـاه الـشرب الـذي يـتراوح حاليًـا بـين ٨٠ إلى ١٠٠ جنيـه سـوداني، وهنـا يكمـن الفـرق بـين أهـم العوامـل الـتي دفعـت مواطـني العاصمـة والولايـات الهادئـة أمنيًّـا وبـين مواطـني الأقاليـم الملتهبـة، لا سـيما دارفـور الـتي مـا فتئـت تستشـعر أنهـا غـير معنيـة بمـا حـدث ويحـدث مـن تغيـير.

يتجـلى ذلـك مـن خـلال تمحـور جميـع مطالبهـا حـول «الأمـن» الـذي لـم يطـرأ عليـه أي تغيـير رغـم تغيـير النظـام السـابق، فقـد ظـل انعـدام الأمـن كابوسًـا يقـض مضجـع سـكان إقليـم دارفـور مـذ عقـود وإلى هـذه اللحظـة.

إن أي محاولة لتجزئة الحلول بشأن مشكلة السودان الأمنية في دارفور، حتمًا ستجر الحكومة الانتقالية إلى ارتكاب ذات الحماقات التي فتحت زنازين المحكمة الجنائية الدولية واسعة أمام رؤوس نظام البشير الذين ما انفكوا يتشبثون بالسلطة هربًا من عقوبة ما فعلوه بشعوب تلك المناطق وعواقبه.

ولا يخفى على أحد أن الحلول التخديرية الجزئية التي وُوجه بها اعتصام نيرتتي هي ما دفعت كبكابية وفتابرنو إلى الساحات، كونها تعاني من ذات المشكلة.

وهي في اعتقادي نفس الطرق التمويهية التي كانت الحكومة السابقة تسلكها في مواجهة مطالب الثورة السودانية في منابر التفاوض مع الحركات المطلبية التي أسفرت عن ٤٢ اتفاقية، لم ينفذ منها شيء (أبشي ١ و٢ و٣، ووأبوجا ١ و٢، وسِرْت، وطرابلس، وشرم الشيخ، وأسمرا، والدوحة ١ و٢) نموذجًا

إن الدماء التي سالت في ميادين اعتصام مدينة كتم وفتابرنو على أيدي ميليشيات الدعم السريع في يوليو ٢٠٢٠، سوف تضع أسماء جديدة في قائمة المطلوبين للعدالة مهما طال الزمن، وستقع المسؤولية الكاملة على الحكومة الانتقالية الحالية كونها اعتمدت ذات الحلول الجزئية التي سبق وأن تذوق السودان مر نتائجها.

الفصل السادس عشر

# «السـلام سمح»

# أحكام سابقة لأوانها

يقـول جـورج هربـرت: «نتيجـة الحـروب خلـق اللصـوص.. ونتيجـة السـلام قتلهـم». اهـ

بفـرح يعتريـه شيء مـن التحفـظ والارتيـاب، تابـع المواطنـون فعاليـات توقيـع اتفاقيـة جوبـا للسـلام بالأحـرف الأولى، ومـا صاحبهـا وتخللهـا مـن ردود أفعـال جلهـا تعـبر عـن مكنونـات أصحابهـا بـلا التبـاس.. فبـكى البعـض فرحًـا، وفعـل البعـض مثـل ذلـك تأثـيرًا بمـن فعـل، ورقـص الحضـور عـلى أنغـام السـلام احتفـاء بسـلام طـال انتظـاره.

بينمـا شـكك البعـض في حقيقـة مـا يجـري لأسـباب بعضهـا يدخـل في دائـرة الشـكوك الـتي لهـا مـا يبررهـا.

غـير أن البعـض وصـل بـه الأمـر إلى وصـف الخطـوة برمتهـا بـ«الخيانـة» للثـورة ومـا إلى ذلـك!

باسـتثناء القائديـن «عبـد الواحـد» و«الحلـو» اللذيـن لهمـا مـا يـبرر موقفيهمـا حيـال مـا تـم ومـع احترامـي لجميـع الآراء والمواقـف، أجـد نفـسي مضطـرًّا للاختـلاف مـع كثـير مـن تلـك الأصـوات المناديـة ببطـلان هـذه الاتفاقيـة والدعـوة لمقاطعتهـا

دون أن تجـود قريحتهـم بـأي بديـل لحالـة اللاحـرب واللاسـلام الـتي تعيشـها البـلاد مـذ عقديـن، وكأن مفهومهـم للحـرب يتمثل في الحـرب مـن أجـل الحـرب.

والواقـع أن جـل تلـك الأصـوات في الأغلـب FM)) لـم يكتـب لهـا يومًـا أن تتـذوق طعـم قاذفـات الابابيـل ولـم يضطـروا إلى فتـح الراديـو ليتابعـوا سـير القنابـل الـتي تُلقيهـا طائـرات «الأنتينـوف» و«السـوخوي» عـلى الـرؤوس في جبـال النوبـة والنيـل الأزرق ودارفـور، ليسـيروا عكسـها أو يبحثـوا عـن حفـر وكهـوف تقيهـم القصـف، أو لربمـا لـم تسـمع تلـك الجهـات يومًـا عـن «ماريـق أفزعونـا» و«خلطـة» و«بطانيـة عجـب الحمـير» و«تـوب خواجة» ومشـمعات منظمـة الغـذاء العالمـي و«أبـو كلتومـة» و«أديبـورا» و«فَـري فَـري»*

لسـت هنـا بصـدد رصـد مـا جـرى ويجـري مـن ردود أفعـال حـول الاتفاقيـة أو ترجيـح رأي عـلى رأي.. لكـن مـا يجـب التنبّـه إليـه هـو أن هـذه الاتفاقيـة لا تشـبه مـا سـبقتها مـن اتفاقيـات، لا مـن حيـث المخرجـات -البرتوكـولات الثمانيـة- ولا مـن حيـث الأطـراف والكُتـل الموقعـة، ولا من حيـث المكان والوسـاطة التي اتسـمت بالجديـة والتفـاني مـن أجـل التوصـل لصيغـة تـرضي

[51] ماريـق أفزعونـا: اسـم محـلي يطلقـه النازحـون عـلى الـذرة الحمـراء الـتى تجـود بهـا المنظمـات الإنسـانية. بطانيـة عجـب الحمـير: نـوع مـن أنـواع البطانيـات الصوفيـة سريعـة التمـزق. أبـو كلتومـة وأدي بـور: دقيـق يخلـط بالدمـاء ويـشرب نيئـا ويضـاف اليـه خميـرة فيصـير اشـبه بالخمـر البلـدي. فـري فـري: اسـم يطلـق عـلى السـيارات العسـكرية المقطوعـة.

الجميع فقط دون أن تطلب نظير ذلك جزاء أو شكورًا.. كما تتميز بأنها أول اتفاقية سلام توقع بين الحكومة الجديدة وحركات الكفاح المسلحة، وهو ما يجعل تشبيهها بسابقاتها من اتفاقيات أمرًا سابقًا لأوانه.

وبما أن هذه الاتفاقية أتت كإحدى أهم خطوات حكومة الثورة الانتقالية النابعة عن شعارات ثورة ديسمبر «حرية سلام وعدالة»، فلا شك أن عملية تنفيذها ستضع الطرفين أمام اختبار تاريخي وستكشف مدى جديتهما وصدقهما تجاه حل المشكل السوداني الذي ما عتم يؤرق الدولة طيلة العقود التي تلت الاستقلال، وقد وضعت الجهات الموقعة الكرة للتو في الملعب لبرهنة ذلك في الأيام المقبلة، والأيام كفيلة بإخبارنا بكنه النيات وخفاياها، وحينها سينجذب الممانعون نحو السلام.. أو سيلتحق بهم الموقعون نافضين أياديهم عن كل ما تم التوصل إليه.

# أرباح السلام وخسائره

لا خسائر تفوق ما عاشتها البلاد خلال الستين عامًا الماضية.. ولا سيما الثمانية عشر عامًا الأخيرة، بعد أن طويت صفحة إحدى وعشرين سنة دامية في جنوب السودان وعشر أخريات قبلها.. ثم اشتعلت أجزاء أخرى في العام ٢٠١١ مجددًا لتستأنف المسير في دروب التشرد والهلاك، فلم تعرف البلاد سلامًا طوال الثمانية عشر عامًا الماضية.

ثمانية عشر عامًا مضت.. والأرواح تتطاير وتتصاعد إلى الجحيم أو الجنات بأعداد أعجز العادِّين حصرها. ثمانية عشر عامًا مضت.. ومعسكرات النزوح والذل والجوع ما برحت تستقبل الفارين لينغلقوا في أُتون الخوف والبطالة والعيش المهين، دون أن تلوح أمامهم أدنى بارقة أمل تشير إلى قرب نهاية هذا العذاب الأليم. ثمانية عشر عامًا مضت.. والأطراف المتحاربة تحشد وتستقطب السواعد القتالية من أبناء الشعب السوداني لخوض معارك ضروس ضد بني وطنهم

وكل طـرف يتوَهّـم إمكانيـة القضـاء عـلى الآخـر. ثمانيـة عـشر عامًـا مضـت.. ودمـوع الأمهـات الثـكالى تتدفـق مـدرارًا كلمـا تسـاقطت قطـرات دم أحدِهـم. ثمانيـة عـشر عامًـا مضـت.. والشـعب السـوداني في مناطـق الـنزاع يمَـنِّي نفسَـه كل لحظـة بنهايـة هـذه الحـرب اللعينـة . ثمانيـة عـشر عامًـا مضـت والحـرب الحمقـاء تأخـذ ثلاثـة أربـاع ميزانيـة الدولـة ليسـتَجلب بهـا بـدل القمـح دانـات الأنتينـوف ووقـود الأبابيـل وبـوت العسـكر وسراويلهـم .

لا شك أن المرحلة المقبلة ستكون حبلى بالكثير من الصِّعاب والعقبـات، لكَـون البـلاد تعيـش واقعًـا جديـدًا لـم يألفـه الشعب السـوداني المبرمج عـلى ثقافـة الحـرب وكراهيـة الآخـر، كنتيجـة حتميـة لتراكمـات السياسـات الإقصائية والعنصريـة التي دأبـت الأنظمـة السـابقة عـلى انتهاجهـا، لدرجـة جعلـت البعـض يسـتصعب تصـور إمكانيـة مشـاركة الهامـش في رأس هـرم صنـع القـرار.. وهـذه المرحلـة هـي الـتي سـتحدد مـا إذا كان السـودان قابـلًا للصعـود نحـو قِمّة الدول الرائدة أو إلى قـاع الدول البائدة .

إن طـيّ صفحـة الدمـاء في السـودان، يتطلـب مـن الحكومـة الانتقاليـة والحكومـات المنتخبـة المقبلـة تذكُّـر أن مـا تصرفـه الدولـة عـلى السـلام وبسـط العدالـة الاجتماعيـة والمظالـم التنمويـة الـتي رُفـع مـن أجلهـا السـلاح، لا يتجـاوز ربـع مـا تنفقـه عـلى الحـرب والدمـار . بـل إن حضـور قـادة الكفـاح المسـلح إلى الداخـل عـبر بوابـة اتفاقيـة سـلام جوبـا وحـده سـيوفر للسـودان أرباحًـا

ضخمة من الأموال والأنفس كانت ستحترق وتتبخر في ميادين المعارك العبثية اللعينة، مما سيفضي إلى تضييق حالة المواطن المعيشية فوق ما هي عليه. إذ لا رفاهية بلا تنمية، ولا تنمية بلا استقرار، ولا استقرار بلا سلام.

# سيناريوهات ومخاوف

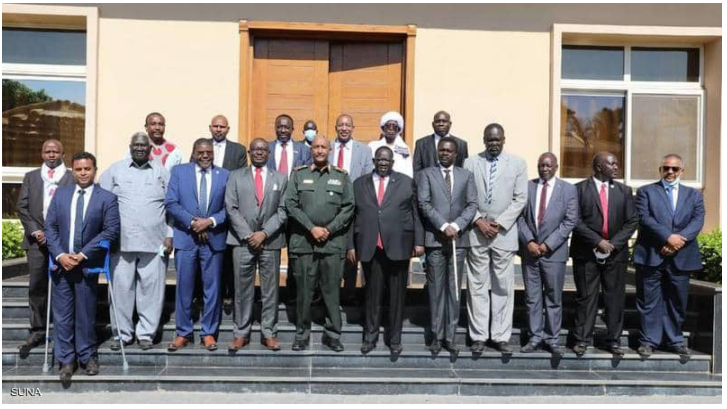


خواطر ومخاوف راودت الكثير من المهتمين وهم يتابعون تدفق قادة الكفاح المسلح إلى العاصمة الخرطوم بعد توقيع اتفاقية جوبا للسلام، فقد شهدت العاصمة السودانية الخرطوم استقبال قادة الجبهة الثورية صبيحة الأحد ١٥ نوفمبر ٢٠٢٠.

وعلى إثر ذلك ورغم التشدد الأمني الكثيف الذي ضُرب على جميع أجزاء العاصمة، ولا سيما محيط ساحة الحرية وداخلها «الساحة الخضراء سابقًا»؛ تذكّر بعض المراقبين حجم الخبائث التي ما فتئت تطل برؤوسها مكشرة أنيابها تتحين الفرصة للانقضاض على كل ما من شأنه المساهمة في بناء سودان يسع الجميع.

فقد جاء التوصل النهائي إلى اتفاقية السلام في جوبا والسودان، بلغ مرحلة غير مسبوقة من شظف العيش وضيق الحال وهشاشة الوضع الأمني كنتيجة حتمية لتراكمات أخطاء نظام حكومة الجبهة الإسلاموية المنهارة وفسادها.

وما يغذي عوامل توقع الخطورة هنا هو أن الفترة السابقة التي أعقبت سقوط البشير وتنفس الشعب السوداني على إثره الصعداء، قد شهدت عشرات من المجازر التي ارتكبتها وحاكت خيوطها جهات معلومة، رغم محاولة الجميع التعامي عنها، وأبرز تلك المجازر حادثة صبيحة الثالث من يونيو/ حزيران ٢٠١٩ أمام القيادة العامة، على أيدي قوات سميت متفلتة ومندسة وكتائب ظل وأمنًا شعبيًّا وجنجويد... لكن لم يجرؤ أحد على توجيه أصابع الاتهام لقائد بعينه أو كتيبة بعينها.. كما أن لجان التحقيق لم توفق في التوصل إلى الفاعل أو آمر الفاعل رغم وضوحه بشهادة المئات من الناجين حتى لحظة كتابة هذه السطور.

والمحزن حقًّا أن ثمة ما يربو عن الـ٨٠٠ جثة مجهولة الهوية في المشرحة منذ يوم فض الاعتصام لا تزال تنتظر قدوم ذويها لنقلها إلى مثواهم الأخير، حسبما أوردته صحيفة المواكب، كما سبق ذكره بالتفصيل.

هذا بجانب عدد غير معلوم من المفقودين وفاقدي العقول، وما برح الجاني حرًّا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

وبناء على ما سبق، نجد الشارع يتساءل حول، ما المانع من أن تدبر ذات الجهات مسرحية انقلاب عسكري يتم من خلاله تصفية قادة الكفاح «الأخشن» وكل المغضوب عليهم من مخلصي الثورة السودانية، بعد جرهم إلى الداخل، ومن ثم يتم عزو الفعل إلى ذات الفاعل المجهول، في ظل سيلان لعاب العسكر لاقتناص أي سانحة تعيدهم إلى الوضع السابق، وبروز أصوات حزبية أبدت انزعاجها بوضوح من نجاح هذه الاتفاقية.

قد يحمل التفاؤلُ البعضَ إلى حد تسفيه هذا التنبؤ الخطير، إلا أن تأمل الواقع والاستقراء والقراءة الصحيحة لتأريخ معظم الشخصيات المشاركة في الحكومة الحالية يرجح كفة هذه الافتراضية، كحلم استراتيجي ظل يراود النظام المحلول وأنصار مشروعه.

لذلك، لن يهدأ لأعداء السلام بال حتى ينسف ما تم الاتفاق عليه حرفًا حرفًا.

وما عملية اغتيال شعلتي ثورة التغيير السودانية الدكتور جون قرنق زعيم الحركة الشعبية لتحرير السودان وعقلها والدكتور خليل إبراهيم زعيم حركة العدل والمساواة وعقلها وما خلفاه من فراغ منا ببعيد.

وغدًا ستكشف الأيام ما صمتت عنه الألسن والأقلام.

الفصل السابع عشر

# «عدالة»

# في محاكمة المعزول.. تهاون وتعاون

يبـدو أن الأحـلام الـتي كانـت تداعـب مخيلـة ضحايـا جرائـم المخلـوع عمـر البشـير قـد باتـت تتهـاوى شـيئًا فشـيئًا في ظـل مـا تشـهده السـاحة العدليـة مـن «اسـتهبال» باختزالهـا جميـع جرائـم السـفاح في مبلـغ قيمتـه «١١٣ مليـون دولار» مـن الأوراق النقديـة بثـلاث عمـلات مختلفـة تـم العثـور عليهـا في مقـر إقامتـه بواسـطة فريـق مـن الاسـتخبارات العسـكرية وجهـاز الأمـن والمخابـرات والشرطـة والنيابـة العامـة عقـب الإطاحـة بـه، حسـبما أعلنـه الفريـق أول عبـد الفتـاح البرهـان رئيـس المجلـس الانتقـالي في نيسـان/أبريل ٢٠٢٠ لفضائيـة فرنسـية ٢٤، اسـتندت إليهـا المحكمـة لاحقًـا كبرهـان لأكـبر جريمـة ارتكبهـا عمـر البشـير طـوال فـترة حكمـه.. ليواجـه بموجبهـا تهمـة حيـازة النقـد الأجنـبي والكسـب بطـرقٍ غـير مشروعـة، مـا يعـني أنـه بـريء مـن كل مـا سـواها.. في محاولـة دراماتيكيـة سـمجة ترمـي إلى تجنيبـه مواجهـة العدالـة الحقيقيـة الـتي لطالمـا انتظرهـا الملايـين مـن ضحايـاه ممـن كتبـت لهـم النجـاة مـن

محارق «الهولوكوست البشيرية» التي ظلت ولا تزال ترتكبها ميليشياته في دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق الذين ما انفكوا مرغمين على الاحتماء بمخيمات الذل والخوف والجوع في مابان، وإيدا، وكلمة، وأبشوك، وزمزم، وأردمتا، ومورني، وقاقا، وعطاش، ونيم، وجبل، وبردجن، وترجن، وطلوم، وأردمي، وكنوكقو، وأم نبق، وملح.. وغيرها من معسكرات النزوح واللجوء التي تكتظ بأكثر من أربعة ملايين مواطن/ة سوداني/ة، وكل أملهم أن تأتي تلك اللحظة التي يشاهدون فيها جميع جلاديهم في قفص العدالة الصادقة يحاسبون عن كل ما اقترفوه من قتل واغتصاب وحرق.. لا القفص المسرحي الاستهتاري.

ومع الشكوك المتواصلة التي ترقد بثقلها على عقول معظم ضحاياه حول حقيقة أن السفاح عمر حسن أحمد البشير لم يدخل المعتقل مطلقًا إلا لالتقاط صور السيلفي لإيهام الناظرين أنه هناك يعاني من البعوض والقمل والمرقود والعفن وأكل العدس، يأتي ظهوره الأنيق بكامل هندامه وابتسامته الساخرة في جلسة محاكماته في أغسطس ٢٠١٩ ليؤكد للجميع أنه لم يكن معتقلًا.. ولن يكون بوجود هيئة مكونة من عشرات المحامين من أبرز أتباعه الفاسدين مسموح لها بتلقي التسهيلات والدعم اللامحدود من جهات رفيعة في المجلس السيادي بغية تضليل الشعب وإيهامه ببراءته.

ولن يكون البشير في المعتقل ما دام أن القضية قضية

«فلـوس» منحـة خليجيـة، وسـتكون نهايتهـا ذات المصـير الـذي آلـت إليـه دولارات المفوضيـة السـامية للأمـم المتحـدة لشـؤون اللاجئـين الـتي اختلسـها الرئيـس المـصري الأسـبق حسـني مبـارك، سـيما وأن الطـرف الثـاني «المتظلـم» مجـرد شـهود، اثنـان منهـم محققـان كانـا ممـن قامـوا بتفتيـش مقـر إقامتـه والآخـر مجـرد مـصرفي.

ولـن يبقـى البشـير في سـجن كوبـر مـا دام سـمح القـاضي الصـادق عبـد الرحمـن لهيئـة الدفـاع -وبـكل طاعـة- بإحضـار طلـب مكتـوب للنظـر في التمـاس الإفـراج عنـه بضمانـة عاديـة في الجلسـة القادمـة بعـد أن تقـدم المحامـي هاشـم أبـو بكـر بذلـك في أغسـطس ٢٠١٩.

وبـين هـذه وتلـك، تبقـى الأسـئلة الـتي سـتظل حـاضرة بإلحـاح عـلى أذهـان المتابعـين مـن الشـعب السـوداني لمـا يجـري أمامـه مـن مهـازل:

- مـن المسـؤول إذن عـن تلـك الأرواح المزهقـة طـوال فـترة حكـم البشـير الداميـة؟

- ألا يعتـبر هـذا التهـاون مـن قبـل المجلـس السـيادي إزاء مـا يجـري تعاونًـا مكتمـل الأركان لمخارجـة السـفاح البشـير مـن كلابيـش المحكمـة الجنائيـة الدوليـة أو محاكـم الثـورة السـودانية المنشـودة في هتافاتهـا المرعبـة للطغـاة «حريـة، سـلام، عدالـة»؟

# خطورة خلط أوراق الأولويات في محاكمة البشير

الشعب السوداني كعادته صبور وطيب إلى أبعد الحدود، بجانب تمتعه بسعة صدر كبيرة جعلته مغرمًا بمتابعة المسلسلات الهندية والتركية الطويلة جدًّا، وهو ما دفعه إلى مشاهدة مسرحية (محاكمة الرئيس المخلوع) بلا كلل أو ملل منذ بدايتها وحتى آخر حلقاتها التي أسدل آخر ستار لها نهار يوم السبت ١٤ ديسمبر كانون الأول ٢٠١٩، حيث تمخضت عنها إدانة المخلوع عمر حسن أحمد البشير بتهم الثراء الحرام تحت المادة ٦ و٧ وحيازة النقد الأجنبي بطرق غير مشروعة.

وعلى ضوء ذلك أمرت المحكمة بسجنه في إصلاحية لسنتين، تطبيقًا لما نصت عليه المادة ٤٨ (التدابير المقررة للشيوخ ) «انظر الفصل الأول».

وكأن المواطن السوداني المكلوم الثائر منذ أكثر من عقد

ونصف، ما ثار إلا لاقتلاع ما بحوزة البشير من مبالغ نقدية بعملات مختلفة كان قد اكتسبها من كد عرقه عبر الشحذة والتسول على أرصفة مطارات المحسنين من دول الخليج وأبوابهم.

أو لكأن هذه الوريقات من النقود الأجنبية التي كان يحتفظ بها المخلوع لنفسه لليوم الأسود، تمثل أكبر جرائمه التي ارتكبها خلال فترة حكمه الممتدة لثلاثة عقود متتاليات.

أو كأن تلك الملايين -التي لا علم للشعب بها- وحدها هي التي أشعلت جذوة ثورة ديسمبر التي أدت في نهاية المطاف إلى إسقاط نظامه!

في محاولة لإسكات الأصوات التي ارتفعت مستنكرة قرار المحكمة، أصدرت النيابة العامة بيانًا جاء فيه «أن البشير تنتظره قضايا عديدة من بينها قضايا الجرائم ضد الإنسانية وتقويض النظام الدستوري وتصل العقوبة في كل منها في حالة الإدانة إلى عقوبة الإعدام»، فيما أوضحت أنها «تباشر التحقيق في الجرائم التي ارتكبها البشير ورموز نظامه السابق منذ العام ١٩٨٩م وحتى تاريخ سقوط نظامه في أبريل ٢٠١٩م (جرائم قتل المتظاهرين وانتهاكات حقوق الإنسان والجرائم ضد الإنسانية في دارفور وجبال النوبة والنيل الأزرق، جرائم الاغتصاب، جرائم التعذيب، وجرائم الاختفاء القسري، وجرائم الفساد الأخرى التي تصل المبالغ الواردة فيها إلى مليارات الدولارات إلخ) حسبما تناقلتها الصحف ووكالات

الأنباء المختلفة.

كما ألحق بقائمة اتهاماته في جلسات لاحقة قضية تقويض السلطة الدستورية عبر انقلاب عسكري، وبموجبها أضيف معه في قفص الاتهام ٢٧ شخصًا، وبدأت محاكمتهم في ٢١ تموز/يوليو، ثم تتالت الجلسات.

وبحسب فرنسا ٢٤ الإخبارية فإن «الجلسة الثامنة من المحاكمة قد عقدت في قاعة تراعي إجراءات السلامة من كوفيد ١٩.

واستمعت المحكمة خلال الجلسة إلى رد فريق من المحامين على بيان الاتهام الذي تلاه النائب العام السوداني في الجلسة الماضية، ما دفع ممثلي الدفاع إلى الانسحاب بحجة أنه كان ضمن مقدمي البلاغات في القضية قبل تقلده منصبه.

وكان الحبر قد أفاد خلال تلاوته نصوص الاتهام «نقدم المتهمين من العسكريين بموجب المواد (٩٦ و٧٨ و٥٤) والمواد (٩٦ و٧٨) للمدنيين من قانون العقوبات السوداني لسنة ١٩٨٣ والذي كان ساريًا عند وقوع الجريمة».

وتختص المادة ٩٦ بتقويض النظام الدستوري، كما تختص المادة ٧٨ باشتراك أكثر من شخص في ارتكاب جريمة. أما المادة ٥٤ من قانون القوات المسلحة السودانية فتختص باستخدام القوة العسكرية.

وهـذه هـي الجلسـة الثامنـة لمحاكمـة المتهمـين الـ٢٨ بتهمـة تنظيـم الانقـلاب الـذي أوصـل البشـير إلى السـلطة في ١٩٨٩. وفي حـال إدانتهـم سـيواجهون عقوبـات يمكـن أن تصـل إلى الإعـدام».[*]

وأرجـأت المحكمـة الثلاثـاء ٣ نوفمـبر ٢٠٢٠ محاكمـة الرئيـس السـوداني المعـزول عمـر البشـير و٢٧ شـخصًا إلى ١٠ تشريـن الثاني/نوفمبر لاستكمال الاستماع إلى ردود محامي الدفاع على نـص الاتهـام الـذي تـلاه النائـب العـام تـاج الـسر الحـبر.

وفي جلسـة الثلاثـاء ٢٠٢٠\١٢\٢ قـال القـاضي عصـام الديـن محمد إبراهيـم في جلسـة جـرى بثهـا عـبر التلفزيـون الرسـمي «إن هـذه آخـر جلسـة لـه في هـذه المحكمـة».

وأوضـح إبراهيـم أنـه يتنحى عـن المحكمة لأسـباب صحيـة، مشـيرًا إلى أنـه يعـاني مـن ارتفـاع ضغـط الـدم، وأن الأطبـاء نصحـوه بتجنـب أي توتـر.[**]

ووجـه القـاضي السـوداني الشـكر إلى رئيسـة القضـاء نعمـات محمـد عبـد الله، وذلـك لموافقتهـا على طلبـه بالتنحـي.

وأشـار إلى أن الجلسـة المقبلـة والـتي سـتعقد في الخامـس مـن كانـون الثاني/ينايـر القـادم سـتكون برئاسـة أحـد زملائـه.

---

[25] فضائية فرنسا 42 الاخبارية 3\11\0202

[35] اسبوتنك عربي 22\21\0202

لكـن كل ذلـك لـم يـروِ ظمـأ أسر الضحايـا الذيـن مـا انفكـوا يتسـاءلون:

لمـاذا لـم تؤخـر المحكمـة هـذه القضيـة إلى مـا بعـد الفصـل في قضايـا جرائـم قتـل المتظاهريـن وانتهـاكات حقـوق الإنسـان والجرائـم ضـد الإنسـانية في دارفـور وجبـال النوبـة والنيـل الأزرق، وجرائـم الاغتصـاب والتعذيـب والاختفـاء القـسري؟

أم أن مـن أبجديـات العمـل القضـائي والعـدلي أن تقـدم الجرائـم الصغـرى عـلى الكـبرى، والأمـوال عـلى الأرواح؟

وهـل سـيكون الأمـر مختلفًـا إذا لـم يعـثر عـلى تلـك المبالـغ النقديـة بحوزتـه ولـم يتـورط في جريمـة الانقـلاب تلـك؟

ومـا المانـع مـن تسـليم البشـير إلى المحكمـة الجنائيـة الدوليـة مـا دام أن القانـون السـوداني عاجـز عـن تحقيـق العدالة بسـبب القيـود الـتي تفرضهـا المـواد المتعلقـة بعامـل السـن؟

إن مـا يجـري الآن في السـاحة القضائيـة والعدليـة مـن خلـط لأوراق الأولويـات في ملفـات جرائـم المخلـوع عمـر البشـير وتقديـم صغائـر القضايـا عـلى أمهـات الجرائـم، لأمـر ليـس مخيبًـا للآمـال فحسـب، بـل يؤكـد لضحايـا النظـام المتـواري والمجتمـع الـدولي بـأن المحاكـم الوطنيـة الداخليـة مـا هـي إلا خشـبة مسـارح لعـرض مشـاهد اسـتفزازية سـاخرة للتلاعـب عـلى خيـوط الزمـن ريثمـا يعـاود النظـام البائـد ترتيـب صفوفـه والتقـاط أنفاسـه ليقـوم بنسـف كل مـا تـم التوصـل إليـه مـن

بشائر وتطلعات الشعب السوداني -على قلّتها- عبر انقلاب عسكري مغطى بزحف الزواحف من منتسبي أجهزة أمن وكتائب ميليشيات نظام البشير التي لم تمسسها أيادي التفكيك بعد.

ومع يقيني -عزيزي القارئ- بأن المحاكم السودانية غير مؤهلة البتة للقيام بمحاكمات جادة تروي غليل الوطن والمواطن، يبقى على النيابة العامة المباشرة الفورية في إعادة ترتيب أوراق الأولويات وتسليمها برفقة المخلوع السفاح عمر البشير إلى المحكمة الجنائية الدولية لينال محاكمات تتناسب وجرائمه الكبيرة الكثيرة والخطيرة، وفي مقدمتها تلك الأرواح البريئة التي أقر البشير بعظمة لسانه بسلب عشرة آلاف منها في دارفور..

وإلا سيصبح الأمر برمته مجرد مسخرة تبعث برسائل خطيرة، مفادها أن النظام السابق ما عتم يتحكم في مقاليد الحكم في البلاد، وهي ما ستقشر بدورها جراحات الأزمة السودانية الملتهبة مجددًا.

إلا أن الجيد في الأمر والذي عاود الظهور مجددًا في الساحة وساهم في رفع نسب التفاؤل لدى أسر الضحايا، هو أن المحكمة الجنائية لم تفتر همتها بعد عن ملاحقة المتهمين في جرائم الحرب ضد الإنسانية والإبادة الجماعية في دارفور، إذ وصلت المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية «فاتو بنسودا» إلى الخرطوم السبت ١٦ أكتوبر ٢٠٢٠، في زيارة للسودان

استمرت خمسة أيام بحثت خلالها القضايا التي تنظر فيها المحكمة والمتصلة بإقليم دارفور.

ونشرت «وكالة الصحافة الفرنسية أ ف ب» ما أسفرت عنه المحادثات بين مسؤولي حكومة السودان الانتقالية والمدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية، التي تضمنت طرح عدة خيارات، بينها تشكيل محكمة مختلطة، بشأن محاكمة الرئيس السوداني السابق عمر البشير بتهم ارتكاب جرائم إبادة في إقليم دارفور غرب البلاد، بحسب ما أعلن وزير العدل الاثنين ١٩ أكتوبر ٢٠٢٠.

وقال الوزير نصر الدين عبد الباري في مؤتمر صحافي «التقينا بها -بنسودا- بالأمس، واليوم -الاثنين- (...) وتطرقنا لعدة خيارات ومقترحات فيما يتعلق بشأن القضايا أمام المحكمة ونتطلع للوصول إلى رؤية مشتركة».

وأضاف «ومن بين تلك الخيارات التسليم والمثول، أو تكوين محكمة هجينة (مختلطة)، أو محكمة خاصة عقب التشاور مع مؤسسات الدولة وأسر الضحايا».

وأعلن عبد الله حمدوك رئيس الوزراء السوداني بعد لقائه بنسودا، أن التزام السودان بتحقيق العدالة هو استجابة للمطالب الشعبية.

كذلك أكد النائب العام السوداني تاج السر الحبر التعاون مع المحكمة الجنائية الدولية وشدّد على أن المبدأ العام

هـو «عـدم الإفـلات مـن العقـاب». [*]

وكانـت المحكمـة أصـدرت مذكـرات اعتقـال بحـق البشـير (٧٦ عامًـا) واثنـين مـن مسـاعديه بتهـم ارتـكاب جرائـم إبـادة وتطهير عـرقي وجرائـم حـرب وضـد الإنسـانية في أثنـاء الـنزاع في إقليـم دارفـور غـرب البـلاد، الـذي اسـتمر بـين ١٩٨٩ و٢٠٠٤ وأسـفر عـن ٣٠٠ ألـف قتيـل وملايـين النازحـين.

ومـن بـين المتهمـين الذيـن يواجهـون اتهامـات بارتـكاب جرائـم ضـد الإنسـانية أحمـد هـارون الحاكـم السـابق لولايـة جنـوب كردفـان، وعبـد الرحيـم محمـد حسـين وزيـر الدفـاع السـابق وهمـا موقوفـان حاليًّـا في السـودان.

وفي حزيران/يونيـو ٢٠٢٠ سـلم عـلى كوشـيب أحـد المطلوبـين للمحكمـة، نفسـه لهـا في دولـة إفريقيـا الوسـطى المجـاورة لإقليـم دارفـور.

[45] وكالة الصحافة الفرنسية.

# المفعول الذي لم يسم فاعله بعد

عظيم أن تبسط الأجهزة العدلية يدها مؤخرًا لتنفذ حملة توقيف بحق أكابر مجرمي نظام الجبهة الإظلامية الدموية بغية تقديمهم لمحاكمات عادلة، من شأنها أن تقطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه القيام بأي شكل من أشكال الانقلابات التي لطالما أذاقت السودان مذ الاستقلال الويل والثبور وأفرزت بدورها أنظمة شمولية استبدادية أشبعت البلاد صنوفًا شتى من القهر والفقر والتخلف والدمار.

وجميل أن تطول تلك الحملة حتى الجناح الآخر لنظام الإنقاذ (الشعبي) متمثلة في شخصية مساعد الرئيس المخلوع إبراهيم السنوسي الذي ما فتئ يتباكى على نظامه البالي ويصرخ متوعدًا الحكومة الانتقالية بعدم السماح لها بإتمام فترتها الانتقالية بسلام، إضافة إلى الأمين العام لحزب المؤتمر الشعبي الدكتور علي الحاج محمد، وهما بلا شك من الشخصيات المدنية المشاركة في تقويض السلطة المنتخبة، على اعتبار أن الجرائم لن تسقط أو

تتلاشى بالتقادم مهما اعتراها من تغبيش أو افتعال الشقاق والتناحر بين الجناة.

وجميل أن نلحظ تحسنًا في أداء الأجهزة الأمنية المنوطة بها عمليات التوقيف والاعتقال على غير ما عهدناه إبان فترة حكم الجنرال عمر البشير من تسور المنازل ليلًا وترويع أسر المغضوب عليهم وأطفالهم، واختفاء وسائل التعذيب من (الكماشات، والقزازة، والتلاجة، وبنبر الشيطان، وطيارة قامت، والمكواة الكهربائية، والزراديات)، وغيرها من وسائل استحلاب المعلومات قبل التحريات وفي أثنائها، وهو أمر يعكس بلا شك مدى الفرق بين فترتي الثورة المفاهيمية الشابة والنظام القمعي المتواري، هذا إذا استثنينا ما تقوم قوات الدعم السريع التي لا زالت تمارس ما اعتادته من عمليات دهس واعتقال وتعذيب حتى الموت، وآخرها حادثة دهس زوجة المدير الطبي لمستشفى كرنوي د. معاوية حسن مهاجر في ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٠، وقبله مقتل الناشط بهاء الدين نوري الذي أثار تجمع العشرات خارج المستشفى الذي توجد فيه جثته وهم يرفعون لوحات تحمل صورة نوري ولافتات تطالب بالانتقام لوفاته، فيما كانت عائلته تستلم جثمانه من المشرحة لدفنه، بحسب مراسلي وكالة فرانس برس.

وطالب المتظاهرون بإعدام الجناة. وكُتب على إحدى اللافتات «كفاية استرخاص لدماء الشعب»، في إشارة إلى

المتظاهرين الذين قتلوا خلال أشهر من الاحتجاجات في عام ٢٠١٩.

وبهاء الدين نوري كان عضوًا في «لجنة المقاومة» في حيه، وهي جمعية نشطت في التنديد بنظام الرئيس المعزول عمر البشير. وقد خُطف في ١٦ كانون الأول/ديسمبر من مقهى في حي الكلاكلة بجنوب الخرطوم، على يد رجال بزيّ مدني في سيارة لا تحمل لوحات تسجيل، حسبما نشر في الصحف المحلية. وعثر على جثته بعد خمسة أيام في مشرحة مستشفى أم درمان. ورفضت أسرته حينها دفنه بعد اكتشاف آثار ضرب وتعذيب على جسمه. ويشتبه بأن قوات الدعم السريع هي التي خطفت وقتلت نوري، في حادثة أثارت غضب الشارع.

وقالت النيابة العامة في بيان صدر في وقت متأخر الاثنين ٢٠٢٠\١٢\٢٨ إن تقريرًا للجنة هيئة الطب العدلي حول تشريح جثة نوري «أكد إثبات تعرض المجني عليه إلى إصابات متعددة» أدت إلى وفاته. وأضاف البيان الذي نقلته الوكالة نفسها أن «النائب العام اتخذ وفقًا للقانون الإجراءات اللازمة للقبض على وتسليم جميع أفراد القوة التي قامت بقبض واحتجاز المجني عليه للنيابة العامة فورًا».

لكن الشيء الذي لم يستطع له اللسان استعذابًا ولا المعدة هضمًا، هو أن ينخرط المجلس السيادي وأجهزته القضائية والعدلية في بطون أودية التوافه والانصرافيات.. فينكبوا بكل

ما أوتوا من صلابة وصلاحيات على خنق الأعواد اليابسة وطعنها بدلًا من اصطياد الأفيال والخنازير السمان الراتعة أمامهم وخلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم من مجرمي النظام السابق، لا سيما أعضاء مجلس قيادة انقلاب ٣٠ يونيو العسكريين، والأحياء من المدنيين من الصف الأول والثاني والثالث والرابع وحتى الخامس عشر.

إن عملية التحفظ على بعض ممن ساهموا في عملية الانقلاب على حكومة الديمقراطية الثالثة بتهمة واقعة جريمة الانقلاب فقط وغض الطرف عن ما اقترفوه من الجرائم في أثناء فترة حكمهم الطويلة ابتداء من مجزرة الثامن والعشرين من رمضان ١٩٩٠ مرورًا بفظائع بيوت الأشباح والتصفيات الفردية والجماعية في الخرطوم والعيلفون وبورتسودان وجوبا وشعيرية وخزان جديد وكبكابية وزالنجي، بجانب المجازر التي حصدت أكثر من مليون ونصف المليون من أرواح المواطنين العزل في جنوب السودان، وأكثر من ثلاثمائة ألف مواطن في دارفور، وعشرات الآلاف في جنوب كردفان والنيل الأزرق وشرق السودان ضد عرقيات وانتماءات بعينها، ومجازر هبة سبتمبر ٢٠١٣، ومؤخرًا شلالات دماء فض الاعتصام وما سبقتها وما تلتها من جرائم، لأمر يدعو إلى الغثيان.. سيما وأن مسألة الانقلاب في هذه الحالة تعد ثانوية أمام تلك الجرائم التي ارتكبت خلال الثلاثين عامًا الماضية!

معلوم بداهة أن ثقافة (عفا الله عما سلف) و(المسامح

كريـم ) ومـا إلى ذلـك مـن المفـردات الـتي طمـرت في رمالهـا كرامة الشـعب السـوداني وكرمـه المفعـول بـه منـذ قديـم الزمـان في ظـل وجـود الفاعـل والمفعـول لأجلـه وأدوات الفعـل، مـا عـادت تنطـلي عـلى المواطـن السـوداني الثائـر المتطلـع إلى دولـة يسـودها السـلام والحريـة المحروسـة بالعدالـة الناجـزة.

الفصل الثامن عشر

# «أصدقاء الثورة والآخرون»

# صديقة الثورة التي يَسْتَعْدون

باستثناء جمهورية جنوب السودان والدول العظمى التي عبّرت باكرًا عن وقفتها مع تطلعات شباب الثورة السودانية، هرول كثير من دول الجوار الإقليمي لدعم المجلس العسكري ماديًّا ومعنويًّا وفنيًّا بل وعسكريًّا لوأد إرادة الشعب، لا لشيء سوى لتعارض مصالحها مع وجود حكومة تقودها عقول مدنية تجيد الرقص على إيقاعات طبول المصالح التي تربط بينها وبين جميع دول العالم دون إفراط أو تفريط. لكن كان من بين تلك الدول المجاورة دولة واحدة هي الوحيدة التي حظيت وستحظى باحترام الشعب السوداني ما بقي فيهم شريف.

ففي خضم ما كانت تشهده البلاد من احتقان تسببت فيه أحداث فض الاعتصام، حطت طائرة رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد علي بمطار الخرطوم، في زيارة هي الأولى من نوعها في مثل تلك الظروف الاستثنائية، عقد خلالها محادثات مع ممثلين عن المجلس العسكري وقوى إعلان الحرية والتغيير

الـتي تقـود الاحتجاجـات في السـودان، في إطـار جهـود وسـاطة بـين الجانبـين اللذيـن تباعـدت مواقفهمـا، واسـتطاع أن ينجـح في تلطيـف الأجـواء وإعـادة الأطـراف إلى طاولـة المفاوضـات، قبـل أن يعـين الدكتـور محمـود دريـر مندوبًـا لـه في السـودان لمواصلـة لعـب دور التوسـيط بـين الفرقـاء.

وفي ختـام زيارتـه دعـا «الفاعلـين السياسـيين السـودانيين إلى اتخـاذ قراراتهـم بشـأن مصيرهـم في حريـة واسـتقلالية تامـة عـن أي طـرف غـير سـوداني مهمـا كان».

وقـال آبي أحمـد، في البيـان الـذي حصلـت الأناضـول عـلى نسـخة منـه: «حـري بي أن أؤكـد في الوقـت الـذي تواجـه فيـه الأمـة السـودانية تحديـات جسـامًا تمـس الصميـم الوطـني عـلى أن الأنانيـة والمصالـح الضيقـة والدوافـع الفئويـة والأطمـاع السياسـية الفرديـة لا يجـوز أن يكـون لهـا مـكان في معالجـة الأزمـة».

ودعـا إلى أن تكـون «وحـدة واسـتقرار وسـيادة السـودان الوطنيـة هدفًـا مقدسًـا لا مسـاومة فيـه عـلى الإطـلاق، وعليـه يجـب أن تخضـع لهـذا الانشـغال السـامي كل الاعتبـارات الأخـرى مهمـا كانـت».

وتابـع أن «الفاعلـين السياسـيين السـودانيين مطالبـون باتخـاذ قراراتهـم بشـأن مصيرهـم الوطـني في حريـة واسـتقلالية تامـة عـن أي طـرف غـير سـوداني مهمـا كان».

وأضاف أن «الجيش والشعب والقوى السياسية مطالبون بإلحاح بالتحلي بالشجاعة والمسؤولية للسير بخطى سريعة في اتفاق مؤسس لمرحلة انتقالية ديمقراطية وتوافقية وشاملة في البلاد». وجاءت زيارة آبي أحمد للسودان بعد يوم من تعليق الاتحاد الإفريقي -مقره إثيوبيا- بمفعول فوري عضوية السودان في المنظمة القارية حتى تسليم السلطة للمدنيين.*

في الواقع لم يكن رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد هو أول زعيم إثيوبي يخطو تلك الخطوة المشرفة نحو استقرار السودان وتطلعات شعبه، فقد سبقه في ذلك الإمبراطور هيلا سيلاسي عقب استقلال السودان رغم الخذلان الرهيب الذي مني به من قبل نظيره السوداني آنذاك، وقبلهما الإمبراطور يوحنا في أواخر القرن التاسع عشر رغم الغدر الذي كلفه حياته على أيدي السودانيين، وذلك في مارس/آذار ١٨٨٧ بعد أن استشعر الخليفة عبد الله التعايشي استحكام قبضته على الحكم في معظم أجزاء السودان واتسعت شهيته لتوسيع دائرة نفوذه، أرسل خطاباته الشهيرة للتبشير بالرسالة المهدية، فأرسل إلى الخديوي توفيق باشا بمصر، والسلطان عبد الحميد، والملكة فكتوريا في بريطانيا، والسنوسي بليبيا، وقبائل الحجاز وغيرهم. إلا أن ما يجدر التوقف عنده هنا هو خطابه إلى الإمبراطور الإثيوبي يوحنا، ورد يوحنا وموقفه ونظرته العميقة لمشكل السودان.

---

[55] موقع الأناضول الإخبارية

فقـد كان يأمـل الإمبراطـور يوحنـا مـن أشـقائه السـودانيين التعـاون معـه في الدفـاع عـن مصالـح البلديـن مـن أطمـاع الطامعـين الذيـن تكالبـوا عـلى نهـب ثـروات البـلاد، بغـض النظـر عـن اختـلاف التوجهـات الأيدلوجيـة والدينيـة.

وكان الخليفـة عبـد الله التعايـشي قـد كتـب إلى الإمبراطـور يوحنـا ثـلاث مـرات يدعـوه إلى الإسـلام، وعندمـا تجاهلـه الإمبراطـور، اسـتدعى حمـدان أبـو عنجـة أحـد أقـوى قادتـه القتاليـة مـن كردفـان، وأرسـله حاكمًـا عـلى القلابـات، ليقـوم بالإغـارة عـلى إثيوبيـا تنفيـذًا لتهديـد الخليفـة، فأغـار حمـدان عـلى إثيوبيـا مرتـين خـرب مـن خلالهمـا كثـيرًا مـن القـرى بعـد أن قتـل أهلهـا وغنـم ممتلكاتهـم وحـرق دور العبـادة وقتـل الرهبـان وحمـل نسـاءهم سـبايا إلى سـيده الخليفـة. ولـم يكـن رد الإمبراطـور يوحنـا عـلى هاتـين الغزوتـين بغـزوة مثلهمـا، بـل كتـب خطابًـا رقيقًـا إلى أبي عنجـة بالأمهريـة والعربيـة يدعـوه إلى الصلـح والاتحـاد لصـد الإفرنـج. فـرد عليـه أبـو عنجـة بـأن اقـتراح الصلـح -والسـلمية- دليـل عـلى الضعـف، وهـو رأي الخليفـة نفسـه. فاضطـر الإمبراطـور يوحنـا إلى الدخـول مكرهًـا في معركـة الدفـاع عـن النفـس، فهجـم عـلى القلابـات في مـارس ١٨٨٩، وكان حمـدان أبـو عنجـة قـد مـات وخلفـه الـذكي طمـل، ولقـي الإمبراطـور يوحنـا حتفـه أيضًـا في تلـك المعركـة برصاصـة طائشـة [*] ممـا ألقـى بظلالـه عـلى إضعـاف قـوة الجيشـين، فكانت

[65] دكتـور زاهـر ريـاض، السـودان المعـاصر منـذ الفتـح المـصري حـتى الاسـتقلال ص261 , مكتبـة الأنجلـو المصريـة ط 1 .

أحـد أهـم العوامـل الـتي أسـالت لعـاب المسـتعمر البريطـاني المـصري وتحفيزهـم للعـودة إلى السـودان.

نظـرة سريعـة إلى خطـابي كل مـن الإمبراطـور يوحنـا والتعايـشي تدلنـا عـلى مـا كان بـين الرجلـين مـن فـارق في الرجاحـة العقليـة، فـالأول رجـل مـتزن ينظـر إلى الأمـور نظـرة واسـعة، بينمـا كان التعايـشي عكسـه تمامًـا. ومـا أشـبه الليلـة بالبارحـة!

إذ إن الحكومـة الانتقاليـة قـد وقعـت لاحقًـا في ذات الخطـأ التاريخـي الـذي بموجبـه كادت أن تنجـرّ البلـدان إلى حـرب شـاملة في ديسـمبر ٢٠٢٠ عـلى المناطـق الحدوديـة، وهـو وإن كانـت إثيوبيـا تسـتحوذ عـلى أراضٍ سـودانية منـذ ربـع قـرن، إلا أنهـا لـم تكـن الجـارة الوحيـدة الـتي فعلـت ذلـك، إضافـة إلى أن اختيـار توقيـت الاسـتعداء لـم يكـن مدروسًـا البتـة، وهـو لا يقـل كارثيـة عمـا اقترفـه التعايـشي الـذي عجـل بمقتلـه وزوال أول دولـة وطنيـة في مـا سُـمي بالسـودان الحديـث وإعادتـه -رغـم التجـاوزات- إلى حضـن المسـتعمر مجـددًا بعـد استشـهاد الملايـين مـن السـودانيين الذيـن قـال عنهـم أحـد قـادة الجيـش الاسـتعماري الحربيـين: أنـا لـم أهـزم السـودانيين.. بـل قتلتهـم.

يتضـح السـبب وراء اسـتعداء الحكومـة الانتقاليـة لإثيوبيـا جليًّـا إذا مـا اسـتصحبنا التأثـير الإقليمـي عليهـا بنـاء عـلى مواقفهـا مـن برامـج حكومـة آبي أحمـد التنمويـة، وقـد حـاول المجلـس العسـكري باكـرًا إبعادهـا عـن الوسـاطة، واصفًـا إياهـا بأنهـا

تحـشر أنفهـا في شـأن سـيادة السـودان كمـا ألمـح بذلـك الناطـق الرسـمي باسـم المجلـس العسـكري.

والملاحـظ أن الحكومـة الإثيوبيـة لـم تقـم كغيرهـا بإعـلان معـاداة طـرف مـن الأطـراف السـودانية دون آخـر كمـا فعـل كثـيرٌ مـن الـدول.

وبالرغـم مـن تحفظـات قـوى الحريـة والتغيـير عـلى بعـض شروط الوسـاطة الإثيوبيـة وزيـارة بعـض حلفائهـا لإثيوبيـا في بـادئ الأمـر، فـإن الجميـع يـدرك أن تَفَهُّـم دولـة إثيوبيـا لمشـكل السـودان وقناعتهـا بعدالـة قضيـة الثـورة السـودانية وإصرارهـا عـلى إعـادة الطرفـين إلى المفاوضـات والضغـط عـلى الاتحـاد الإفريقـي والولايـات المتحـدة للوقـوف بجديـة لحـل مشـاكل السـودان، جعلتهـا الدولـة الوحيـدة الـتي قدمـت كل مـا تـراه مناسـبًا دون أن يكـون لهـا أي مصلحـة فيمـا يـدور في السـودان سـوى مـا ترجـوه مـن إلحـاق السـودان بركـب التقـدم والـرقي عـبر دولـة مدنيـة ذات إرادة وإدارة ودرايـة قويـة تجعلهـا مدركـة بـكل مـا لـه ومـا عليـه مـن حقـوق مواطنيـه وتطلعاتهـم، وضمـان اسـتقرار الأوضـاع بـدول المنطقـة.

# الجامعة العربية التي يستجدون

أعقبت مقابلة رئيس المجلس السيادي عبد الفتاح البرهان ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في مدينة عنتيبي اليوغندية مطلع فبراير ٢٠٢٠ ردود أفعال متباينة داخليًّا، في الوقت الذي اتحدت كلمة الدول العربية بشأنها واتسمت ردودهم بكثير من السخط وعدم الرضى، حتى وصل الأمر بأن نعت بعضهم الشعب السوداني بـ(العبيد) الذين لا يجب شراؤهم إلا والعصا معهم، لأنهم أنجاس مناكيد، حسبما وصفهم أحدهم في تغريداته مستلفًا مقطعًا من قصيدة عنصرية كتبها أبو الطيب المتنبي والذي هجا فيها حاكم مصر النوبي الأسود كارفور الإخشيدي حينما خالف هواهم وعدل في حكمه:

صار الخَصِي إمام الآبِقين بِها

فالحُر مستعبَد والعَبدُ مَعبُودُ

نامَت نواطِيرُ مِصرٍ عَن ثَعالِبِها

فقد بَشِمْنَ وما تَفْنى العناقيدُ

العَبد ليسَ لِحُرٍّ صالحٍ بأخٍ

لَو أنهُ في ثيابِ الحرِّ مولود

لا تشتَرِ العَبد إلا والعَصَا معه

إن العَبِيدَ لأنجاسٌ مَناكيد

ما كُنتُ أَحسَبُني أَحيا إلى زَمَنٍ

يُسيء بي فيهِ عَبد وَهْوَ مَحمودُ

...

إلى أن اختتم وقاحته قائلًا:

مَن علَّم الأسودَ المَخْصِيَّ مكرُمة

أَقَومُهُ البِيضُ أَمْ آباؤهُ الصِيدُ

أم أُذْنُه في يدِ النّخَّاسِ دامِيةً

أَم قَدْرهُ وَهوَ بِالفِلسَيْنِ مَردُودُ

أولَى اللِئام كُوَيفيرٌ بِمَعذِرَة

في كُلِّ لُؤْم وبَعض العُذْرِ تَفنِيدُ.

إن وصف بعض الشعوب العربية للبشر من ذوي «القشرة» السوداء بالعبيد، أمر ليس بالجديد. إذ غالبًا ما ترتفع حناجرهم بالشتم والسباب وبذيء الأقوال كلما خالفت خطوات الشعوب الإفريقية -خصوصًا السودانيين- هواهم.. فيهرعون إلى استخدام هذا اللفظ «العبيد» بغية إرواء غرائز تاريخية في نفوسهم المليئة بالكراهية والحقد تجاه كل من سمر لونه من البشر...

ولأنهم لفرط غبائهم ما فتئوا ينصبون لأنفسهم المشانق أمام محاكم التاريخ بتفاخرهم بتلك الجرائم البشعة التي ارتكبها الأسلاف بحق المستضعفين من الشعوب المحيطة بهم.. وهي من الأفعال التي يأباها العقل والضمير والفطرة السليمة، ولن يفعلها حتى البهائم.

ويلاحظ أن جل تلك الجرائم لم تقع في إفريقيا والسودان، إلا بعد الفتوحات الإسلامية، فبعد أن فتحت الشعوب الإفريقية دورها وصدورها لأغلب الفارين من اضطهاد الدولة المروانية وغيرهم ممن أرغمتهم كوارث القحط والحدب والحروب على اللجوء إلى ممالك جنوب الصحراء، انقلبوا عليهم سلبًا وتقتيلًا وصيدًا للبشر، ولم يمنعهم من فعل ذلك حتى الدين الذي يتمشدقون به. وبذلك تكون الدولة الإسلامية هي أول من دشنت غزو إفريقيا لاسترقاق البشر بحماية دولة، لتفتح الطريق من بعدها للرومان والإنجليز والبرتغال وغيرها في غزوات نهب البشر التي لم تتوقف عن

السودان بشكل نهائي حتى منتصف القرن العشرين، رغم امتناع الدول العظمى عن مثل تلك الممارسات في أواخر القرن التاسع عشر. لكنها لا تزال راسخة في عقول أغلب الشعوب الفاعلة، وهو ما يجعل السودان تحت مرمى نيران العنصريين من الدول العربية كلما حاول الحياد عما تراه من سبيل.

إذ إن جلّ ما قيل عن الفتح الإسلامي والقوافل التجارية وما إلى ذلك من روايات التقديس المزيفة كلها محض افتراء، بدليل أن لا أحد من الصحابة أو حتى علماء التابعين المعروفين قدم إلى إفريقيا جنوب الصحراء باستثناء عقبة بن نافع الذي جاء غازيًا وقُتل مع جميع قواته في شمال إفريقيا على أيدي كسيلة بن لمزم القائد العسكري الأمازيغي سنة ٦٧ هجرية الموافق ٦٨٦.*

وقبلهم مجموعة جعفر بن أبي طالب التي جاءت مستجيرة بأرض الحبشة وقصتها المشهورة في البلاط الملكي لإمبراطورية الحبشة إبان الإمبراطور العادل «النجاشي» في القرن السابع الميلادي، ثم عادت بعد أن قوي ساعد الدولة الإسلامية الحديثة في جزيرة العرب. لا يسع المجال لتناول بداية غزوات صيد البشر في آسيا وشرق أوروبا وإفريقيا التي توجت بعد ظهور الإسلام بصفة المشروعية باتفاقية «البقط» التي

[57] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المجلد الثاني، دار الرشاد الحديثة.

أبرمت إبان فترة حكم الخليفة عثمان بن عفان، بين والي مصر عبد الله بن عبد سعد بن أبي السرح، وملك دولة السودان «المقرة» «مملكة النوبة المسيحية» وما تلاها من نهب للبشر كجزية امتدت لأكثر من ٨٠٠ عام.

ولنكتفِ بتسليط الضوء على مساحة ضيقة من القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، فقد تسارعت تجارة العبيد من إفريقيا للدول الإسلامية في القرن التاسع عشر، وتزايدت باتجاه الشرق أيضًا بانتهاء تجارة العبيد الأوروبيين بحدود خمسينيات القرن ذاته.

في عام ١٨١٤ وصف المستكتشف السويسري «يوهان لودفيك بيركهارت» رحلاته في مصر ونوبيا «السودان»، حيث شاهد ممارسة تجارة العبيد، فقال: «لقد شهدت عدة مرات أكثر المشاهد وقاحة وبذاءة، ولم يقم التجار بأي شيء حيالها سوى الضحك، وقد أغامر لأصرّح بأن قلةً فقط من العبدات الإناث اللاتي تجاوز عمرهن العشر سنوات، يصلنَ لمصر أو شبه الجزيرة العربية دون أن يُسلبن عذريتهن.».

وكتب «ديفيد ليفينغستون» عن تجارة العبيد في منطقة البحيرات الإفريقية العظمى، والتي زارها في منتصف القرن التاسع عشر: «من المستحيل أن يُعتبر وصف شرورها مبالغةً، فقد مررنا بامرأة عبدة مُصابة بطلق ناري أو طعنة في جسمها ومرمية على الطريق، وأشار إلى شواهد على الحادثة بأن من قام بذلك هو عربي كان قد مر سابقًا

في ذاك النهـار، وقتلهـا لأنـه غضـب مـن خسـارته الثمـن الـذي سـعّرها بـه، لأنهـا لـم تعـد قـادرة عـلى المـشي لفـترة أطـول، كمـا مررنـا بامـرأة متوفـاة مربوطـة بعنقهـا إلى شـجرة، وبرجـل مـات جوعًـا... ولعـلّ أغـرب داء شـاهدته بحـق في هـذه البـلاد هـو تحطـم القلـوب، إنـه يصيـب مَـن أُسِر مـن الأفـراد الأحـرار ليُجـرّ كعبـد خنـوع».

وقـدّر ليفينغسـتون أن مـا يقـارب ٨٠,٠٠٠ إفريقـيّ تـوفي كل عـام قبـل الوصـول حـتى إلى أسـواق العبيـد في زنجبـار، والـتي كانـت يومًـا مـا المرفـأ الرئيـسي لتجـارة العبيـد في شرق إفريقيـا، وفي القـرن التاسـع عـشر كان يمـر مـا يصـل لـ٥٠,٠٠٠ عبـد عـبر هـذه المدينـة كل عـام تحـت إمـرة العـرب العمانيـين.* وفي القـرن العشريـن، وتحديـدًا خـلال الحـرب الأهليـة السـودانية الثانيـة (بـين عامـي ١٩٨٣-٢٠٠٥) اسـتُعبد النـاس أيضًـا، ويـتراوَح العـدد المقـدَّر للاختطافـات بـين ١٤,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ شـخص، بينمـا تـم إلغـاء العبوديـة في موريتانيـا بواسـطة قوانـين أُقـرت في الأعـوام ١٩٠٥، و١٩٦١، و١٩٨١، وأخـيرًا عُـدّت جريمـة عـام ٢٠٠٧.**

لكـن يُقـدَّر أن مـا يصـل لـ٦٠٠,٠٠٠ موريتـاني، أو ٢٠٪ مـن عـدد سـكان موريتانيـا، يعيشـون الآن تحـت ظـروف يعتبرهـا البعـض «عبوديـة»، بسـبب اسـتعباد الكثـير منهـم للعمـل لسـد الديـون

[58] المفكـرات اليوميـة الأخـيرة لديفيـد لفنغسـتون، تحريـر والـر هـوراس 1833-1896مكتبـة الكونغـرس .

[59] تقريـر نشرتـه قنـاة الـبي بي سي العربيـة بعنـوان [موريتانيـا: هـل تـم فعـلا تحريـر العبيـد؟] بتاريـخ 15 فبرايـر2019

الـتي عليهـم بسـبب الفقـر، وقـد حُظـرت العبوديـة منـذ زمـن حديـث نسـبيًّا في عمـان (عـام ١٩٧٠)، وقطـر، والمملكـة العربيـة السـعودية (١٩٥٢) واليمـن (في عـام ١٩٦٢).

إن هرولـة النخـب السياسـية السـودانية المتعاقبـة عـلى الحكـم منـذ الاسـتقلال ١٩٥٦ نحـو جامعـة الـدول العربيـة وإصرارهـم عـلى بقـاء السـودان ضمنهـا، هـي الـتي تدفـع البعـض منهـم للتطـاول عـلى إنسـانية الإنسـان السـوداني وكرامتـه أيًّـا كانـت قبيلتـه أو لونـه مـا دام سـودانيًّا، ولسـت بحاجـة إلى الإشـارة إلى مـا يواجهـه السـودانيون في جميـع الـدول العربيـة، الشـقيقة كمـا نزعـم.

فهـل يـا تـرى سـتدفع مثل تلـك الحمـلات الاسـتفزازية السـودان إلى اتخـاذ مواقـف جديـدة تفـضي بالخـروج مـن جامعـة الـدول العربيـة مثلمـا تخطى السـياج نحـو التطبيـع مـع دولـة إسرائيـل حسـبما تقتضيهـا مصلحـة الوطـن والمواطـن، وحفاظًـا عـلى مـا تبقـت مـن كرامـة الشـعب السـوداني المعـروف لـكل العالـم بشـكله ولونـه وهويتـه الإفريقيـة، لتقـوم بـين السـودان وجامعة الـدول العربيـة علاقـات جديـدة مبنيـة عـلى أسـس مختلفـة عـن سـابقاتها مـن شـأنها أن تغـير النظـرة النمطيـة السـائدة الآن، إذ إن بقـاء السـودان في جامعـة الـدول العربيـة في ظـل هـذه النظـرة الدونيـة المتوارثـة عنـد العـرب تجـاه السـودانيين، ووجـود المرتزقـة السـودانيين المنشريـن في دول الـنزاع العربيـة -رغـم ذلـك السـباب- يـأتي بمنزلـة بقـاء العبـد راضيًـا في عبـاءة

سـيده، وعـدم قدرتـه عـلى الانعتـاق والتحـرر عليـه خوفًـا مـن المـوت جوعًـا أو التـشرد، وفي ذات الوقـت يحـترق كالشـمعة ليـضيء لسـيده الـذي لا يعبـأ لشـأنه مهمـا تفـانى في خدمتـه.

# الفصل التاسع عشر

## «لم تسـقط بعد»

# محاولات لضخ الدماء
# في شرايين النظام السابق!

حملت الأسافير أنواعًا مختلفة من الأقاويل و(القوالات) إزاء حقيقة ما جرى صباح السبت ٢٧ نيسان/أبريل ٢٠١٩ في باحة صالة قرطبة بالخرطوم الصحافة التي احتضنت اجتماعًا لمجلس شورى المؤتمر الشعبي، وما تخلله من مناوشات بالحجارة أصيب خلالها العشرات واحتراق ثلاث سيارات بجانب تهشيم عدد مماثل، في ظاهرة لم يُرَ لها مثيلًا طيلة فترة المظاهرات السلمية التي امتدت خمسة أشهر قبل سقوط رأس النظام.

وبما أن العنف ابتداءً ما هو إلا لغة المفلسين العاجزين عن مقارعة الخصم المنطق بالمنطق، ولا يتطابق البتة مع ما عرفت به ثورة ديسمبر من ذكاء وحسن المبتكر ودقة في التخطيط والمواجهة السلمية الشجاعة والسعي لبناء دولة القانون، فليس في مصلحة أي جهة استخدام العنف سوى النظام السابق وميليشياته وحلفائه الساعين لجرِّ البلاد إلى الفوضى والخراب حقدًا منهم وانتقامًا وغيرة من هذا النجاح التاريخي الفريد.

بغـض النظـر عمـن وراء هـذا الحـدث، أو لمـاذا اللجـوء إلى العنـف في هـذا التوقيـت الحسـاس، أو مـا هـي الأهـداف الداعيـة لعقـد اجتمـاع لمجلـس شـورى المؤتمـر الشـعبي في ظل غليـان الأوضـاع بالبـلاد منـذ سـقوط حليفـه -المؤتمـر الوطـني- الـذي يـرى المراقبـون بأنـه ظـل وفيًّـا لـه حـتى بعـد السـقوط، ومـا إلى ذلـك... أدعـوك -عزيـزي القـارئ- إلى قـراءة الحـدث مـن كل جوانبـه بهـدوء، وحينهـا سـتخلص إلى أن مـا جـرى هـو ضمـن عمـل مخطـط لـه بدقـة عاليـة، في ظـل احتفـاظ بعـض التنظيمـات المتطرفـة وكتائـب الظـل الإرهابيـة بـكل هياكلهـا العسـكرية والأمنيـة وأحـدث آلات القمـع والتنكيـل مـع كامـل الصلاحيـات، بجانـب المصالـح المشـتركة الـتي مـا فتئـت تحـاول أن تجفـف انسـياب هـذه الثـورة المسـتنيرة.

نسـتخلص بعـد التدقيـق الدقيـق أن ثمـة صفقـة ماكـرة بـين المؤتمريـن الشـعبي/ الوطـني اللذيـن يجمعهمـا «الملـح والملاح»، عـلى النحـو الـذي عهدنـاه بينهمـا لخلـق بلبلـة أمنيـة تمكنهمـا مـن فتـح الأبـواب لاسـتجلاب الحلفـاء الحمـاة: روسـيا، تركيـا، قطـر... إلـخ.

ومـن ثـمّ اسـتعادة الأمـور إلى مسـارها السـابق، لمواصلـة مشروعهـم الحضـاري المهـدد بالانقـراض مـن قبـل الجيـل «المرتـدي»، حسـبما وصَفَـه بعـض القـادة الإسـلامويين.

وإذا اسـتصحبنا الإفـادات الـتي أدلى بهـا بعـض شـهود عيـان الذيـن أشـاروا إلى أن سـيارة مجهولـة كانـت تحمـل مكـبر صـوت

وعَلَـمَ السـودان بجانـب علـم حـزب الأمـة القومـي كانـت تجـوب شـوارع أحيـاء (الصحافـة والعـشرة) تـردد هتافـات ثوريـة وتدعـو المواطنـين إلى التوجـه نحـو الصالـة لاقتحامهـا لمنـع إقامـة مؤتمـر «الكيـزان»، سـيما بعـد البيـان الـذي أصـدره تجمـع المهنيـين وقـوى الحريـة والتغيـير الـذي أدان واسـتنكر مـا جـرى، نسـتنبط حقيقـة أخـرى قـد تضـع المؤتمـر الشـعبي في محـراب الـبراءة رغـم مواقفـه الداعمـة للنظـام السـابق، وهـي أن إعـلان رفـض المؤتمـر الشـعبي للمشـاركة في مسـيرة مـا أطلـق عليهـا «نـصرة الديـن» الـتي كانـت قـد أعلـن تسـييرها الاثنـين ٢٠١٩\٤\٢٩، الـتي دعـا إليهـا المستشـيخ عبـد الحـي يوسـف، جعـل تلـك الطوائـف وفلـول الأمـن الشـعبي المتعطشـة لإراقـة الدمـاء تدفـع ببعـض منسـوبيها داخـل الجمـوع الموجوديـن بالصالـة بينمـا اسـتبقت آخريـن بالخـارج لتحريـك الشـارع بغـرض خلـق المواجهـة بـين الطرفـين، وتكتمـل الصـورة بتلـك الإفـادات ومقاطـع الفيديـو الـتي توضـح أن بعضًـا ممـن خرجـوا مـن الصالـة هـم مـن بـادروا بقـذف الحجـارة صـوب الهاتفـين بالخـارج، ليـأتي الـرد مباشرة مـن قبـل الطـرف الآخـر، قبـل أن ينخـرط الجميـع في حـرب الحجـارة، عـلى غـرار مـا قامـت بـه مجموعـة الخـوارج إبـان حـرب الفتنـة الـتي جـرت في عـام ٣٢ هجريـة بـين عـلي بـن أبي طالـب ومعاويـة بـن أبي سـفيان (رضي الله عنهمـا)، وقـد كان مـا كان.. بهـدف إثنـاء المؤتمـر الشـعبي عـن قـراره الرافـض لمظاهـرات الاثنـين، إضافـة إلى الحيلولـة دون اسـتصدار أي قـرار خـلال هـذه الجلسـة يجعـل المؤتمـر

الشـعبي خـارج سـفينة النظـام الغـارق.

فجـاءت هـذه الواقعـة كخطـوة اسـتباقية لقطـع الطريـق أمـام المؤتمـر الشـعبي واسـتبقائه بجانـب بقيـة الطوائـف الراديكاليـة، لمـا لخروجـه الأثـر المدمـر للنظـام الهالـك الـذي مـا انفـك يتشـبث بحلفائـه للنهـوض مـرة أخـرى.

ولأن كتائـب الظـل والأمـن الشـعبي والأمـن الوطـني والأمـن الإيجـابي والجهـاد الطـلابي والجهـاد «الجـداد» الإلكـتروني مـا فتئـت تتصيـد الفـرص لالتقـاط نقـاط ضعـف الثـورة وضربهـا في مقتـل، فـلا يسـتبعد أن تقـوم بخطـوات مماثلـة وتحشـد لهـا المندسـين، لـذات الأغـراض سـالفة الذكـر، كلمـا وجـدت إلى ذلـك سـبيلًا.. ومـا عمليـة فـض الاعتصـام الـتي وقعـت لاحقًـا كمـا أسـلفت، إلا واحـدة مـن تلـك المحـاولات الراميـة إلى ضـخ الدمـاء بشرايـين النظـام البائـد.

# مواكب الزواحف.. هي للهو

أظـن، وليـس كل الظـن إثـم، أن جماعـة (نـصرة الشريعـة ودولـة القانـون) الـتي خرجـت مـن بعـض المسـاجد ظهـر الجمعـة الموافـق ١٧ مايـو ٢٠١٩ تجـوب بعـض شـوارع العاصمـة الخرطـوم بزعامـة بعـض ممـن عرفـوا سـلفًا بمبايعتهـم لتنظيـم الدولـة الإسـلامية (داعـش) وبعـض دبـابي النظـام البائـد، قـد استشـعروا خطـورة مـا تضمنتـه تلـك الوثيقـة مـن مـواد لربمـا تتبلـور لاحقًـا إلى بروتوكـولات وقوانـين تغلـق أمامهـم أبـواب الخزائـن الـتي ظلـت تجـود عليهـم بـكل مـا تشـتهيه أنفسـهم مـن حوافـز و«بقاشـيش»، نظـير اسـتصدار فتـاوى تـرضي أهـواء رأس النظـام السـابق وأمزجتـه، والـتي مـن بينهـا تحريـم أي مظهـر مـن مظاهـر الخـروج عليـه، وتكفـير معارضيـه، وهلـم جـرا..

إذ مـر -حـتى ذلـك الوقـت- شـهر وأسـبوع عـلى سـقوط نظامهم، مـا يعـني عـدم حصولهـم عـلى الأجـور الشـهرية والمرتبـات.. الأمـر الـذي وضعهـم أمـام واقـع حـرج لـم يعتـادوه منـذ ثلاثـة عقـود.

ولا أظن -وبعض الظن إثم- أن من سموا أنفسهم بجماعة نصرة الشريعة ودولة القانون أقرب إلى الشريعة الإسلامية من أولئك الشباب المعتصمين بالقيادة العامة، الملتزمين بأدبيات الشريعة ومقاصدهم بفطرتهم، وذلك لما يتمتعون به من تسامح وحب الخير للغير وغيرهما من الصفات التي تدور في فلك مقاصد الشريعة الإسلامية المتمثلة في المحافظة على النفس، والدين، والعقل، والنسل، والمال، بخلاف ما تدعيه تلك الجماعات التي وصفها النشطاء بـ«الزواحف» من حرص.. اللهم إلا أن يكون دينهم هذا غير دين الإسلام الحنيف الذي كفل للمسلم وغير المسلم حقوقه، وتصدى لكل من يعتدي على حرمة النفس، حتى جعل جرم هدم الكعبة أهون عند الله من دم امرئ مسلم* بل ذهب الشرع إلى أبعد من ذلك حينما اعتبر من قتل (نفسًا بغير نفس)** بمنزلة من قتل الناس جميعًا، وهو ما جسده المعتصمون بشعارات (سلمية.. سلمية) في مواجهة الرصاص الحي بصدور عارية.

فأي شريعة ينوي هولاء نصرتها وهم حتى لحظات احتضار النظام السابق كانوا يتزاحمون على موائده، (لينجروا) له فتاوى تجوّز إبادة جميع المعتصمين، استنادًا إلى رأي المذهب المالكي الذي يجيز -كما يزعمون- قتل ثلث الشعب من أجل أن يعيش الثلثان بأمان!

---

[61] اخرجه ابن ماجة

[61] القرآن الكريم- سورة المائدة الآية32

وإذا مـا أمعنـا النظـر في مقاصـد الشريعـة الإسـلامية آنفـة الذكـر واسـتصحبنا واقـع أفعـال هـؤلاء المسـتدينين طـوال فـترة حكومـة الإنقـاذ نتوصـل إلى حقيقـة أن المستشـيخ عبـد الحـي يوسـف والمستشيخ محمـد عـلي الجـزولي والمسـتصحف خـال الرئيـس المخلـوع الطيـب مصطفـى وغيرهـم مـن بقايـا النظـام السـابق هـم أول مـن حـارب تلـك المقاصـد بفتاويهـم وخطبهـم ومقالاتهـم الـتي تزكـم الأنـوفَ بنتانـةِ عنصريتِهـا الـتي أفـرزت في نهايـة المطـاف تدنيـس البـلاد وتمزيقهـا إنسـانًا وأرضًـا ودينًـا وعرضًـا ومـالًا.

فتسـببت في بـتر جنـوب السـودان، وإبـادة مئـات الآلاف، واغتصـاب الألـوف مـن مواطنـات دارفـور ومواطنيهـا (اللـوح والدوايـة) كمـا يسـمونها وجنـوب كردفـان والنيـل الأزرق.. وهـو أمـر مصـادم لمقصـد الشريعـة الإسـلامية المتشـدد في تحريـم قتـل النفـس كمـا أسـلفنا.

وعندمـا نـادى المعتصمـون بالقصـاص للضحايـا (الـدم قصـاد الـدم.. مـا بنقبـل الديـة)، أفتـوا بقتلهـم هـوى وتشـهِّيًا!

وكـرّس منتسـبو تلـك الجماعـات المتطرفـة بفتاويهـا للعنصريـة العرقيـة الـتي ألبسـوها قميـص الديـن، فشـوهوا صـورة الديـن الإسـلامي، حـتى اضطـر عـشرات الآلاف مـن شـباب تلـك العرقيـات المضطهـدة للتخـلي عـن الإسـلام، لاعتقادهـم أن مـا ينـادي بـه أمثـال عبـد الحـي يوسـف هـو نفسـه الديـن الإسـلامي الحـق.. وهـو جُـرم آخـر اقترفـوه ضـد مقصـد

الشريعـة الإسـلامية القـاضي بحفـظ الديـن.

بينمـا نجـد المعتصمـين يهتفـون (حريـة.. سـلام.. عدالـة) يهدفـون بذلـك إلى الحريـة الـتي تتضمـن التعدديـة الثقافيـة والدينيـة والاجتماعيـة، وإلى بسـط العدالـة الـتي تحافـظ عـلى حقـوق الجميـع في دولـة يتسـاوى أمـام قانونهـا الجميـع، وإلى السـلام الـذي يقـوم بتوظيـف الحريـة والعدالـة في رقي الوطـن وتقدمـه والحيلولـة دون تنافـر مكوناتـه.

فكفّروهم بذلك وأحلوا دماءهم للحاكم هوًى وتشهيًا.

شـارك أولئـك المتطرفـون النظـامَ السـابق ثلاثـين عامًـا في نهـب مـوارد البـلاد، وحللـوا باسـم (فقـه الـضرورة) الربـا لإرضـاء شـهوات الحاكـم.. وهـم بذلـك هدمـوا أهـم مقصـد مـن مقاصـد الشريعـة الإسـلامية الرامـي إلى حفـظ المـال.

في حـين أن المعتصمـين مـا طفقـوا يـرددون: (سـلمية.. ضـد الحراميـة) كغايـة ثوريـة لقطـع دابـر اللصـوص ومحاسـبتهم وإعـادة مـا نهبـوه إلى خزينـة الدولـة.

فارتعـدت أوصـال تلـك الجماعـات الـتي رأت بـأن يـد العدالـة سـتطولهم لا محالـة، فخرجـوا مرددين هتافـات: (هـي لله.. هـي لله) و(الشريعـة خيـار الشـعب).

والحقيقـة أن هـذه المسـيرة (هـي للهـو) واللعـب والفـوضى.. والديـن منهـم بـراء.

فشـتان مـا بـين فتيـة آمنـوا بقضيتهـم وازدادوا عشـقًا لوطنهـم وحرصًـا لسـلامته واسـتقراره وتقدمـه.. وبـين كهـول تشربـوا التطـرف والتدثـر بالديـن لحياكـة الدسـائس والفـتن بغيـة إراقـة الدمـاء لهـوًا ولعبًـا.

فأي الفريقين إلى الإسلام أقرب؟!

بـل أيـن كان هـؤلاء ومـاذا فعلـوا بهـذا الديـن طـوال فـترة حكومتهـم الإنقـاذ؟

وهـل لديهـم تصـور حـول كيفيـة تطبيـق الشريعـة الإسـلامية غـير الـذي رأينـا تطبيقهـا في عهـد الإنقـاذ؟!

# الفصل العشرون

## «بعد مرور اثنين وعشرين شهرًا على سقوط الجنرال الراقص: هل سقطت معه حكومته الدامية؟»

# المسكوت عنه في السودان

المقصـود بالحكومـة هنـا هـي السـلطات الثـلاث التنفيذيـة والتشريعيـة والآليـة الـتي تعمـل بموجبهـا السـلطة القضائيـة والقوانـين التشريعيـة المعمـول بهـا مثـل قانـون الطـوارئ وقانـون التقـاضي وعلاقـة السـلطة الأمنيـة بالسـلطة القضائيـة، وأسـلوب التعامـل مـع المواطنـين، ومـدى احـترام هذه السـلطة لحقوقهـم وحرياتهـم.

فـإذا اسـتصحبنا معنـا هـذا التعريـف، نجـد أن سـقوط رأس نظـام المؤتمـر الوطـني عمـر البشـير وإزاحتـه عـن المشـهد كرئيـس للبـلاد هـو التغيـير الوحيـد الـذي حـدث فعـلًا، وذلـك انصياعًـا لرغبـة الشـعب الثائـر العنيـد الـذي لـم يرعبـه القتـل والتوريـع رغـم تصاعـد عـدد القتـلى الذيـن بلغـوا وقتئـذ الـ٥٧ قتيـلًا بجانـب الجرحـى والمصابـين الذيـن تجـاوزوا الـ٧,٠٠٠ بحسـب تقريـر وزارة الصحـة الاتحاديـة وقتهـا، قبـل أن يقـرر المتظاهـرون الاعتصـام (الصبـة) أمـام مقـر القيـادة العامـة في السـادس مـن أبريل/نيسـان ٢٠١٩ ومـا صحبهـا مـن ظهـور

بـوادر التمـرد الداخـلي وسـط صغـار الضبـاط في القـوات المسـلحة «شـلة حامـد»، وهمـا أمـران لـم يضعهمـا عباقـرة النظـام السـابق في الحسـبان ضمـن خطتهـم الأمنيـة القمعيـة، سـيما وأنهمـا قـد جـاءا مرتبطـين ببعضهمـا (الصبـة بالقيـادة - العصيـان وسـط الجيـش) ليربـكا حسـابات عقليـة اللجنـة الأمنية ونفسـيتها ويضعاهـا أمـام خياريـن:

إمـا المواصلـة في قمـع المظاهـرات مـع توقعـات محتملـة بالدخـول في مواجهـات مسـلحة مـع عصـاة الجيـش الذيـن غالبًـا مـا سـيتدخلون لحمايـة المتظاهريـن، وهـو مـا سـيؤدي في نهايـة المطـاف إلى جـر بقيـة زملائهـم مـن الضبـاط والجنـود (الشرفـاء) نحـو الانخـراط في صفـوف الثـورة، ولربمـا يلجئـون لفتـح مخـازن السـلاح أمـام الثـوار المقتدريـن عـلى حمـل السـلاح إذا اقتـضى الأمـر ذلـك -رغـم سـلمية الثـورة- وبالتـالي سـتتدخل حـركات الكفـاح المسـلحة لحسـم المعركـة، وهـو مـا يعـني ضمنيًّـا اسـتئصال شـأفة نظـام المؤتمـر الوطـني وإبـادة رموزهـم عـلى أيـدي الشـعب والثائريـن مـن الجيـش ومـن ثـم تسـليم السـلطة كاملـة إلى الشـعب السـوداني.

وإمـا اللجـوء إلى خيـار التنـازل الفـوري عـن السـلطة وتسـليمها إلى وكلاء النظـام المخلصـين مـن عسـكر (اللجنـة الأمنيـة) وأشـخاص يتـأزرون بمِـئزر الثـورة بغيـة الحفـاظ عـلى حكومـة المؤتمـر الوطـني، مـع تـواري بعـض الرمـوز عـن المشـهد كمعتقلـين أو هاربـين ريثمـا يتمكـن هـؤلاء الـوكلاء مـن حـصر

وكشف تلك الأصوات الثائرة وسط الجيش، ومن ثم تجريدها من السلاح والفتك بها لتخلو لهم السانحة للاستفراد بالمتظاهرين العزل والتنكيل بهم مجددًا، وقطع الطريق أمام حدوث الخيار الأول، على أن يتم ذلك بشكل دراماتيكي يوحي إلى الثوار في بادئ الأمر أنهم شركاء معهم في إنجاح الثورة.

ولأن الخيار الأخير هو الأسلم والأقرب إلى تجنيب رموز النظام السابق ويلات عدالة الثورة، فقد ظهر به وزير الدفاع الفريق أول عوض بن عوف في بيان ركيك أعلن من خلاله تنحي الرئيس المخلوع عمر البشير والتحفظ عليه في مكان (آمن) في ١١ أبريل ٢٠١٩ وتنصيب نفسه رئيسًا للمجلس العسكري المكون من ذات اللجنة الأمنية القمعية التي كونها البشيرُ نفسُه، وهو ما قابله الشعب برفض قاطع أظهر لهم عباطة خطتهم المفضوحة، فاضطروا لإجراء تغيير طفيف في الخطة وإبدال ابن عوف المنبوذ شعبيًّا بشخصية بعيدة عن الأضواء مع إبقاء السيناريو على ما هو عليه، فجيء بالفريق عبد الفتاح البرهان بعد ٢٤ ساعة.. وقد «حدث ما حدث».

لكن تبقى أسئلة الشارع الملحة جدًّا، إذا كانت القوات المسلحة شريكة في إنجاح ثورة ديسمبر وحاميتها -كما تزعم- فكيف يضمن الشعب نجاح ثورته وتحسين مستواه المعيشي وتعافي اقتصاده في ظل احتفاظ ذات الجهات ونفس

الأشخاص الذين كانوا ولا يزالون أدوات للنظام السابق بذات المناصب الدبلوماسية والوظائف الخدمية وحتى الأمنية؟

وما المانع من أن تستعاد جميع تلك الأموال المنهوبة التي بحوزة الناهبين من رموز النظام السابق وإعادتها إلى خزينة الدولة؟

وكيف يتحسن الاقتصاد الوطني ومفاتيح خزينة الدولة وإيراداتها والبنوك لا تزال تحت استحواذ وكلاء النظام السابق بشكل شبه كامل؟

بل لماذا لم تتوقف آلة التقتيل المستمر في البلاد، خصوصًا في دارفور؟ إذ إنه وبعد أسبوع فقط من إعلان انحياز القوات المسلحة للثورة شهد معسكر (كلمة) للنازحين مجزرة دامية تبعتها مجزرة (كتم) وأكثر من ١٤٩ عملية هجوم واعتداء مسلحة خلال السنة الماضية على أيدي ذات الميليشيات التابعة رأسًا للقوات المسلحة، وبذات السلاح وذات الطريقة التي عرفت بها في عهد البشير.

إن المفهوم الكامل لمعنى (إسقاط الحكومة) يشمل بالضرورة إسقاط أدواتها ومن هم في مركز القرار والحاكمين وما يتبعهم من أجهزة الأمن و(القمع) والتأديب والتي قد تتغول فتسيطر على السلطة نفسها، وتصبح هي بذاتها السلطة صاحبة القرار والباع الطويل، ليس فقط في القبض على السلطة وإنما أيضًا في الاستيلاء على الثروة.

وهـذا مـا لـم يحـدث خـلال الفـترة الـتي تلـت إسـقاط رأس النظـام السـابق وحـتى هـذه اللحظـة.

# بؤر «كيزانية»
# خفية لم تطلها يد قانون التفكيك

لا يختلف اثنان حول حقيقة أن حزب المؤتمر الوطني المتواري الذي ما عتم يتلون مذ تكوينه بأسماء وشعارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، قد لجأ في سبيل استمراريته في حكم البلاد عبر سياسة التمكين خلال الـ٣٠ من يونيو ١٩٨٩ - ٢٠١٩، إلى الاعتماد بشكل كبير على ركيزتين أساسيتين، أنتجتا بدورهما ركائز أخرى ظلت شرايين ممتلئة تضخ الدماء الحارة إلى أوصال ذلك التنظيم طوال سنواته العجاف ضمن خلاياه النائمة، إحداهما ما يرمز إليه بـ(ل ش).

وقبل أن نتوغل إلى ماهية هذه الركيزة، تحضرني واقعة حدثت قبل سنوات في إحدى مداخل المدن الواقعة ضمن جغرافيا المناطق الملتهبة في غرب السودان، وحسب قوانين الطوارئ التي تحكم تلك البقاع منذ اندلاع الحرب في العام ٢٠٠٣ وإلى اليوم، كان لزامًا على كل الشاحنات التجارية المحملة بالبضائع والبشر المتجهة من وإلى المدن المعنية، أن تمر بنقاط تفتيش يشرف عليها أخطر أفراد أجهزة أمن العمليات هناك، فينزلون الركاب المواطنين ويمارسون فيهم طقوسهم المحببة من تفتيش وإذلال وضرب، وربما

الاقتياد إلى السجون الحربية ونسيانهم هناك، أو تسليمهم لأفراد (أ ش) الأمن الشعبي، لتصفيتهم لمجرد منظرهم المشابه للثوار الموجودين بالمناطق المحررة -اسم يطلق على المناطق التي تقع خارج سيطرة الحكومة- أو لمجرد هندامهم الغالي جدًّا، أو الرثة جدًّا.

إلا أنه ورغم ذلك كانت ثمة سيارة (لاندروفر) تجارية معفيّة تمامًا من عمليات التفتيش بحق مالكها وحتى راكبيها، وبالتالي من يحظى بالسفر عليها فهو آمن.

كانت تلك السيارة ملكًا لأحد رجالات (اللام شين) المحليين، وقد استغرب القائمون بأمر التفتيش هذا الاسم الغريب في بادئ الأمر، إلا أنهم استساغوه في مقبل الأيام حتى بات الرجل معروفًا لديهم بـ(عمك لام شين).

لكن لسبب ما، تم تغيير بعض أفراد كتيبة نقطة التفتيش وقيادتها بآخرين أكثر دقّة وصرامة وتنكيلًا بالمواطنين، فلم يستثنوا سيارة رجل اللام شين من عملية التفتيش، لكن ثقة الرجل الزائدة بنفسه ونبرة حديثه الصارم: (معكم عمكم لام شين يا أولاد...) جعلهم يصرون على معرفة كنه هذا الرجل، وفك طلاسم هذا الاسم الغامض (ل ش)، وبمزيد من الإلحاح والتملق، انصاع الرجل إلى رغبتهم طوعًا وأخبرهم بأنه قيادي في (اللجنة الشعبية) لمنطقة ما.

فانهال عليه الجميع -حتى القدامى منهم- ركلًا وضربًا وصفعًا

وخنقًا، حتى تبعثرت تلك العمامة البيضاء واعتجنت بسوائل مختلفة، مع التمزيق الكامل لجلابيته البيضاء و«الشال» باهظ الثمن.

لكن لم تمضِ سوى ساعة حتى حضر نائب الوالي بشحمه ولحمه وسياراته الدستورية الفارهة، بجانب سيارات الحرس الأمامية والخلفية مصحوبة بأصوات النجدة وبضع دراجات نارية، فوصل إلى مكان الحدث مغاضبًا، وسرعان ما عوقب الجنود وقائدهم بمثل ما عاقبوا به رجل اللام شين أو يزيد، ثم امتطى الرجل السيارة بمعية نائب الوالي مودعًا من كانوا بالمكان بنظرات وعد ووعيد.

فهل يا ترى فعلًا يمثل هذا الرجل القيادي باللجنة الشعبية هذا القدر الكبير من الأهمية لدرجة أن يحضر نائب الوالي نفسه معتذرًا له؟!

أم أن مهاماته تتجاوز تلك الأدوار الإدارية المتواضعة المحدودة التي عادة ما يقوم بها رجال اللجان الشعبية العاديون بالأحياء!

السر الخفي يا -عزيزي القارئ- يكمن في أن جل قيادات اللجان الشعبية يحملون بطاقة عضوية حزب المؤتمر الوطني، لكنهم ليسوا كغيرهم من الأعضاء، إذ تتجلى أهميتهم في أن الحزب يعتبرهم نقطة ارتكاز أولية لبناء الهيكل الهرمي للتنظيم.

وبالتـالي تقـع عـلى عاتـق هـذه القيـادات أعبـاء اسـتقطاب العضويـة المجانيـة، بجانـب القيـام بـدور التعبئـة والاسـتنفار وسـط البسـطاء مـن المواطنـين.

وتـوكل إليهـا مهـام حشـد الجماهـير لاسـتقبال كبـار الزائريـن مـن الحـزب، إضافـة إلى تخويـن المواطنـين غـير الموالـين للنظـام واسـتعدائهم، وشراء الأصـوات في الانتخابـات.

الأمـر الـذي جعـل جـل الدوائـر بمعظـم قـرى السـودان وأريافه ومدنـه ترقـص أوتوماتيكيًّا عـلى إيقاعـات مزمـار حـزب المؤتمـر الوطـني، إلا المسـتنيرين مـن المواطنـين، وهـم غالبًـا مـا يقعون ضحايـا لتقاريـر قيـادات اللجـان الشـعبية الأمنيـة، وهـي مـن أخطـر المهـام الـتي تسـند إلى قيـادات الـلام شـين.

فمـن خـلال قيـادات الـلام شـين اسـتطاع المؤتمـر الوطـني أن يسـتحوذ عـلى معظـم قيـادات الإدارات الأهليـة الـتي بـني عبرها الركـيزة الثانيـة المرمـوز لهـا في العنـوان أعـلاه بـ«الدال شـين» أي ميليشـيات (الدفـاع الشـعبي) الجهاديـة الـتي مـا برحـت تقـوم بتنفيـذ مـا تـورع عـن فعلـه الجيـش النظامـي، حـتى باتت جيشًـا موازيًـا للقـوات المسـلحة، بجانـب كتائـب (الألـف شـين) الأمـن الشـعبي الجهـادي، أي الجنـاح الأمـني للـدال شـين.

إن إجـازة قانـون تفكيـك حـزب المؤتمـر الوطـني ورغـم أنهـا خطـوة موفقـة جـدًّا نحـو كنـس نظـام البشـير وحزبـه الدمـوي إلى سـلة مزبلـة التاريـخ، فـإن وجـود بـؤر وأوكار ومرتكـزات لهـذه

الجماعة الإرهابية المتلونة، كالدال شين واللام شين والألف شين، يهدد بنسف هذا القانون في مهده.

وما بيان الدفاع الشعبي الداعي إلى الجهاد الذي سبقه تهديدات رئيس المؤتمر الوطني المنحل إبراهيم غندور -قبل أن يعدل عن تهديداته- إلا تأكيد لما ذكر.

إن رموز النظام السابق وإن تواروا عن الأنظار في الساحة السياسية بحسب المادة التي تنص على منعهم من ممارسة العمل السياسي لفترة أقلها عشر سنوات، إلا أنهم سوف يسعون -كدأبهم- مجددًا إلى التحايل على هذه القوانين بغية إفراغها من محتواها، بتوجيه قواعدهم وخلاياهم النائمة من قيادات اللجان الشعبية والدفاع الشعبي والأمن الشعبي -غير المحروقين- ودعمهم لتكوين جسم موازٍ يحمل ذات الرؤى ونفس الأيديولوجية الكيزانية، ومن ثم الانقضاض على الحكومة الجديدة.

حيث لعبت اللجان الشعبية أدوارًا عجز عن أدائها الأباليس الرجام.

وأخطر تلك الأدوار -بعد التجسس على الشرفاء- قيامها بتنفيذ ما أوكلت إليها من عمليات الترويج وسط المواطنين، وتحفيزهم للانخراط في ميليشيات الدفاع الشعبي، وإقناع الإدارات الأهلية ترغيبًا وترهيبًا لحث مواطنيهم للالتحاق بصفوف من أسموهم بالمجاهدين.

ولتحقيق ذلك اعتمدت الحركة الإسلامية على العزف على أوتار مشاعر المواطن الدينية بالخطب الرنانة والأناشيد والمحاضرات الجهادية (المنجورة) حسب ما يقتضيه مشروعهم التمكيني العنصري، فقاموا بإلباس حرب جنوب السودان ثوب الدين والجهاد ضد شعب جنوب السودان ذي الأغلبية المسيحية والثقافات المتنوعة.

وعبر اللجان الشعبية والإدارات الأهلية، استطاعت الحركة الإسلامية، استقطاب آلاف المجاهدين للقتال في الجنوب، وانخرط الشباب في صفوف الدفاع الشعبي زرافات ووحدانًا لجهاد من أسموهم بالكفار.. وتحول الصراع من حرب أهلية حول التهميش وتقاسم السُلطة إلى حرب جهادية، يدخل المقتول منها الجنة.

وهي في الواقع حرب كراهية وعنصرية أشعلتها عقول استعلائية استبدادية لا صلة لها بالدين الإسلامي في شيء، فقط تسعى للاستمرار في نهب الموارد ومصادرة إنسانية الإنسان وجعله رقيقًا بلا حقوق، يرزح تحت جبروت من يرون أنفسهم أسيادًا وسطوتهم، بينما يرون غيرهم من شعوب الهامش مجرد موالٍ وذميين ومؤلفة قلوبهم.

إذ لو كانت حربًا دينية لما استطاع أن يعيش عدد لا بأس به من منتسبي ذات الديانة من الأقباط يمارسون عباداتهم بكامل حريتهم وسط العاصمة الخرطوم ولم يتعرض لهم أحد بأذى، هذا بجانب العلاقات الدبلوماسية والتجارية

والصناعية وحتى الحربية بين حكومة المؤتمر الوطني ودول لا تدين بما يدينون به البتة.

ولو كانت حربًا دينية -كما يزعمون- لما فقد أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مواطن في دارفور حياتهم على أيدي ذات الميليشيات الجهادية، مما يؤكد بشكل لا التباس فيه أن الدافع الوحيد وراء اشتعال تلك البقاع هو الكراهية والعنصرية التي تمارسها الحركة الإسلامية وقبلها الأنظمة الشمولية ضد أعراق وإثنيات وألوان بعينها، وهو ما جعلهم لا يرون كفرًا في العالم كله إلا في جنوب السودان وجبال النوبة والنيل الأزرق، وأخيرًا دارفور.

لم تكن القوات المسلحة بمنأى عما جرى، فقد جاءت خطوة إنشاء ميليشيات موازية لها كأول استهداف لأقوى مؤسسة قومية بالسودان -على علاتها- على الرغم من أن القوات المسلحة لم تكن حينها بهذا المستوى من الخنوع لهذه الجماعة الإسلاموية، لا سيما بعد أن تنفست الصعداء بالتفاهمات الأخيرة بين حكومة الديمقراطية الثالثة والحركة الشعبية لتحرير السودان، قبيل الانقلاب المشؤوم، فقد عبر عدد لا بأس به من ضباط الجيش السوداني عن رفضهم القاطع لتولي هذه الجماعة المتطرفة أمر الحكم بالبلاد، فكانت نتيجة رفضهم واقعة مجزرة الثامن والعشرين من رمضان١٩٩٠ التي سفكت فيها دماء ٢٨ من الضباط الشرفاء تقتيلًا، تبعهم عشرات الآلاف من الضباط وضباط الصف

والجنود غير الموالين للحركة الإسلامية فصلًا وطردًا واعتقالًا وتهجيرًا.

فأخرست تلك الأصوات المعارضة وسط الجيش السوداني، وأخذت مؤسسة القوات المسلحة تتآكل أمام تقدم تلك الميليشيات التي تحوي جنودًا مأدلجين لا يعصون الحزب فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وهي بدورها أخذت تتمرحل شيئًا فشيئًا، انطلاقًا من الدفاع الشعبي، ثم الأمر باخة قبل -اندلاع الثورة المسلحة في دارفور- ثم الجنجويد، فحرس الحدود، انتهاءً بميليشيات الدعم السريع.

وفي العام ٢٠١٣ أُتْبعت ميليشيات الدفاع الشعبي بقرار رسمي إلى القوات المسلحة، بعد مطالبات ضمن توصيات الحوار الوطني. وبعد عزل المخلوع البشير ارتفعت الأصوات المنادية بضرورة حلها، فحاولت الحكومة الانتقالية امتصاص الغضب باستصدار قرار تمويهي يقضي بإلغاء الدفاع الشعبي، لكن فعليًّا لم يحدث أي إجراء من هذا القبيل. إلى أن جاءت تصريحات المتحدث الرسمي باسم الدفاع الشعبي العميد ركن عامر محمد الحسن الذي قال فيها: إن الدفاع الشعبي قوات متطوعة يُعاملون معاملة رصفائهم من أفراد القوات المسلحة بكل الحقوق المكتسبة بموجب قوانين ولوائح القوات المسلحة. فحملت تفنيدًا صريحًا لحديث عضو المجلس السيادي الفريق أول شمس الدين الكباشي،

الـذي قـال في حـوار مـع قنـاة «سـكاي نيـوز» في الخامـس مـن سـبتمبر، إن قـوات الدفـاع الشـعبي أُلغيـت.*

وبإقـرار الجيـش تبعيـة ميليشـيات الدفـاع الشـعبي لـه، اعتـبر مراقبـون أن تهديدهـا بحـرق السـودان إذا سـلم البشـير إلى المحكمـة الجنائيـة الدوليـة في ٨ نوفمـبر ٢٠١٩، بمنزلـة إعـلان حـرب ضـد المدنيـين.

والملفـت أن الحكومـة الانتقاليـة بشـقيها السـيادي والتنفيـذي صمتـت في وجـه تلـك التهديـدات صمـت القبـور ولـم تقـم بـأي إجـراء ضدهـم، ممـا يفتـح البـاب أمـام التكهنـات بشـأن إمكانيـة تهديـد هـذه الميليشـيات الجهاديـة للفـترة الانتقاليـة برمتهـا إذا لـم تـسرع الجهـات المعنيـة بتفكيكهـا واجتثاثهـا مـن الجـذور. فهـل سيشـمل قانـون التفكيـك هـذه البـؤرة الكيزانيـة الإرهابيـة المتخفيـة وراء مؤسسـة قـوات الشـعب المسـلحة، أم سـتفتح لهـا النوافـذ والأبـواب واسـعًا للقفـز مجـددًا عـلى ظهـر المواطـن وزعزعـة أمنـه واسـتقراره وفتـح أبـواب الجهـاد وعـرس الشـهيد وغيرهـا مـن ترهـات وخزعبـلات جماعـة الإخـوان المسـلمين؟!

ختامًـا أتـركك عزيـزي القـارئ لتكملـة قـراءة مـا سـتؤول إليـه الأوضـاع في المسـتقبل بنفسـك اسـتنادًا إلى هـذه الحقائـق المؤلمـة، حـتى تتوصـل إلى الأجوبـة عـن تلكـم التسـاؤلات الـتي لا أشـك في أنهـا قـد بـدأت تتراقـص عـلى ذهنـك بعـد الاطـلاع

63 اسكاي نيوز

عـلى هـذا الكـم الهائـل مـن الأمـور المسـكوت عنهـا في أروقـة الشـأن السـوداني.

وغدًا ستكشف الأيام ما سكتت عنه الألسنُ والأقلام.

**تمت في يناير ٢٠٢١**

# المصادر:

الكتب:

القرآن الكريم.

البروفيسور محمد ود لبات – السودان على طريق المصالحة، ط ١، المركز الثقافي للكتاب.

عشرة أيام هزت السودان، لمؤلفه صلاح عبد اللطيف، الطبعة الأولى، دار الهلال للنشر والتوزيع.

المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين.

جغرافيا وتاريخ السودان، نعوم شقير، الطبعة الأولى، دار عزة للنشر والتوزيع الخرطوم ٢٠٠٧.

سيكولوجية الإنسان المقهور، مصطفى حجازي.

المغرب عبر التاريخ، المجلد الثاني، إبراهيم حركات، دار الرشاد.

بيت العنكبوت، فتحي الضوء، مكتبة جزيرة الورد القاهرة، الطبعة الثانية.

الدرر السنية، المجلد الثامن، مجموعة من المؤلفين.

الصحف والقنوات الفضائية:

صحيفة دارفور ٢٤ .

صحيفة الوسط العربية.

صحيفة الراكوبة الإلكترونية.

رويترز للأنباء.

الوكالة السودانية للأنباء.

العين الإخبارية.

اسكاي نيوز عربية.

مونت كارلو الدولية.

قناة العربية.

العربي الجديد.

موقع سودان جيم.

سودان تريبون.

سودانيز أونلاين.

صوت الهامش.

موقع الأناضول.

الشرق الأوسط.

قناة الحرة.

Willows House
منشـــــورات
ويلوز هاوس
WH
TM